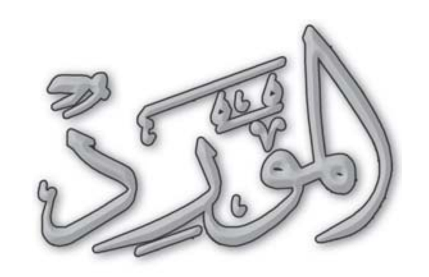


مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة / وزارة الثقافة

السنة(٤٢) المجلد الثاني والاربعون/ العدد الثالث ٢٠١٥م/١٤٣٦هـ

البريد الالكتروني dar_iraqculture@yahoo.com

عنوان المراسلة

دار الشؤون الثقافية العامة / حي تونس- الأعظمية ص.ب: ٤٠٣٢ :بغداد/جمهورية العراق هاتف ٤٤٣٦٠٤٤ فاكس:٤٤٦٧٦٠

المشاركة السنوية

أفراد/١٦٠٠٠ دينار: مؤسسات ٣٠٠٠٠ دينار/ داخل العراق.... أفراد /٨٦ دولار.. مؤسسات /٦٦ دولار/الدول العربية

أفراد٨٧/دولار.... مؤسسات/٧٢ دولار/الدول الاجنبية

رقم الايداع في المكتبة الوطنية (١٠٠) لسنة ٢٠١٥



في هذا العدد

في التواصل الحضاري والثقافي بين العرب والأمم الأخرى

من منظور تاريخي

د. نجاح هادي كبة
وزارة التربية/ معهد الفنون الجميلة



المورد
العدد
الثالث
السنة
٢٠١٥

توطئة:

من الإشكاليات الإبستمولوجية تحديد تعريف للثقافة: (Culturs) لأنها ذات محتوى طبولوجي يتمدد كالمطاط فهي(ليست محل اجماع من حيث الدلالة بين القواميس المختلفة، اذ تختلف من المعجم الانتولوجي إلى معجم التحليل النفساني، وتختلف حتى داخل المدرسة الفكرية الواحدة، مثل كلمة الأيديولوجيا .. وكلمة الحرية والديمقراطية، و" الدولة" والفلسفة" [١]. وبناءً على ذلك (لابد للباحث – في الثقافة – من الاجتزاز الذي قد يخل بالإحاطة والاستقراء) [٢] .

والثقافة تعني بمعناها الواسع (إضافة إلى الفنون" التقليدية منها والحديثة" وإلى الإعلام بأشكاله وجوانبه جميعا. أنماط التفكير وأساليب التصرف والحياة، والقيم والمثل والتعليم، أي كل ما يكوّن التراث والتكوين الفكريين والروحيين والنفسيين للشعب وسلوكه وتقاليده وطراز حياته .. وهذا يدخل كلّه ضمن ما يسمى بالشخصية الثقافية الوطنية والقومية" أو الهوية أو الذاتية الثقافية)[٣].

تنقسم الثقافة على مستويين:

الاول: مادي لباس، تقنية، عمران، ومبانٍ.

الثاني: روحي رمزي، قيم، أخلاق وقوانين(٤).

إن الاستقراء التاريخي للثقافة العربية والإسـلامية يلاحـظ عليها الدينامية والمرونة وعدم الانغلاق على الآخر ابـتداء من عصر ماقبـل الإسـلام وما تلته من عصور حتى العصر الحاضر، فما وفد من ثقافة روحية أو مادية على أرض العرب والمسـلمين من الشـعوب المجاورة قد اختلط بثقافة العرب وحـضارتهم وطوعوه في ذاتيتهم الثقافية ولم يعدوه جميعه ثقافة عدائية . بل عرفوا عملية التواصل الحضاري فيما لايمس حضارتهم وثقافتهم العربية والإسلامية وابتعدوا عن تضخيم"الأنا " ، لأنهم أدركوا أن الحضارة والثقافة عالميتان اشتركت الشعوب جميعها في ابـداعهما فهما عمليتان دائريتان تمرّ بهما الشـعوب والمجتمعات في مركز واحـد، هو السعي لتقدم الإنسان وأنسنته.

إن الحضارة والثقافة ليسـتا اصليتين يحـتكرهما شعب من دون آخر عبر التاريخ فهما كالبـنـاء الهرمي تشترك في بنائهما شـعوب العالم قاطبـة، فقـد أثّرت حضارة وادي الرافدين في الحضارة اليونانية القـديمة وفي شـعوب العالم المتحـضرة في الكتابــة والأدب والفلكلور والفلسـفة وغيرها، كما أثرت الحــضارة اليونانية القديمة في الحضارة العربــية والإسـلامية، لاسيما في العصر العباســي إذ تُرْجمت كتب اليونان إلى اللغة العربية وكان لبـيت الحـكمة أيام حـكم المأمون (ت٢١٨هـ) أثر في ذلك نُقِش على صفحـات التاريخ العربي والإسلامي بحروف من ذهب.

وفيما يأتي أضواء على التواصل الثقافي والحـضاري بين العرب والأمم الأخرى:

١. في اللغة: دخلت العربــية مفردات أجنبــية، وأخرى رافدانية فاستوعبتهما العربــية من الجاهلية إلى اليوم، وعرف العرب نظرية الاقتراض اللغوي وهي الأخذ من لغات الأمم الأخرى فما جاء جاريا على أصواتهم اللغوية سمّوه بالمعرّب، وما لم يكن كذلك سمّوه بالدخيل، وهما مستعملان كلاهما في اللسان العربي، ففي القرآن الكريم مفردات أجنبية مثل: سرادق، ماعون، زنجبيل ، سجّيل، وغيرها، وشخّصوا المفردات الأجنبية فقالوا فارســي معرّب، أو رومي معرّب، كما قــالوا فارســي دخيل، أو رومي دخيل، او حبشي دخيل وغيرها، وهذا ما ســمح للعربية أن تستوعب العلوم والفنون والآداب عبر التقدم الحضاري الذي وصل إليه العرب قـديما وحـديثا، أما الحضور الرافداني فكثير كالاتي:

آب = اسم الشــهر الثامن من الســنة، ومعناها في الأكدية: الحرّ المحُرق، بارية: حصير من القصب، وفي الأكدية، بورو، بيدر = الحصيد المركوم والمعد للدرس، وهي مفردة آرامية، دجّال = دجّال وفي الآرامية دكالا، وهي في العربية بالمعنى ذاته، ســلق = سِلق، بكســر السين = نبات ورقي وفي الآرامية سلقــا، بــالأكدية – صرصورو = الحشرة المعروفة(٥) وغيرها كثير.

أما اللغات التي للعربية فيها تأثير كبــير، بقــدر ما يقــرب من أكثر من ٣٠% من المفردات، فهي:الأوردية والفارسية والكشميرية والبشتونية والطاجيكية واللغات الكردية والتركية والعبــرية والأسبــانية والصومالية والسواحــــيلية والتجرينيــة والاورومـيــة والفولانية والهوســـــية والمالطية والبـــــهاما (مالايو) وديفهي (المالدين) وغيرها، بعض هذه اللغات مازال يســتعمل الأبجدية العربية للكتابة ومنها، الأورودو والفارســية والكشميرية والبشــتونية والطاجيكية والتركســتانية الشرقية والكردية والبهاسا(بروناي وآتشــيه وجاوة) ودخل الكثير في الكلمات العربية في لغات أوربية كثيرة

مثل: الألمانية، الانكليزية، الإسبانية والفرنسية [٦]. ويرى العالم اللغوي العراقي الأب أنستاس ماري الكرملي، والعالم الباكستاني محمد أحمد مظهر أن اللغة العربية أصل اللغات في العالم ." فنشر الشيخ العالم محمد أحمد بحثا مسهباً باللغة الانكليزية في مجلة" الأديان" الباكستانية بعنوان"العربية أم جميع اللغات" وقدم مئات من الكلمات الأجنبية ماحسبه مأخوذاً من العربية، مثال ذلك كلمة arrive الانكليزية فهي مأخوذة من" أرفأ" وكلمة aspire أي تلهف واشتاق مأخوذة من زفر "[٧] وغيرها. أما العلامة الكرملي فقال: لاحظت هذا المبدأ وهو كل كلمة ذات هجاء أو هجائين في الرومية" يقصد اللاتينية" أو اليونانية ولم تكن من أصل منحوت بل من وضع أصيل أو توقيفي فلا بد من أن يكون لها مقابل في لغتنا المضرية [٨] ."ومن جملة ماقدّم الأب الكرملي من أدلة هذا المثال الكلمة اليونانية، تنوّس، tunnos ومعناها الصبي الذي لاينمو. قال فاذا حذفنا"os" وهي علامة إعراب في اليونانية بقي من الكلمة" تنّ" وهي اللفظة العربية المقابلة للاغريقية ... كذلك ان كلمة Dieus اللاتينية التي معناها الله أو النور، إذا حذفنا منها السين وهو علامة الاعراب فالباقي مأخوذ من كلمة (ضوء) العربية" [٩] ونشر الكرملي نظريته هذه في كتابه (نشوء اللغة العربية واكتهالها).

ومهما قيل عن هذه النظرية فإنها تؤكد سعة اللغة العربية وقابلية انتشارها في أنحاء العالم.

٢. في العلاقات الاجتماعية: على الرغم من اعتزاز العربي بحسبه ونسبه، إلا أن ذلك لايعوق من نظرته إلى الآخر بروح إنسانية، فقد اختلط الدم العربي بالدم غير العربي من الجاهلية إلى اليوم، وهذا دليل على أن العرب لم يعرفوا التمييز العنصري، الذي شاع حتى في العصر الحديث، ففي كتاب مثالب العرب والعجم، في باب الأمهات أسماء العرب من أبناء الجشيات وأبناء النصرانيات الروميات، وأبناء السنديات، وأبناء النبطيات، بل حتى تقرأ عن أبناء اليهوديات، فمن أبناء النصرانيات الروميات من العرب: خالد بن عبدالله القسري وعبيد الله بن عبد الرحمن بن قحمة والأعور السلمي، ويزيد بن أسيد السلمي، ومدرك بن ضب الكلبي، وسلمة ابو شقيق بن سلمة بن ابي وائل من بني سعد بن ثعلبة، وحنظلة بن صفوان الكلبي [١٠].

وحين يغمز أو يلمز احد من كانت أمّه من غير العرب، يذكّره الآخر، بأسلوب مؤدب بصلة القربى يروى:(إن أم حنظلة خرجت يوما إلى الكنيسة ومعها جوارٍ لها فمرّت بحنظلة ومعه أعراب من كلب، فقال الأعرابي:إن علجتكم هذه لفتاك مالها من فتيانكم احد . فقال حنظلة:أجمل رحمك الله فإنها أُم بعض جلسائك[١١] . واستمر التزاوج بين العرب وغيرهم من الأقوام الأخرى عبر العصور، فنحن نقرأ أن أمهات الخلفاء والولاة والقادة من أُصول غير عربية، وهذا شأن الخلفاء العباسيين، فالمنصور أمّه جشيّة، والهادي والرشيد، أمُهما الخيزران،رومية والمأمون أمه مراجل تركية وكذلك أُم المعتصم ماردة.

وكان الانفتاح الديني على الآخر من الجاهلية إلى اليوم، من سمات العرب وعنوان شخصيتهم، ليؤكدوا أنهم جزء فاعل من الإنسانية، ففي كتاب مثالب العرب والعجم نقرأ أيضا عنوانا، فيمن كانت المجوسية واليهودية والنصرانية والزندقة دينه[١٢].

و" كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة. وكانت اليهودية في خيبر وبني كنانة

والفرسان وبني الحارث بن كعب وكندة. وكانت المجوسية في بني تميم" [١٣] .

والمجوسية:"هي نحلة،عُرفت عند بعض الجاهليين من طريق الفرس الذين كانوا يعتقدونها، انشد ابو علي النحوي:

أحارِ أريك برقا هبّ وهنا
كنار مجوس تستعرُ استعاراً

... والمجوس يقدسون النار والنور،وهي عندهم رمز الكثير من الأمور، وقد أخذ بعض العرب عنهم هذه الاعتقادات إمّا من طريق الحيرة وإمّا من طريق اليمن التي احتلها الفرس بعد أن طردوا الأحباش منها. وقد كان لمكة اتصال وثيق بالحيرة، كما كان للحجاز اتصال باليمن [١٤].

الحقيقة إن هذه الديانة الفارسية الأصل تركت أثراً بين العرب، وخصوصا في بعض معتقداتها، ومنها تقديس النار وعبادتها. فقد لعبت النار عند العرب دورا مهما في كثير من عاداتهم وتقاليدهم فإذا بها نار للتحالف تعقد حولها الأحلاف و .... [١٥]. والشيء بالشيء يذكر فقد حمل العرب المسلمون راية نشر الإسلام على بلاد فارس وغيرها من الدول فإذا بالمجوس أصبحوا في بلاد فارس مسلمين إلاّ أقلّهم وهكذا تقبل العرب الآخر كما تقبل الآخر العرب مما يدلل على ديناميةالثقافة العربية وأن التطور عبر التاريخ سنة الحياة عندهم.

لقد افاد العرب من حضارة جيرانهم، عندما فتحوا العراق، وإيران، والشام، ومصر، وأخذوا يكوّنون من ذلك، ومن تراثهم العربي الخالص، حضارتهم الإسلامية، ولقد أثر العرب وتأثروا عبر التاريخ بالعلاقات الاجتماعية بجيرانهم في المأكل والملبس والعادات والتقاليد وبناء القصور والسدود وتشييد المدن وغيرها، ما بوّأ العرب والمسلمين مكانة اجتماعية مرموقة عبر التاريخ .

يشير شوقي ضيف إلى أن التأنق في الملبس، والثياب في العصر العباسي بلغ حدا متميّزا، اذ كانت كلّ طائفة من طوائف الموظفين، ورجال الدولة، تلبس زيّا خاصا بها يميّزها عن غيرها من الطوائف الأخرى نتيجة لما عم في بغداد من لبس الأزياء الفارسية [١٦].

أما توكيدية الثقافة والحضارة بأنهما أصيلتان لايمكن ان تصمد أمام مساهمة شعوب العالم كلها في بناء جانب من الثقافة والحضارة، وبذلك تكون الثقافة والحضارة مشتقتين من تفكير الشعوب جميعها وللشعوب جميعها.

وقد أشار ابن خلدون في مقدمته أيضا إلى نفي ثبوت الصفات الخالدة للأمم [١٧] فالثقافة والحضارة في حلقة دورانية تشعّان على الشعوب كلّها وتنبعثان منها.

في العلوم والمعارف والفنون :

مع تقدّم النظام السياسي للعرب والمسلمين وتأسيس الدولة الأموية ثم العباسية عرف العرب والمسلمون أنواعاً شتى من العلوم والمعارف وتبادلوا الخبرة والمعرفة مع أنواع شتى من الأمم والشعوب، وأسهموا في بناء العلوم والمعارف وكانت بصماتهم واضحة في البلدان التي نشروا فيها الإسلام كأسبانيا، فصارت معامل" الورق والحرير والأقمشة القطنية ومصانع تصفية السكر تبنى في قرطبة وإشبيلية وطليطلة. وغدت المدن مراكز كبرى للصناعة والثقافة، ولهذا تنامى عدد من سكان المدن فجأة. واكتسبت مدن إسبانيا الإسلامية هيأة جديدة – قبب المساجد، والقصور، والأروقة والقناطر، والسطوح المنبسطة. كل ذلك ينشئ مايسمى بـ" الأسلوب المغربي" الذي

يمزج بين الفن المعماري الشرقي الإسلامي والبيزنطي. وكانت قمتها الحمراء الغرناطية وخيرالدة والقصور في إشبيلية، كما يمكن أن نحكم على مايصفه المعاصرون بشأن قصور بلاط الخليفة خارج المدينة" الزهراء" وحتى عند القيام بمقارنة سريعة بين الآثار المعمارية للقرون الوسطى في شمال إسبانيا – الدحداح والأبنية المظلمة – ونماذج الأسلوب المغربي يبدو للأعين وكانت المكتبات منتشرة في الأندلس ترفد الباحثين والعلماء بالكتب و" أصبح جمع الكتب هواية عامة بين الناس في الأندلس، وواجبا اجتماعيا في قرطبة، فكما كانت حجرة الضيوف تؤثث في تلك الأيام بأثاث غالٍ وجميل وغير ذلك، فقد كانت بيوت أعيان قرطبة تؤثّث بالكتب القيمة والنادرة المكتوبة بخط أنيق، والمجلدة تجليداً جميلاً .

وقد سمع المؤرخ ابن سعيد اباه يقول: إن قرطبة كانت المدينة الرئيسة في سوق الكتب لأن أهلها كانوا مولعين بإنشاء المكتبات" [١٩].

ولم يقتصر تأثير العرب والمسلمين في أسبانيا بل حتى على أوربا" وفي الوقت الذي بدأ انحسار العصر الذهبي الإسلامي، ابتدأ الطب ينمو في أوربا عن طريق مدرسة ساليبرنو الطبية التي أخذت الطب عن العرب المسلمين وتوسعت أعمال الجراحة إبان القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ... ولكننا يجب أن نذكر أن معظم العمليات الجراحية في أوربا كان يقوم بها "الحلاقون– الأطباء" ولم يأخذ الجراحون مكانهم الا بحلول القرن التاسع عشر من حيث التدريب والمكانة العلمية بينما نجد ان الزهراوي والمجوسي كانا يحتلان مكانة مؤثرة ومرموقة بوصفهم أطباء جراحين في القرن العاشر الميلادي "[٢٠] .

واهتم العرب والمسلمون بالترجمة كاهتمامهم بالمكتبات والمدارس لأنهم أدركوا أن العلوم والمعارف والفنون لاتزدهر من دون بناء قاعدة صلبة يستندون إليها.

" لقد بلغت حركة الترجمة ذروتها في العصور العباسية حتى جعل الخليفة المنصور" الترجمة" وكانت تسمى" بالنقل"وظيفة رسمية. وقد أُنْشِئتْ أوّل مدرسة للترجمة في العالم العربي تلك التي أسسها" هارون الرشيد"وهي" بيت الحكمة" ونمّاها" المأمون"وما لبثت هذه المدرسة أن أصبحت وريثة لمراكز علمية كبرى تنقلت العلوم فيها حتى وصلت إلى بغداد .. بما أحدثه علماء العرب من تطورات مهمة .. وفي الحقول العلمية المختلفة في الرياضيات والطبيعيات.... ومواضيع علمية جديدة كالجبر والمثلثات لم تكن معروفة في الحضارة الأغريقية، سوى بداياتها" [٢١].

ولابد من الإشارة الى أن الترجمة بدأت منذ العصر الأموي فيذكر" أنه ترجمت لخالد بن يزيد بن معاوية بعض كتب في الصنعة والطب والنجوم وأن عمر بن عبد العزيز أمر بترجمة كتيّب في الطب لأهون بن أعين وأن كتابا في تاريخ الساسانيين ونظمهم السياسية ترجم لهشام" [٢٢].

وفي العصر العباسي" كانت الفلسفة اليونانية والمعارف العلمية أعظم ما حملت هذه السيول، وقد مضى العقل العربي يستسيغهما ويمثلهما ويضيف إليهما اضافات باهرة، والمتكلمون وعلى رأسهم المعتزلة هم أهم من تعمّقوا في الفلسفة لجميع شعبها ودقائقها، وقد عرضوها على بساط البحث، واستطاعوا أن يتفردوا بكثير من النظريات والأفكار والآراء التي لم يسبقهم إليها سابق ... وكان هذا العقل قد أظهر نضجه

العلمي وإحكامه لوضع العلوم منذ القرن الثاني. ماتراه متجليا في العلوم اللغوية والدينية ومباحـــث التاريخ وعلم الكلام" [٢٣].

أما في الفنون فقد أثرت الفنون العربية والإســلامية في البلدان التي دخلها العرب والمسلمون لنشر الإسلام" ففي أثناء انتشار الإسلام في أندونيسيا كان هناك بعض أنواع الفنون فتركت كما هي على أن تستخدم كوســائل لأجل نشر الدعوة الإسلامية، وهذا هو السبـب في جعل بعض أنواع الفنون لفترة ماقبل الإسلام مازالت مستمرة أو أنها توفق في عروضها المقــدمة في الروايات مع مايتناسب مع الثقــافة والديانة الإســلامية.. إن دخول الثقــافة الإســلامية إلى أندونيســيا قـــد زاد الفنون الأندونيسية تألقاً وروعة ويمكن ملاحظة هذا في بعض الفنون الشعبــية التقــليدية للشـــعب مثل رقـــصة ديبــــوس (Debus)وردات (Rudat) وماو الان(awatan) بمنطقة جاوة الغربية التي تعد نتيجة للتفاعل الحي والتجاري مع الفن الاسلامي" [٢٤].

" أدخلت الموسيقـــى الجاوية تطوراً جديداً حـــيث اصطبغت بطابع ديني واقتربت الى البساطة والصوفية. وفي فترة الممالك الإسلامية حيث لاتزال سلطة الحكومة الإسلامية. كان الشعب يــجد التشــجيع لتأليف الأغاني الإســلامية الجذّابة، ففي أثناء حكومة الملك ســونان قدوس(Sunan kudus)١٥٨٣م بــدأ اختراع فن الصور المتحركة المسماة وايانغ قــولك(wayang Golek)وأصبح مشهورا ومحبوبا جدا بين الشعب في جزيرة جاوة باســتخدام الرسـومات والشـــخصيات المشــتركة في القـــصة المصنوعة من الجلد والمواد الأخرى" [٢٥].

أما في مجال الشعر" فثمة أمور تسترعي الانتبــاه عند النظر إلى مجمل الحالة الأدبية في غرب أوربا، بعد دخول المســلمين إسبــانيا – في الجانبــين العربــي والأوربــي، يتمثل العربــي بالموشـــح والزجل وفرق الطرب والنوبــــة وغير ذلك، ويتمثل الأوربــــي بالتروبادور" الشعراء الطروبيين" ... والشـــعر الذي يتغنون بــه المســـمى في الجانب الأوربـــي" البَلَد والرومانث" و" السونيت" لاريب من وجود علاقة بين الجانبين نتيجة التمازج الشعبي واللغوي والثقافي" [٢٦]." والشـــعراء التربــادور شـــعراء جوالون في جنوب فرنسا شعرهم شعبي يغنى (فتعلمت أوربا الشعر الغنائي من العرب الذي بدأ بالاغنية في جنوب العراق. ابــتكر ذلك الفن الشعراء التربادور في مقاطعة بروفنس جنوب فرنسا وقد تعلّموا ذلك الفن الجديد من الشــعراء العرب في إسبانيا ... انتقل هذا الشــكل الشــعري نفســه إلى ايطاليا في القرن الثالث عشر بواســطة ما كانَ يســمى (مدرسة صقلية) الشعرية، وقد أعجب وتأثر بشــعرائها كل من دانتي وبترارك .... وكان الشعب" في اسبــانيا" الذي يتكلّم العربية شعبا شاعرا مغنيا وقد ابتكر الموشح والزجل تأثرا بالمواليا والقوما والكان كان المشرقــية وهذه سيكون لها شأن كبير في نشأة الأدب الحــديث في أنحاء أوربا جميعها" [٢٧].

أما عن التواصل الموسيقي مع الأمم الأخرى" فبظل اتصال الموسيقى العراقية بعد الفتح الإسلامي بــالأمم الأخرى وحــضاراتها تطورت من وضعها البــدائي إلى حالات متقدمة، وهذا ماحتّم فعلا على قــيام موسيقـــى عراقية جديدة تتحضر شيئا فشيئا مبــتعدة عن إنشــاد البدوي الفطري التلقائي، السليقي وخصوصاً في قصور الخلفاء وفي الحواضر العربية الكبرى، بغداد، القاهرة، دمشــق، المدينة، قرطبـــة وغيرها. وقبـــل ظهور

(فيثاغورس) الذي يرجع إليه الفضل في إقـــامة نظام (المسافات) الموسيقية أو" السـلالم" أو" المقـامات" الموسيقية، تذكر الأســاطير القــديمة وجود سـلم ذي أساس خماسي وهو السلم الذي يرجحه المؤرخون على أن اكتشافه قد انطلق من حـضارة وادي الرافدين أولى حضارات التاريخ" [٢٨].

وقد تطوّر فن الخزف العربي" لقد اتبــع الخزافون العرب في البداية الأساليب التقليدية البسـيطة نفسـها التي كانت سائدة في صناعة الفخار والخزف في العراق ومصر والشام، إذ أنه بخلاف معظم الصناعات الأخرى لم يجد العرب الفاتحون أمامهم في البـلدان المفتوحـة صناعة خزف متطورة، فلم يكن هناك إلاّ أنواع بسـيطة من الفخار والخزف المزجّج الغفل من الزخرفة، غير ان هؤلاء الخزافيين أخذوا مقاليد الأمور في هذه الصناعة منذ القرن الثاني الهجري فبـاتوا يتفننون ويبـتكرون سواء كان ذلك في التقنية أم في الأشكال أم في الزخرفة. فأصبحت هذه الابتكارات من مميزات صناعة الخزف في العالم العربي والإسلامي [٢٩].

استنتاج وتعقيب

من طريق ماتقدم يتضح:

١ .ان العرب لم يكونوا نقلة للعلوم والفنون والمعارف، بل ابتكروا وأبدعوا فيها وكان للعقل العربي اليد الطولى في تمثّل ماوفد منها من الآخـر، فصاغـوه جديـدا أو مصححا أو مبدعا مبتكرا.

٢ .المرونة في الانفتاح الاجتماعي واللغوي للعرب مـع الآخر، فلا يعوقهم عائق في التعامل مع الآخر المختلف سواء في العلاقات الاجتماعية كالزواج أم قبول مفردات من لغة الآخر. فهم لايتقوقعون في العرقية والتعصب.

٣ .ان قسـما من عرب الجاهلية يتميّزون بــالانفتاح الحضاري والثقافي،عن طريق اعتناقـهم أديانا مختلفة كالمجوسية واليهودية والنصرانية.

٤ .دلّ العقل العربي والإسلامي على دينامية متحـركة، لاتعرف الاستاتية في التواصل الحضاري والثقـافي مع الآخر، فقد تقـبّلوا العلوم والمعارف والفنون من الآخر بسعة صبـر وطول أناة في التفكير بالبحـث والإبـداع والابتكار .

٥ .كان للسياســـي أثرٌ في التوجه العلمي والمعرفي والفني، فقـد شـجّع الكثير من الخلفاء العلوم والآداب والمعارف والفنون، مما سـجّل للتاريخ العربـــي والإسلامي صفحات خالدات كتبت بأحرف من ذهب.

٦ .لايعرف التطور العلمي والمعرفي والفني للعـرب الحدود الزمكانية، فقـد انتشـرت العلوم والمعارف والفنون في البلدان التي فتحها العرب لنشر الإسـلام في أوربا وآسيا وأفريقيا.

الحواشي

١ .الثقافة الجنسوية الثقافية، الذكر والأنثى ولعبة المهد، ص ٤٧ .

٢ .مقاربات في العقل والثقافة، ص ٧٣ .

٣ .الغزو الثقافي ومقاومته، ص١٢ .

٤ .أنظر: الثقافة الجنسوية، المصدر نفسه، ص ٤٩ .

٥ .أنظر: الحضور الأكدي والآرامي والعربـي الفصيح في لهجات العراق والشام العامية، ص٨٣.

٦ .المصدر نفسه، ص١٧١ .

٧ .أصول تدريس اللغة العربية ، ص ٢٠ .

٨ .المصدر نفسه، ص٢١ .

٩ .المصدر نفسه، ص٢١ .

١٠ .أنظر: مثالب العرب والعجم، ص١١٢ .

١١ .المصدر نفسه، ص ١١٢ .

١٢. المصدر نفسه، ص ١٦٧ .

١٣ .المصدر نفسه، ص ١٦٧ .

١٤ .أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، ص ٨١-٨٢

١٥ .المصدر نفسه، ص ٨٣.

١٦ . انظر: تاريخ الادب العربي، العصر العباسي الأول، ص ٤٤.

١٧ . مقاربات في العقل والثقافة، ص ٢٢١ .

١٨ .المسائل النظرية في الآداب الشرقية، ص ١١١-١١٢.

١٩ .المكتبات العربية في الأندلس، ص ٤٧ .

٢٠ .من تاريخ العلوم عند العرب، ص٥-٦ .

٢١ .المصدر نفسه، ص١٣ .

٢٢ .تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، المصدر نفسه، ص ١٧١ .

٢٣ .المصدر نفسه، العصر العباسي الأول، ص ١٧١ .

٢٤ .دراسات في التراث العربي، ص ١٧٢ .

٢٥ .المصدر نفسه، ص ١٧٢ .

٢٦ .الشعر والقصة في الأدبين الأندلسي والأوربي، ص٩ .

٢٧ .المصدر نفسه، ص٥٧-٥٨ .

٢٨ .حضارة العراق، ج٩، الموسيقى والغناء، ص٥٣٣ .

٢٩ .المصدر نفسه، ج٩، الفنون الزخرفية، ص ٣١١ .

المصادر

- ابن السائب الكلبي، أبو منذر هشام بن محمد، مثالب العرب والعجم، تحقيق: د. محمد حسن الدجيلي، دار الأندلس، لبنان - بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- إمام الدين، الدكتور س.م، المكتبات العربية في الأندلس، ط١، ترجمة، كاظم سعد الدين، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ٢٠١٣م.
- الحاج، د. عزيز، الغزو الثقافي ومقاومته، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، طبع دار آفاق عربية للصحافة والنشر.
- حميد، د. عبد العزيز، الفنون الزخرفية في كتاب، حضارة العراق لمجموعة باحثين، ج٣، بغداد، ١٩٨٥م، دار الحرية للطباعة.
- دغيم، د. سميح، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، دار الفكر اللبناني، بيروت، بلا زمان.
- دولة، سليم، الثقافة، الجنسوية الثقافية، دار المحبة - دار الراية، مركز الانماء الحضاري، د ش. ٢٠٠٩م.
- الرحيم، د. أحمد حسن، أصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ط٢، ١٩٧١م.
- الزركاني، د. خليل حسن، دراسات في التراث العربي، بغداد، ٢٠١١، مكتب الغفران للخدمات الطباعية.
- سعد الدين، كاظم، الشعر والقصة في الأدبين الأندلسي والأوربي، ترجمة وتحرير، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ٢٠١٣م.
- الشماع، د. سالم مجيد، الجراحة في الفكر المجوّسي، في كتاب من تاريخ العلوم عند العرب، لمجموعة من الباحثين، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٩٧م.
- شيدفار. ب. النثر العربي والأدب الإسباني للقرون الوسطى في كتاب، المسائل النظرية في الآداب الشرقية، لمجموعة باحثين، ترجمة: د. عز الدين مصطفى رسول، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٩١م.
- ضيف، د. شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ط١٩، دار المعارف، القاهرة ،٢٠٠٨ .
- مبارك، محمد، مقاربات في العقل والثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤م.
- الهاشمي، عادل، الموسيقى والغناء، في كتاب حضارة العراق، ج٩، لمجموعة باحثين، ج٣، بغداد، ١٩٨٥م.

المواطنة فكر ومنهج

للتعايش القومي والديني



د. صبيح كرم زامل الكناني
كلية الشريعة الاسلامية/ جامعة كربلاء

المورد
العدد
الثالث
السنة
٢٠١٥

المبحث الاول

مشكلة البحث

يمر الكون بتحديات وتغيرات عديدة وكبيرة غلفتها مناهج وافكار وثقافات وقيم ،ان النظام الثقافي المسيطر في هذه الحقبة الزمنية هو النظام السمعي – البصري عبر تكنولوجيا الاتصالات الذي اتاح لعشرات الامبراطوريات الاعلامية ان تبث الملايين من الصور كي يستقبلها البشر تكون سببا في ان يتيه بين ثقافات متعددة ومتناقضة احيانا تسعى هذه الثقافات العولمية لاختزال الثقافة الوطنية والقومية ، انها تعد اغتصاب ثقافي ، مما يفرض على التربية بثلاثيتها النظامية وغير النظامية واللانظامية ان تتبنى تنشأة الجيل على حب الوطن وتنمية روح المواطنة على وفق فلسفة تربوية تعد فيها المواطنة رسالة وحق وانتماء تربيه على حب الوطن بشعور جمعي يشد ابناء الوطن وتملأ قلوبهم المحبة والانتماء لوطنهم بكل مكوناته الاجتماعية وهنا تكمن مشكلة البحث بان المواطنة عابرة

للقومية والدين والمذهب .

اهمية البحث

تتأتى اهمية البحث من ان الشعور بالوطنية حتى وان ضعف لأي سبب من الاسباب لابد وان يظهر كونه يتسق بالدولة التي هي عبارة عن جغرافية ذات حدود واضحة تمتلك الحرية الكاملة ويسكنها شعب ذو ارادة حرة تجمعه روابط متعددة بحكم حقوقهم وواجباتهم ودستور متفق عليه وانه عندما يمر الوطن بمحنة في ظل ظروف سياسية معينة خارجة عن ارادته قد تفقده ركنا من اركان المواطنة بسبب بفعل ارادة داخلية او خارجية يبقى الانتماء الوطني فوق الانتماءات الحزبية والدينية والطائفية والعرقية والعشائرية كون هذه الانتماءات صغيرة لا تعطي مزايا لمنتميها ، اذا لم تتفاعل هذه الانتماءات وتذوب في الانتماء الوطني فلن تكون اداة تميز بين ابناء الوطن في تولي المهام والمسؤوليات وان حصل ذلك فانه سيكون وسيلة تمزق اللحمة الوطنية من هنا تكمن اهمية البحث من اهمية موضوعته اذ ان قوة الوطن تكمن في مساحة الحرية التي يتمتع بها مواطنيه فضلا عن سيادة القانون الذي يحكم به ويذل الوطن وتغيب المواطنه ان غابت الحرية وضاع القانون .

هدف البحث

اذا لم يكن الوطن للجميع لم يكن الجميع للوطن

التعريف بالمصطلحات

الوطن : المنزل الذي نقيم به وهو موطن الانسان ومحله وجمعه اوطان/ لسان العرب بن منظور .

المواطن : هو الشخص ان كان طبيعيا او اعتباريا الذي ينتمي لوطنه يحافظ عليه ويحميه ويعمل على تقدمه والنهوض به بكل ما يستطيع ، ومهما يحمل من افكار ومبادئ سياسية او اقتصادية او اجتماعية .

المواطنة : هي شيء فطري فطر الله الانسان عليه ولا يمكن للإنسان ان ينسى البقعة التي احتضنته وترعرع في تربتها وتعلم ونشاء فيها وارتزق من خيراتها وامتزج وانسجم مع طبيعتها وطبيعة سكانها حتى صار عضوا فعالا بخيره وشره.

او هي العقد الذي يتم بين المواطنين والدولة ككيان بالتراضي ويترتب بموجب هذا العقد عددا من الحقوق والواجبات يتطلب الالتزام بها من الطرفين كما وردت في الدستور الذي اقره الشعب .

او هي هبة وكينونة من الله عزوجل وليس لأية قوة في الارض الحق بالتحكم فيها مهما كانت سلطتها، وان الشعوب تفتخر بانتمائها لأوطانها على الرغم من الاختلافات الاثنية بينها، لان الوطن للجميع والانتماء اليه والحرص على هذا الانتماء يمثل التفاعل بين افراد الامة والمصير المشترك لوطنهم الذي ينتمون اليه. (العراق اولا، ٩: ٢٠٠٧)

الارهاب لغة : مصدر ارهب يرهب ارهابا وترهيبا واصله ماخوذ من الفعل الثلاثي رهب تقول : رهبت الشيءُ رهبا ورهبا ورهبة اي : اخفته (ابن منظور، ٣٣٨: ١٩٩٧)

الارهاب في التشريع : انه كل فعل اجرامي يقوم به فرد او جماعة منظمة استهدفت فردا او مجموعة افرادا او جماعات او مؤسسات رسمية او غير رسمية اوقع الاضرار بالممتلكات العامة او الخاصة بغية الاخلال

بالوضع الامني او الاستقرار والوحدة الوطنية اوادخال الرعب والخوف والفزع بين الناس او اثارة الفوضى تحقيقا لغايات ارهابية . (المادة الاولى من قانون مكافحة الارهاب رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٥)

المبحث الثاني

المواطنة رؤية اسلامية

تأسس المجتمع الاسلامي في المدينة المنورة في السنة الاولى من الهجرة النبوية في هذه السنة وضع الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم دستور الدولة السياسي والتنظيمي لإدارة المجتمع والدولة الفتية عرف الدستور بـ (صحيفة المدينة) والتي تم الاعتراف بالمواطنة لغير المسلمين وعضويتهم الكاملة في المجتمع الجديد وحددت فيه الواجبات والحقوق شانهم شان المواطنين المسلمين ومما كتبه الرسول عليه واله الصلاة والسلام الى نصارى نجران يؤكد فيه حقوقهم الكاملة في ظل الاسلام وهذا نصه ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله الى الاسقف ابي الحارث ، واساقفة نجران وكهنتهم ، ومن تبعهم ،ورهبانهم:ان لهم ما تحت ايديهم من قليل وكثير، من بيعهم وصلواتهم، ورهبانيتهم ، وجوار الله ورسوله، لا يغير اسقف من اسقفيته ، ولاراهب من رهبانيته ، ولا كاهن من كهانته ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا شيء مما كانوا عليه على ذلك جوار الله ورسوله ابدا ما نصحوا واصطلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين) (المنتظري، ١٩٨٨:٧٥٢)

ومبدأ التكافل الاجتماعي مضمون لكل افراد المجتمع مع تنوع اديانهم وخير مثال على ذلك ما امر به امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام)اثناء خلافته عندما راى شيخا مكفوفا يستجدي الناس فقال الإمام مستنكرا ماهذا قيل له يا امير المؤمنين انه نصراني فقال عليه السلام (استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه انفقوا عليه من بيت المال)

وكانت الفرصة متاحة للجميع بمختلف دياناتهم لتولي المناصب والاعمال الحكومية وقد افتى علماء الدين السنة والشيعة بجواز ان يتولى غير المسلم وزارة التنفيذ (الصفار ، ٦١: ١٩٩٧) .

إن المفاهيم التي ترتبط بمفهوم المواطنة ترتبط به؛ إما باعتبارها الوعاء ، أو الأرضية التي تمارس ضمن إطارها–الوطن والدولة–أوعلى سبيل المرادفة كالوطنية، والانتماء، والولاء،أو باعتبارها خصائصَ تميز الذات عن غيرها كالهُوية والقومية،أو باعتبارها رابطة قانونية بين الفرد والدولة فيما تتمثل به الجنسية القانونية.

اولا: إن القضية في مفهوم المواطنة ليست قضية انتماءٍ هَشٍّ، يقوم على مشاعر تعبر عن الانتماء و الولاء؛إذ الانتماء والولاء إذا خلا من المصداقية القائمة على الوعي والثقافة والممارسة، فإنه يبقى بعيدًا عن تحقيق المواطنة الرشيدة الكفيلة بتعزيز التنمية في المجتمع في مختلف نطاق تفاعلاته .

ثانيا: إن وثيقة المدينة أو دستورها يضع أساسًا جديدًا لحق المواطنة، لا يقوم على قرابة الدم أو صلة العقيدة، وإنما يتكون حق المواطنة فيه من عنصرين كلاهما إيجابي، فأما العنصر الأول، فهو الانتماء إلى

الإقليم، وأما العنصر الثاني، فهو الوفاء بالالتزام.

ثالثا: فإن دلالات النصوص القرآنية تقرر أن الوطن (الديار) قرينًا للروح، كما اعتبرت الإخراج منه لا يقل منزلة عن القتل سواء بسواء، وقــررت أن الخروج من الوطن قهرًا نُصرة للدين من أعلى مراتب الإيثار، كما أكدت على أن من خرَج من وطنه، فإنه يستحــق نُصرة الله له، وأن من حب الوطن الدعاء له بــالأمن وسَعة الرزق.

رابعا: إن دلالات الســنة النبــوية تقــرِّر في دلالاتها لمفهوم الوطن ضرورة إظهار الحب والشوق للوطن، وإعلان الحنين إلى الوطن والتغني بحبــه، كما تؤكد أهميَّة حــــب ما في الوطن من معالم لها في النفوس ذكريات ومواقف، وتقــرر كذلك الحـث على ملازمة الوطن، وفي ذات الوقــت إعلان الولاء للوطن الجديد والتعلق به، مع بقاء الولاء للوطن الأصلي والجديد، ومن خلال ما قرَّرته نصوص الكتاب والسنة من أبعاد لدلالات مفهوم المواطنة، أن حــــب الوطن وإظهار الشوق إليه عبادة ربــانية ترتبــط بحــاجة الفطرة الإنسانية في صناعة العلاقة بين المنبت والمُنبــت، كمــا أن الهوية الوطنية لا يمكن أن تتشــــكَّل مَهْمَا جمعتها القواسم المشتركة من أيديولوجية واحدة أو توجُّه فكري واحد، بل هي عبــارة عن مجموعة من الأيديولوجيات المتناغمة غالبًا بنسب متفاوتة ما بين مجتمع وآخر، حســب تصنيفه كمجتمع متجانس أو تعدُّدي، أو فسيفسائي. هذا فضلاً عن أن هذا المفهوم باعتبــاره مجموعة من الأيديولوجيات لا يعد مفهومًا مطلقًا، بل هو مفهوم يتشكَّل حســب الفترة التاريخية التي نشأ فيها، وحسب الواقع الاجتماعي الذي يسود فيه.

إنَّ مفهوم الوطنية وممارسة المواطنة يَعكس التزامًا أخلاقيًّا تُجاه المكان الذي يسكنه الإنسان، وذلك بدءًا بالحب وانتهاءً بتجسيد متطلباته فكرًا بالولاء والشعور بالانتماء، وعملاً بالعطاء المتبادل البنَّاء بــين الوطن ومسؤوليه ومَن يسكن فيه.

والقانون الاسلامي يحمي حقوق الجميع مع تنوع اديانهم ويسجل التاريخ بإكبار كيف ان مواطنا يهوديا نازع امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في درع فحضر الإمام معه مجلس القضاء عند شريح القاضي وجلس في جنب خصمه اليهودي (المجلسي، ١٩٨٣: ٥٦).

إن تحقيق المقاصد الكفيلة بدعم مقتضيات إنسانية الإنسان، تستلزم تحقــيق توازُن كفيل بــدعم معايير الموضوعية؛ تجنُّبًا للإفراط والتفريط، وابــتعادًا عن المثالية، وتحقيقًا للواقعية المدروسة المنطلقــة من معطيات الواقع، والمستشرفة لتعزيز منظومة التغيير المَرِنة في مستقبل المجتمع، وذلك من خلال منهجية مدروسة وبعيدة المدى، تخضع لمؤشــرات يمكن من خلالها رصد مختلف جوانب التنمية لمفهوم المواطنة الإيجابية في المجتمع. وبناءً على ما تَمَّ التوصل إليه من خلال هذه الدراسة، فإنه لا يوجد دليل قطعي على تحريم بناء دار لعبادة غير المسلمين في ديار المسلمين أخذًا بالقــرائن والاســتدلالات، وأن ذلك مرتبـــط بالضوابط المقررة شرعًا ارتباطًا لا يَنفك، وأنه يمكن بذلك أن يعد من قبيل المعاملة بــالمثل. كما أن الولاء

بلا دين يسهُل معه تحويل هذا الولاء المبـالغ فيه إلى سلعة يُقتضى بها الغرض، فمن يدفع أكثر، فسيبـاع الوطن له، لكن الولاء الديني يبقى ضابطًا للإنسـان، حافظًا له من المزايدة والتسليع، وبيع مصالح بـلده وقومه لمصلحة خاص ومن جانب آخر، فإن تقـرير التعامل مع المعطيات والمسـتجدات في الغرب منوط بالعلماء وأصحاب القرار فيها، فهم الأدرى بأوضاعهم وأحـوالهم، وهم عليهم عند اتخاذ القـرار ضرورة اعتبار مصلحة الكِيان الإسلامي في ذلك.

إن تفاعُل المسـلم في العالم الغربـي – ديار غير المسلمين – سواء أكان مواطنًا، أو مقيمًا ينبـغي أن ينضبط بضوابط الإسـلام ، وأن ينطلق المسـلم في تصرُّفاته وتفاعُله مع المجتمع غير الإسلامي تفاعلاً منظمًا وواعيًا؛ لأنه صاحب رسالة، ومكلف بـخدمة الدعوة.

الولاء للوطن يعني الولاء للأرض عمارة، وللقوم إحساناً،وللقانون التزامًا،وللسلطة طاعة في المعروف، وعليه فإنه لا يصح بحال أن تقدم الطائفية والعرقـية على الولاء للوطن؛ وذلك لأن هذا – من خلال تجارب الواقـــع – يؤخِّر كل أطراف الصراع داخل الوطن، ويهدم الأمن والتنمية لكل أبـنائه وفي حـب الوطن يقول احمد شوقي

وطني لـو شغلت بـالخلد عنـه
نـازعتني اليـه في الخلـد نفسـي
شهد الله لم يغب عـن جفونـي
شـخصه سـاعة ولم يخل حسـي

اذن لابد من غرْس المصداقية القائمة على الوعي والثقافة والممارسة، من أجل تحقيق المواطنة الرشيدة الكفيلة بتعزيز التنمية في المجتمع في مختلف نطاق تفاعلاته، مما ينعكس على تحقيق المواطنة الإيجابية، وفقًا لاعتبارات الانتماء للإقليم والوفاء بهذا الالتزام.

المطلوب تعزيز ثقافة المواطنة، من خلال ما تقرره نصوص القرآن الكريم من دلالات تعبـر عن البـعد التعبـدي للتعلق بـالوطن والدعاء له ومحبتـه، مع ضرورة الاستغلال الإيجابي للتعددية الأيديولوجية في المجتمع بتهذيبها،واستثمار تنوُّعها،من خلال تحقيق الانسجام المتوائم، فضلا عن الاستفادة من التجربـة العتيدة الممتدة لأمة الإسلام في معالجة مفهوم المواطنة، من خلال تطويرها وَفق متطلبات العصر في ظل تسارُع المدنية والحداثة، وما يفرضه شـكل الدولة المعاصر من قوانين وتشريعات.

يحـتل مفهوم المواطنة موقـعاً مركزياً في الفكر القانوني والدستوري المعاصر. إذ ان المواطنة، بما تشكل من شخصية اعتبارية لها حقوق وواجبات، وهي أحد الأعمدة الرئيسة للنظريات الدستورية والسياسية المعاصرة. إذ ان الفكر السياسي الحـديث يعتمد في البناء القـانوني للوطن على هذا المفهوم ويحـدد له جملة من الاجراءات والاعتبارات. لذلك فإننا نعتقد أن تطوير واقعنا السياسي والقانوني اليوم، مرهون الى حد بعيد على قدرتنا على المستويين النظري والعملي لبلورة هـذا المفهوم ، وتوفيـر المنـاخ السياسـي والقانوني والثقافي لكي يتبلور هذا المفهوم كحقـوق وواجبـات في الفضاء الاجتماعي والوطني. فإطار المواطنة في المنظور الحضاري، يقـوم على مفهوم الجماعات الحرة والمتوافقة والمتعايشة بـالتراضي والوئام والشراكة. والتجارب السياسية في العديد من

المناطق والمجالات الحضارية، أثبتت أن دحر الخصوصيات الذاتية او الجماعات الفرعية لصالح الإطار العام، لا يفضي الى وحدة ومواطنة سليمة، بل تدفع محاولات الاقصاء والدحر الى تشبث كل جماعة بذاتها وخصوصياتها وتنعزل نفسياً وشعورياً وثقافياً عن الجماعات الاخرى.

وعبر الممارسات المقيدة بضوابط العدل والحرية، يتم تطوير قواعد الوحدة والاجماع الوطني. ودستور المدينة المسمى تاريخياً بصحيفة المدينة التي صاغ بنودها رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم، هي عبارة عن معاهدة قانونية جمعت كل الاطراف وتعبيرات المجتمع على أساس دستوري لكل طرف حقوق وواجبات ومسؤوليات. إذ حددت الصحيفة مجموع المبادئ والقواعد والمسؤوليات التي على أساسها قامت هذه الرابطة ويتم الدفاع عنها. إذ جاء فيها(وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم.وأن يعطوه بالمعروف في فداء او عقل، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه. وان المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم او ابتغى دسيعة ظلم واثم، او عدوان، او فساد بين المؤمنين. وان أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم. ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن وان ذمة الله واحدة،يجير عليهم أدناهم.وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس)

ان الانموذج الذي ارست دعائمه صحيفة المدينة سعى الى تأسيس الوحدة على قاعدة الاختيار الحر والرابطة الطوعية القانونية بين تعبيرات وقوى مجتمعية تتساوى في الحقوق والواجبات وتتعاون على حماية حرياتها ومكاسبها الوطنية والاجتماعية.

اذ ان المواطنة ليس من شروطها الاتفاق في الرأي او الاشتراك في الدين او المذهب او القومية. ان مفهوم المواطنة يستوعب كل هذه التعدديات والتنوعات، ويجعل المناخ السياسي والثقافي والاجتماعي مؤاتياً لكي تمارس كل هذه التعدديات دورها ووظيفتها الحضارية والوطنية في اثراء الواقع الوطني ومده بأسباب الاستقرار والانسجام الاجتماعي. وترتكب جريمة كبرى بحق الوطن (أي وطن)، حينما يتم التعامل مع مفهوم المواطنة على مقاس واحد وفي حدود الاشتراك في أحد العناوين السالفة.

ان الانبياء اقتصر دورهم على تبليغ رسالة الله وليس لهم الحق في السيطرة والهيمنة واجبار الناس على قبول دين الله فانقسم الناس الى فئتين فئة استجابت وامنت واخرى اعرضت اذ قال تعالى(فهل على الرسل الا البلاغ المبين . ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى ومنهم من حقت عليه الضلالة) النحل : ٣٥- ٣٦

وقال تعالى(لا اكراه في الدين)البقرة:٢٥٦.واشار الباري سبحانه وتعالى الى الحوار الحسن بين الاديان وان يسوده الموضوعية والاحترام المتبادل اذ قال تعالى (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن) العنكبوت : ٤٦

إن المواطنة لا تبنى بدحر خصوصيات المواطنين او تهميش بعضهم لدواعي ومبررات دينية او عرقية او مذهبية ، وانما تبنى كحقيقة واقعية باحترام الخصوصيات وفسح المجال القانوني والثقافي لكل التعدديات واتاحة المشاركة في بناء الوطن وتعزيز قوته وانجاز مشروعه التنموي والحضاري. وكل

ثقافة تؤسس للتمايز او التفريق بـين أبـناء الوطن الواحد على أسس تاريخية او فكرية وسياسـية، هي ثقافة تساهم بشكل او بآخر في تقويض أركان الوحدة الوطنية،وتدق اسفينا في مشروع الوطن والمواطنة. فالمواطنة كمفهوم واجراءات وحقائق، هي الابـداع الانسـاني الدسـتوري الذي يضمن لجميع المكونات والتعبيرات المشاركة في ادارة الشـأن العام واثراء الوطن على مختلف الصعد والمستويات.

ولم تتدخل حكومة الدولة الاسـلامية في الشـعائر الدينية لأهل الذمة بل كان بعض الخلفاء يحـضرون مواكبهم واعيادهم وفي حـالة انقـطاع المطر كانت الحكومة تامر بعمل مواكب يسير فيها النصارى وعلى راسهم الاسقف واليهود ومعهم النافخون في الابواق (آدم متز، ٨٥ :بدون سنة)

ان الوطن الذي تتعدد انتماءات مواطنيه، لا خيـار أمامه لضمان الوحـدة والاستقـرار إلا تأسـيس الأوضاع القانونية والسياسـية على مبـدأ المواطنة ومقتضياتها الدستورية والسياسية. اذ تكون مؤسسة الدولة محايدة تجاه انتماءات مواطنيها.. بـمعنى ان انتماء المواطن الديني او القومي او العرقي، لا يزيد من فرصه مكاسبـه وامتيازاته، كما انه ليس سبباً لانتقاص حقوقه او حرمانه من المشاركة في الحـياة العامة.

ومن شواهد المواطنة في الدولة الاسـلامية كان المتصرفون النصارى واليهود يقسمون اليمين ، شانهم شان المسلمين وقد جاء في كتاب ديوان الانشاء الذي الف عام(٨٤٠هـ) صيغة اليمين الذي كان يقسـمه اليهود في ذلك العهد وذكر ايضا ان اول من استحدث هذه الايمان لأهل اليهودية الفضل بـن الربـيع وزير الرشيد (ادم متز ، ١٠٦ : بودن سنة)

ان التعدد لا يمكن أن يدار في الإطار الوطنـي إلا بمواطنة تضمن للجميع حقوقـهم، وتفسـح المجال أمامهم للالتزام بواجباتهم والقـيام بمسـؤولياتهم. والتعايش في الوطن هو الخيار الذي يجعل من التنوع روافد متعددة في مسيرة البناء الوطني وتعزيز روح المواطنة عند جميع ابـناء الوطن الواحـد وفي هذا يقول إلامام محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب (عليهم السلام){ صلاح شـأن الناس التعايش }

المبحث الثالث

الارهاب ازمة المواطنة

ان نشوء تجربة العراق الحديث اقترن بسـيطرة ثلاث تيارات رئيسة وتوجيهها وقـيادتها هي التيار القومي والتيار الشيوعي والتيار الاسلامي وقد اضرت هذه التيارات بالمواطنة والوطنية والوطن ان كان ذلك في نظرياتهـا السياسية او تجاربها الميدانية ام في خطابها في الوعي والسياسة والتغيير حتى غيب العراق واصبح تابعا او مجيرا لعواصم عربـية واسـلامية واممية وهكـذا سحقـت المواطنة تحـت وطـأة التنظير والولاء والتحالف (العادلي، ١٩:٢٠٠٤م)، واصبحـنا نعيش المثاليات في فكرنا وخيالنا باسـم الهويات العامة والحالمة والمثالية المصطنعة والزائفة احيانا واستمر تعاطينا حتى بـعد (٢٠٠٣م) مع الذات العراقية الوطنية الجديدة عبـر منطق الانا الفكرية او

الحزبية او العشـائرية او الطائفية او المناطقـية او العائلية او الفردية في ظل غياب الـ (نحن) . وحتى النخب الفكرية والسياسـية بقـت تفصلها عن فكرة المواطنة مسافات ، الأمر الذي احتاج إلى حـوارات شاملة عن الآخر والتعايش معه على أساس المشترك الإنسـاني. ويتطلب ذلك نوعاً من الشـرعية التي يحـددها إطار قـانوني، يمكن من خلاله التنافس المشروع على أساس سلمي وتراكمي وبشكل علني، لاسيما بعد الإقـرار بـالتعددية والتنوّع في إطار هوية جامعة واحـترام الهويـات المصغرة الـدينية أو القومية أو الثقافية للجماعات المختلفة.

إن أركان ومقـوّمات المواطنة تفترض وجود دولة قبل كل شـيء، ثم وجود مواطن، ووجود وطن يشعر المواطن بالانتماء إليه، ينظم الحـياة العقـد الاجتماعي والسياسي بين الدولة والمواطن، أي أن العلاقة بين الوطن والمواطن علاقة تعاقدية في إطار نظام ديمقراطي أو يسير حثيثاً باتجاه الديمقـراطية، وإلاّ ستكون الحقوق ناقصة. المواطنة تقوم على عدد من المبادئ منها: مبدأ المساواة والحرية والحق في المشاركة والعدالة الاجتماعية.

ان الفنان والاديب والعالم والشاعر لا يمكن له ان يبدع مالم تتوفر له بعض المستلزمات ومن اهمها حرية التعبير والعيش في اجواء طلقة تسـودها المسـاواة والاحترام لتتنفس البشرية ، ان سكان وادي الرافدين قد تمتعوا بقدر من هذه الحرية ودليلنا في ذلك هو ان كل تلك الانجازات العظيمة في النحت والعمارة والادب والعلوم الصرفة الانسانية كانت على حد سواء(العطار ٢٠٠٤:١٩)

أما الانتقاص منها أو إهمالها أو إقـصاء جوانب منها فإن الفرد المنتظم في جماعة، المواطن الإنسان سيشعر بالغبن والحيف وقـد يضعف لديه الشـعور الوطني، وقـد يهرب من الوطن أحـياناً لاسـيما إذا تعرّض للاضطهاد والقمع، فكيف تستقيم المواطنة مع الفقـر أو الأمية أو التخلف أو التمييز أو القـهر السياسي أو الاجتماعي أو القـومي أو الديني أو منع المواطن من المشاركة أو مصادرة الرأي والظلم وعدم التوزيع العادل للثروة وانعدام تكافؤ الفرص والتمييز وعدم المسـاواة، و حـرمان المواطن من حقـه في المشاركة في إدارة الشأن العام.

إن غياب المواطنة والانتقاص من حقوق المواطن أو الاعتداء عليها جعلـت الكثيـر مـن المواطنيـن ينكفئون أو يعيشون في عزلة، وأحـياناً يعبّرون عن تبرمهم واحتجاجهم بطرق سلبية بما فيها اسـتخدام العنف أو الانخراط في حركات إرهابية، وبسبـب ذلك الواقع المرير، تكون علاقة المواطن بالدولة تشكيكية وعدائية احيانا اخرى ، بما فيها علاقـته بـالمرافق العامة والبيئة والخدمات.

والبعض يستعيض عن المواطنة عبر التخيّل، أي ربـما الإرهاب له جذوره الاجتماعية والاقـتصادية إضافة إلى جذوره السياسـية والقـومية والدينية والثقافية والنفسية وغير ذلك.

ينزع المواطن إلى بدائل قد تكون سلبية أو إيجابية، فإما الانكفاء والقـنوط أو التمرد والعنف. وعندما تتعرض المجتمعات للتعسف وتنسف فيها الوسـطية ومبادئ المواطنة تصبح بيئةً حاضنة للإرهاب بل قد

تكون مصدرة له. وبعيداً عن الفكر المهاجر والمستورد إلى منطقتنا، يطرح تساؤلٌ عن مدى قابلية مجتمعاتنا لاحتضان الإرهاب برغم كون الارهاب ظاهرة بشرية لازمت الانسان من اقدم العصور اذ قال تعالى (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون) (البقرة : ٣٠)، لندقق ونبحث عن اسباب حواضر كالموصل وصلاح الدين والانبار وديالى التي احتضنت أرقى المدنيات تاريخياً لتكون حاضنةً أو مصدرةً للإرهاب ، ان المجتمعات التي تغيب عنها ثقافة المواطنة وينتشر فيها الجهل والإقصاء تفرز جيلاً أعزل يعيش الظلم وانسداد الأفق، ولسنا هنا في معرض تبرير الإرهاب بأي صورة من صوره . اليوم وحين تتنادى دول العالم في إعلان حربٍ عالمية ضد الإرهاب، تحت شعار المصلحة القومية الأمريكية، ويتم التغاضي عن جرائم ترتكبها الأنظمة بحق شعوبها مقابل تصديها للإرهاب، يتناسى الجميع أن العلة الأصلية كانت في غياب المواطنة والثقافة المدنية التي تشكل الحل الناجع للقضاء على الإرهاب.

ان المواطنة التي ننشدها، تعني شيوع المساواة وتكافؤ الفرص ، بين أفراد ، ينتمون إلى جغرافيا مشتركة، وتاريخ مشترك، وذاكرة مشتركة وتنتظم العلاقة فيما بينهم، من خلال دستور مدني، يحدد حقوق وواجبات كل الأفراد المنتمين إليه، ويصبح الدستور هو عنوان الهوية الجامعة، يؤكدها انتماء إلى أرض ذات سيادة ، وعقد اجتماعي ، ينظم علاقة الندية والتكافؤ بين المنتمين لهذه الأرض، حيث يتمتعون بذات الحقوق، ولا يعود للانتماء الديني أو المذهبي أو القبلي، أو الاثني، قيمة تضفي تميزا ومرتبة في الحقوق على الآخرين.

ان الإرهاب لا يتعايش مع الحرية أحد أركان المواطنة، لأنه يستمد قوته من التجهيل، وتعطيل الوعي، وتغييب العقل وفرض الطاعة، وتغليب عقيدة الفرقة الناجية، وإبلاغ الأوامر من الأعلى إلى الأسفل من غير مناقشة. فمن غير توفر هذه البيئة يستحيل على قادة الإرهاب، الزج بالشباب اليافعين في محرقة الإرهاب. وهو لا يتعايش مع العدالة والمساواة التي تفقده ركناً من أركانه ألا وهو انتفاء الوسائل المشروعة لتحقيق الأهداف السياسية والاجتماعية ، فقد يكون هناك هدف أو غاية مشروعة لكن العنف ليس الوسيلة الوحيدة للوصول إليها بل إن دولة العدالة والمساواة تؤطر المطالب وتدخلها في سياقاتٍ قانونية، تبعد فيها المطالبين عن انتهاج الإرهاب أو الفكر الإرهابي.

فالإرهاب في جذره حين يكون سياسياً يدفع جماعةً ما إلى ممارسة العنف بوصفه هدفاً بذاته، وفق تصور ذاتي بأن مثل هذا العنف قد يخلق قاعدةً مجتمعية، ويلفت الانتباه إلى وجودها ومن ثم الاعتراف بها وما قد يجره ذلك الاعتراف من تفاوض ونحوه يجعل الجميع على قدم المساواة، وبذلك يكون العنف أو الإرهاب نوعاً من التكتيك السياسي المؤدي لتحقيق غاياتٍ معينة، وهو في كل الأحوال بعيد عن مطالب الناس والمجتمع، فهو لعبةٌ سياسية بمنتهى الخطورة تقامر بكل شيء من أجل الحصول على كل شيء، وقد ينتهي الأمر فعلاً بالحصول على لا شيء، لأن كل شيء يكون قد انتهى الى الدمار اذ ان الارهاب ظاهرة تشكل

تهديدا خطيرا لأمن الافــراد والمجتمعــات والــدول واستقرارها وتتجلى تلك الخطورة بوضوح كون مرتكبوا جرائم الارهاب لا يعيرون اي اهتمام لحــجم الارواح البــريئة التي تزهق وقــيمة المرافق والمؤسســات العامة والخاصة التي تدمر.

المبحث الرابع

المواطنة فلسفة وسياسة تربويـة ومسؤولية اخلاقية واجتماعية

ان الفلسفة التربوية هي النشــاط الفكري المنظم الذي يتخذ من الفلســفة العامة اساســا لتنظيم العمل التربوي وتنسيقه وتوجيهه من اجل تحــديد الاهداف والمسارات والوسائل التي تحقــق الاهداف كما وان النظرية التربوية هي التي تتناول التفاصيل والموجهات الاكثر تفصيلا عند التطبيق فهي تصف وتفسر وتتنبأ بصورة فيها شيء من التفصيل لمجموعة الاحداث او الوحدات(حقائق،مفاهيم،متغيرات)وتبين نظام العلاقات بينها فهي بهذا اطار فكري منظم مفصل يضم مجموعة من المبــادئ والاســس والتوجهات حــول العناصر التربوية المختلفة(الاهداف،المحتوى،الطرائق،لتقويم) التي تتبعها التربية وهي تعمل على اداء وظائفها(البزاز والشبلي ،١٠٨: ٢٠٠٢م) . وكما تتضح في الشكل الاتي :

الفلسفة الاجتماعية(التي تضم مفاهيم المواطنة) -- -- التربية ----- الفلسفة التربوية ------- -- النظرية التربوية --- السياســة التربــوية – الاهداف التربوية(هدف شــامل ، هدف عام ، هدف مرحلة ، هدف مادة ، هدف سلوكي)

ان التربــية نظام فرعي ضمن النظام الاجتماعي فالتربية بــمجموع مكوناتها وعناصرها تؤلف نظاما او جهازا وظيفته الاساســية التربــية بــكل مهامها وابعادها ووظائفها وان هذا النظام يتألف بــدوره من انظمة فرعية متعاونة ومتفاعلة ومتساندة معه يعمل كل منها بتفاعل مع الانظمة الفرعية الاخرى ليؤدي جزءا من العمل الاكبــر الذي يؤديه النظام الرئيس التربية والذي هو اكبــر من مجموع الاعمال الجزئية التي يؤديها كل نظام فرعي كل جزء على حده فالمنهج نظام فرعي من الانظمة الفرعية المكونــة للنــظام التربوي وكذا الهيئات التعليمية والتدريسية وطرائق التدريس والارشــاد التربــوي والادارة والاشــراف التربوي والاختصاصي والاهداف من المحتوى بــكل تفاصيله والطرائق ووسائل التنفيذ والتقويم واساليبه المختلفة ان التربــية نظام فرعي متفاعل مع انظمة اخرى هي الاقــتصاد والعلوم والفنون والسياســة والآداب يساهم في تكوين النظام الاجتماعي فهو من جهة نظام له انظمة فرعية تتفاعل لتكونه وتساهم في انجاز اهدافه ومن جانب هي نظام فرعي من انظمــة المجتمع المتفاعلة والمنفتحة على بــعضها لتكوين النظام العام للمجتمع بكل تفاصيله . وبما ان التربــية تعد تنمية او تنشئة فلها ثلاثة انماط هي :

١-التربية النظامية

والتي تمثلها المؤسســات التربــوية في التعليم العام والتعليم العالي

٢-التربية غير النظامية

وهي التي تقع خارج المؤسسة التربوية ولها انظمتها وتنظيماتها الفنية والادارية كمراكز التدريب المهني

ودور الثقافة

٣-التربية اللانظامية

وهي ما يكتسبه الفرد خارج هاتين التربيتين بشكل مباشر وغير مباشر وتمثل ما يكتسبه الفرد من مهارات ومعلومات وقيم وتجارب حياتية ومصادرها الاسرة ووسائل الاتصال المختلفة من اذاعة وتلفز ومصادر المعلومات كالمكتبات وشبكات المعلومات العالمية وقصور الثقافة والاندية والصحافة والمنظمات الجماهيرية من احزاب وجمعيات ومتاحف ومساجد والانشطة الحياتية الاخرى(الراوي،١٥١:٢٠٠١ م)

ان انتشار وسائل الاعلام العديدة والكثيرة من صحف ومجلات وقنوات تلفزيونية والقتل والسرقة وتكنولوجيا الاتصال المتعددة الوسائل والاساليب والتي اصبحت قضية عالمية اذ اصبح من العسير ان ترى بيتا او حتى كوخا لا يتواصل عبر الشبكة العنكبوتية وهنا ضعفت الرقابة ان لم تكن قد انتهت من قبل الاسرة لبعض القيم وهنا تكون نجاة بلدنا رهن بصحوة ذاتيتنا ويقظة الروح فينا وتمسكنا بالقيم الوطنية النبيلة وهنا يكمن بارزا دور التربية في اذكاء هذه الصحوة وترشيدها وربطها بالروح الوطنية .

ان من بين ابرز وظائف التربية هي :

اولا : نقل الانماط السلوكية للفرد في المجتمع

ثانيا: نقل التراث الثقافي من الاجيال السابقة للأجيال اللاحقة .

ثالثا: تغير التراث الثقافي وتعديل في مكوناته ، بإضافة ما يفيد وحذف مالا يفيد .

رابعا: اكساب الفرد خبرات اجتماعية نابعة من قيم ومعتقدات ونظم وعادات وتقاليد وسلوك الجماعة التي يعيش بينها وزرع الولاء الوطني في روحه وتنميته عبر مراحل حياته .

خامسا: التنمية الفكرية للأفراد فكريا ومعرفيا وعلميا واتاحة فرصة التواصل مع الثراء الفكري العالمي المستمر.(ابراهيم ،٢٢-١٩٨٩:٢٣ م)

ان عملية التربية والتعليم النظامية تتم بتفاعل ثلاثة عناصر هي التدريسي والمنهج والطالب ويبقى المعلم العنصر الاكثر فعالية في تحقيق عملية التعليم والتعلم وعليه تتوقف تنمية الروح الوطنية في ذات ونفوس طلبته .

المعلم والمواطنة:

للمعلم دور كبير في ترسيخ المواطنة وتنمية قيم المواطنة من خلال:

- أن يكون المعلم مشجعًا للأنشطة الطلابية.
- تعريف الطلاب بالمتغيرات المحلية والعالمية وتشجيع التعامل معهم بفكر مبتكر.
- مشجعًا على الاشتراك في منظمات المجتمع المدني والجمعيات التطوعية الخيرية في المجتمع المحلي.
- تطبيق المناهج الدراسية عمليًا لكي تساعد على تنمية روح المواطنة من خلال الجانب العملي لدى الطلاب.
- إثارة القصص الوطنية.

إن ظهور وممارسة الظواهر والسلوكيات الدالة على المواطنة بما تتضمنه من شعور بالولاء والانتماء للوطن كمؤشرات لنواتج عملية تربية المواطنة أمرُ لن يتحقق إلا من خلال:

- تبني استراتيجية وطنية متكاملة تستهدف إبراز

مفاهيم المواطنة.

- التمسك بها للحفاظ على الوحدة الوطنية والنسيج الوطني.

- تكريس قيم الولاء والانتماء للوطن.

- المشاركة الإيجابية في بناء الوطن وتنميته وتوكد على تحصين الهوية وحمايتها . كما تقوم على مراعاة حقوق المواطنين وواجباتهم دون تميز بين مواطن وآخر وذلك في اطار جملة متطلبات سيكولوجية محددة لتربية المواطن تلتزم بمبادئ الشريعة وتعني بها حتى تتحقق اركان المواطنة فيشعر كل فرد بالانتماء للوطن ويشارك في بنائه والحفاظ عليه وتنميته.

إن المواطنة تعد أحد الجوانب المهمة في حياة أي مجتمع، فبدون مواطنين يدركون حقيقة دورهم في تنمية مجتمعهم لا يمكن لأي مجتمع أن ينمو ويتطور ويتقدم للأمام والتعليم يعتبر من أفضل الوسائل في تنمية الشعور بالمواطنة الصالحة، وأطلق على عملية تنشئة الطلبة على المواطنة مصطلح التربية الوطنية .

وحتى يتم تطبيق تربية المواطنة فلا بد من تحديد مداخل وأبعاد المواطنة المنشودة، وذلك ليكون التطبيق وفق نظريات مدروسة مقننة ترسم خط سير التطبيق والتقييم والمتابعة.

المبحث الخامس

الاستنتاجات والتوصيات

من العرض الذي لامسه الباحث في مباحثه السابقة يمكن ان نقف عند بعض النقاط التي تعد استنتاجا وهي:

*ان العراق بلد عريق بتاريخه وشعبه قامت على ارضه كيانات متحضرة منذ القدم شمل الناس نظام اداري وقانوني رفيع كان اداة ضبط السلوك الوطني بين ابنائه وتنمية الحس الوطني والاعتزاز به .

* في العصر الاسلامي اقيمت على ارضه عاصمة الاسلام الكوفة حاضرة الإمام علي (عليه السلام) مركز القرار السياسي والاداري لبناء الدولة العادلة التي ينعم في ظلها المواطن بحياة حرة وكريمة مقابل ضبط واجباته وتأديتها بما يخدم ويعزز مكانة الوطن والمواطن .

* ان الدين الاسلامي بمعناه الشمولي للحياة على المستوى العقدي والعبادي والسلوكي الشخصي والجمعي هو الضمانة التامة للحياة الكريمة والوسيلة الناجحة لتأسيس مواطنة صالحة

*تعد تجربة المواطنة تحت مظلة الاسلام من التجارب الفريدة بأبعادها الانسانية والوطنية وخير دليل على ذلك صحيفة المدينة التي سنها الرسول الكريم (عليه واله افضل الصلاة والسلام).

* تأثرت المواطنة في عهود الاحتلالات التي مرت على العراق وذلك بمحاولة المحتل تغيب الشعور الوطني وطمسه كي تضيع الامة العراقية وتغيب هويتها وسط عموم القومية الفارسية او التركية او ضياعه في وسط التعصب القومي العربي .

* العراق هو البلد العربي الوحيد من بين الدول العربية الذي كان يضحي بالوطنية لحساب القومية مما جعل الولاء القومي هو السائد والواضح وعندما تضرر من الدول العربية اثناء الإعتداءات الامريكية

والحصار والاحتلال لم تكن الدول العربية من يقف معه او يلملم جراحاته بل كان الاذى الاكثر اثرا من الاحتلال كان من بعض الدول العربية مما ادى بالعراقي احيانا ان يكفر بالقومية العربية ويفكر بالبديل النافع وقد اخطأ في السياسة لولاءات غير عربية وغير عراقية ولكنها كانت ردة فعل لواقع .

* التطرف والتمذهب والتعصب والهجمة من قوى الظلام والتكفير واخرها داعش لم تبلور وبشكل واضح صورة المواطنة لان كل شريحة لها توجهاتها المصلحية التعصبية الولائية وقد وصل الشعور احيانا أنْ لا احساس بالوطن بل الاحساس بالمذهب والعائلة والعشيرة .

التوصيات

اولا:ازاء هذا الواقع لابد من ان يعي العراقيون جميعهم بكل مشاربهم واعراقهم ومذاهبهم بان الجامع المانع هو العراق والا لن يجد أحدٌ حتى تكوينه ومسماه الحالي فوجود الكل وقوتهم وسعادتهم في وطن واحد ينعم الجميع بمواطنة سليمة واحساس بالانتماء لهذا المجتمع لابد من : ولاء: ان تتصدر القائمة وسائل التربية والتعليم جميعا كونها النظام المجتمعي الذي يقع عليه زرع روح المواطنة .

ثانيا:ان تكون المؤسسة الجامعية هي منارة التثقيف والتعليم وتغذي روح المواطنة عند الطلبة في كل الممارسات الجامعية .

ثالثا: عدم الاستهانة بالتراث الوطني ورفع ماعلاه من صدأ بسبب الانفلات المجتمعي كون بعض اجزاءه تعد صمامات امان استقرار الوطن وسعادة المواطن

رابعا: الدور البارز للكليات الاسلامية والتربوية في بث الوعي الروحي المستند الى الشريعة الاسلامية والمستقاة من القران الكريم والسنة النبوية .

خامسا : الاتفاق على شعار وطني وعلم يحمل رمزا وطنيا عراقيا بعيدا عن مرحلة التخندق الطائفي والعرقي والمذهبي يمثل كل اطياف العراق وتاريخه الوطني والاهتمام بالمراسيم التقليدية لرفع العلم كونها تمثل الصورة الوطنية الجامعة والاحساس والشعور بالانتماء لما يمثله العلم الرمز .

سادسا: تشجيع الفن المعماري والهندسي والفنون المختلفة بتفعيل التراث العراقي القديم وتسمياته التي تمثل كل العراقيين .

سابعا: التعامل مع الدين في المناهج الدراسية كقيمة عليا في المجتمع من دون اللجوء الى الدين من منظار مذهبي ، تعطى صورة الدين التي تقوم على العقل واحترام الحياة والعمل والتسامح والسلام والقيم الانسانية النبيلة .

ثامنا : التعامل بانفتاح مع التنوع العراقي في الدين والقومية في المناهج الدراسية والتعريف بالأديان والقوميات والمذاهب المختلفة بروح علمية بعيدا عن الحساسية والعقد والدعايات الخاطئة .

تاسعا: دراسة التاريخ العراقي المعاصر بطريقة نقدية علمية لتأشير مواطن الخلل والتصدع واسبابه وابراز المواقف التي اضعفت روح المواطنة لتجاوزها.

عاشرا: ابراز المعالم السياحية الوطنية وتشجيع السفر والسياحة الداخلية واعتبارها مصادر معرفية لطلبة الجامعات .

حادي عشر: اعتماد المناهج الوطنية الموحدة التي

تنبذ المحاصصة بكل اشكالها وان تكون هناك مساهمات تربوية من كل القنوات اللانظامية بان الوطن واحد والشعب واحد ولا غبن ولا ظلم وأن تسود العدالة الإجتماعية .

كل هذه تعد رهانات في طريق زرع هوية وطنية عراقية تؤمن لحامليها الاستقرار النفسي والاستعداد للتضحية والفداء من اجل الوطن .

المصادر

- القران الكريم

– ابراهيم ناصر ، اسس التربية ، ط٢ ، دار عمار ، عمان ، الاردن ١٩٨٩م .

– البزاز ، حكمة عبدالله ، والشبلي ، ابراهيم مهدي ، مدخل الى التربية ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة المجمع العلمي٢٠٠٢م.

– الحمود ، علي طاهر ، العراق من صدمة الهوية الى صحوة الهويات ، دار الرافدين ، بيروت ، لبنان ٢٠١٢م.

– الربيعي ، عامر مرعي حسن ، جرائم الارهاب في القانون الجنائي دراسة مقارنة ، مطابع شتات ، مصر ٢٠١٠م.

– الصفار ، حسن ، التنوع والتعايش مدخل لتأسيس الشراكة للبناء الحضاري ، دار الصفوة ، بيروت ١٩٩٧م.

– العادلي ، حسن درويش ، نحو عراق جديد ، دار الشؤون الثقافية ، العراق٢٠٠٤ م .

– العبادي ، واخرون ، الاسلام المعاصر والديمقراطية ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد٢٠٠٤م.

- العطار ، احمد هاشم ، ملامح حقوق الانسان في شرائع العراق القديم ، وزارة الثقافة ، دار الشؤون الثقافية ، العراق ٢٠٠٤م.

– محمد جواد مالك ، شيعة العراق وبناء الوطن ، اصدارات العتبة الحسينية المقدسة ، دار الاعلمي ، بيروت ، لبنان ،٢٠١٢م.

– المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار ، ط٣ دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٩٨٣م.

– مرسي ، محمد منير ، فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها ، عالم الكتب ، مصر١٩٨٣م .

– مستشارية الامن القومي ، استراتيجية الامن القومي العراقي ، ٢٠٠٧م.

– المشهداني ، محمود جواد علاوي ، اتجاهات الشعر العربي في المهجر الشمالي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الاداب الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٠م.

– المعطي ، يوسف عبد ، امة معرضة للخطر ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض المملكة العربية السعودية ١٩٨٤ م.

– المنتظري ، الشيخ حسين علي ، دراسات في ولاية الفقيه ، ج٢ دار الصفوة ، بيروت ، لبنان١٩٨٨ م.

نقض العامل عند ابن مضاء

الاسباب والدوافع



د. ماجدة فاخر شامخ
وزارة التربية/ معهد اعداد المعلمات

المورد
العدد
الثالث
لسنة
٢٠١٥

يهدف البحث إلى دراسة عَلم من أعلام النحو المتأخرين، وهو أبو العباس اللخمي المعروف بابن مضاء القرطبي، الذي نال شهرة بين أوساط النحويين المعاصرين مع ندرة تأليفه، وذلك لما أحدثه منهجه في إلغاء العمل النحوي وكذلك إلغاء القياس والعلل الثواني والثوالث، وغيرذلك ممّا هو معروف في كتابه ذائع الصيت (الرّد على النحاة).

فتناول البحث موقف ابن مضاء من نظرية العامل والدعوة إلى إلغائها من دون مواقفه الأخرى، وذلك لأنّ قضية العامل والمعمولات تكاد تكون القضية الأهم في الدرس النحوي.

فقد مهّد ابن مضاء في موقفه هذا طريقا سالكة أمام النحويين، جعلت الانظار تتوجه نحو (الرّد على النحاة).

وقد ارتأيت قبل ذلك أن أتحدث بشيء يسير عن ماهية العمل النحوي عند من أسسّ له من المتقدّمين، والتنبيه على أهمية ما جاء به الأوّلون من أمثال الخليل وسيبويه- إذ لا يبعد عن أذهان الباحثين ما لهذين العلمين من مكانة علمية في الدرس اللغوي-، وقد توخيت من ذلك التنبيه- إن جاز لي التعبير بذلك- على أنّ من يريد الوقوف قبالة ذلك الجهد السامي والنتاج العظيم، أن يأتي بمثله أو أفضل منه.

وقد أشرت بعد ذلك إلى أهم الظروف التي ألمّت بابن مضاء وجعلته ينحو هذا المنحى، مستلهمة معظمها ممّا وقف عليه الباحثون، ثمّ أردفت ذلك بذكر مواقف بعض العلماء والباحثين منه، وقد جاءت تلك المواقف متباينة بين مؤيد ورافض له.

وأجدني موافقة للرأي الذي يحتكم في دراسة النحو إلى النص القراني الكريم، وإلى تشذيب النصوص في غيره ممّا غرب عن كلام العرب ولم يعرف استعماله.

تقديم

فإنّه لا يخفى على الدارسين والباحثين في مجالات النحو المختلفة، أنّ ابن مضاء هو أوّل النحاة الدّاعين إلى إلغاء نظرية العامل، فضلا عن إلغائه قضايا نحوية أخرى، وذلك في مؤلفه المعروف "الرّد على النّحاة"، فكان بذلك ممّهدا لطريق التّصدي لهذه النظرية أمام النحويين، ومن ثمّ أصبح العامل قضية شُغِل بها المحدثون، ولا سيّما أصحاب التجديد والتيسير.

غير أنّهم- وإن كانت معظم مؤلفاتهم تحمل بصمات واضحة لكتاب "الرّد على النحّاة"- لم يقفوا طويلا عند مذهب ابن مضاء في النحو، إلاّ قليلا ممّن تبنى رأيه أو اتخذه مرتكزا في دراسته النحوية، ومع ذلك فإنّ هؤلاء أيضا لم يكشفوا لنا عن الأسباب التي أدّت به إلى اتّخاذ هذا المنهج.

لذلك ارتأيت في هذا البحث المتواضع أن أقف على أهمّ الأسباب والدّوافع التي كانت وراء إلغاء العامل عند ابن مضاء، مع محاولة مناقشة ما ذهب إليه وتبيان موقف النحاة منه. وقد مهّدت لذلك بحديث موجز عن نظرية العامل، ومن ثمّ أردفته بنبذة يسيرة عن نشأة ابن مضاء وثقافته والعصر الذي نشأ فيه، ليتسنى لي الوقوف على هذه الأسباب.

نظرية العامل (نبذة موجزة)

أولا: أوَليّة العامل عند الخليل وسيبويه

استعمل العرب فكرة العامل النحوي ليفسّروا ظاهرة تغيّر أواخر الكلم لفظيّا أو معنويّا، وذلك حينما تتغيّر مواقعها في الجمل[١]. ويعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي أوّل من أصّل لها أصولها، وثبّت بعضا من قواعدها وأحكامها، وقد ذكر ذلك في مجرى حديثه عن العوامل والمعمولات التي نقلها عنه تلميذه سيبويه فأثرى بها مؤلفه "الكتاب"[٢]. وقد نسبت إليه بعض كتب التراجم مؤلفا في "العوامل"[٣].

وممّا يقوّي هذا الزعم في أصل العوامل، ما ذكره بعض المحدثين في أوّلية هذه النظرية، وأنّها تعود إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، فقد قال الدكتور مهدي المخزومي:(هذا العامل اللغوي ليس جديدا بل هو قديم تبدأ قصته بأعمال الأوّلين وبأعمال الخليل بن

أحمد)[٤].

وقال الدكتور شوقي ضيف:(إنّ الخليل ثبت أصول نظرية العوامل ومدّ فروعها، وأحكمها إحكاما بحيث أخذت صورتها التي ثبتت على مرّ العصور)[٥]. وغير ذلك ممّا قيل في شأن الخليل.

ثمّ ظهر تلميذه الكبير سيبويه بسفره الخالد "الكتاب"، الذي نقل فيه معظم ما تلقّاه عن الخليل، فضلا عمّا أفاده من علماء آخرين كانوا معاصرين له، فجمع مادّة النحو ووضع لها قواعد وأصولا، حتى غدا سيبويه في كتابه هذا إمام النحاة البصريين وأوّل من جمع النحو. وقد قال في حقّه المستشرق الألماني بروكلمان إنّه:(أشهر تلاميذ الخليل ومصنف أوّل كتاب جمع ما ابتكره الخليل إلى محصول الباحثين السابقين)[٦].

فـ "الكتاب" بحق هو معيار العربية، وليس أدلّ على ذلك من كثرة من تناوله من أئمة اللغة بالبحث والدّرس والنقد والتأليف، وكان يكفي أن يقال: "قرأ فلان الكتاب" فيعلم أنّه كتاب سيبويه.

ثانيا: مفهوم العامل في الفكر النحوي السائد.

إنّ الاعتقاد السائد لمفهوم العوامل النحويّة؛ هو أنّ أجزاء الكلام يعمل بعضها في بعض ويؤثر أحدها في الآخر. فالإعراب أثر ونتيجة، ولابدّ للأثر من مؤثّر ولابدّ للنتيجة من سبب، فهذه المؤثرات أو الأسباب هي العوامل، وقد قسمت إلى قسمين: عامل لفظي وعامل معنوي؛ أمّا الأوّل فمثاله: الفعل الذي يعمل الرفع في الفاعل والنصب في المفعول، وكذلك حرف الجرّ الذي يعمل الجرّ في الاسم.

أمّا الآخر فمثاله: الابتداء الذي يعمل الرفع في المبتدأ عند جمهور البصريين، وفي المبتدأ والخبر عند طائفة منهم وعند الكوفيين أيضا، وكذلك تجرّد الفعل المضارع من الناصب والجازم، فإنّه يكون مرفوعا بأثر الابتداء.

ومن العوامل المعنوية الأخرى: الإضافة فإنّها تعمل الجرّ في المضاف إليه.

وحينما يتحدّث النحّاة عن أحوال الإعراب فإنّهم يذكرون أنّ الرّفع علم الفاعلية وأنّ النّصب علم المفعولية، وأمّا الجّر فهو علم الإضافة. وتعدّ الأفعال عوامل أصلية، أمّا الأسماء والحروف فإنّها عوامل فرعية[٧].

هذا هو معنى العامل كما هو شائع اليوم، وهو معنى ظاهري؛ إذ إنّ مفهوم العامل عند المتقدّمين في حقيقته ليس كما ذكر أي: ليس من فعل الألفاظ أو المعاني، وإنّما يذكرون ذلك من باب المجاز، لأجل التيسير في فهم المسائل النحوية. هذا ما يبدو في تفسيراتهم المتعددة لموضوعات النحو؛ منها- على سبيل المثال- ما ورد في الكتاب: (وأمّا قول امرىء القيس:

فلو أنَّ مَا أَسْعَى لأَدْنى مَعِيشَةٍ
كفاني، ولمْ أطلبْ، قليلٌ منَ المالِ[٨]

فإنّما رفع لأنّه لم يجعل القليل مطلوبا، وإنّما كان المطلوب عنده الملك، وجعل القليل كافيا، ولو لم يرد ذلك ونصب، فسد المعنى)[٩]، فقد ردّ سيبويه عمل الرفع والنصب إلى المتكلم[١٠].

وفي موضع آخر من الكتاب نجده يصرّح بأنّ الإعمال ليس من الألفاظ، بل من المعاني، وذلك حينما قال: (إنّ الارتباط والتعلق ليس بين الألفاظ على

الحقيقة، بل بـــين معانيها، فمعنى الكلمة العاملة هو الذي يطلب معنى الكلمة المعمولة، وقد قـــلت ذلك في أوّل حديثي في الكتاب حين بيّنت أنّ الأفعال لمّا كانت دليلا على ما مضى وما لم يمض من نحــــو "الذهاب والجلوس والضرب" فإنها تعمل في الحدث نحو: "ذهب ذهابا " والزمان نحـــو: "ذهب أمس" والمكان نحـــو: "ذهب فرسخين"،من حيث أنّها تدلّ على الحدث والزمان وتتطلب المكان، فلمّا كانت دالّة عليها وطالبة لها فقد تعلقت هذه وارتبطت بها..)[11]. وغير ذلك من الأمثلة التي لا يكاد يخلو منها موضع من مواضع الكتـــاب، وهي تبيّن لنا حقيقة الإعمال وإنّ ذكره لم يأت إلاّ من باب المجاز والتأويل. وقد تبعِ سيبويه في ذلك ســـائر من جاء بعده من علماء العربية.

ولعلّنا نجد في كلام الدكتور محمد البـــنا– محـــقّق كتاب"الرّد على النحاة"– الذي أجراه على لسان سيبويه التعبير الأدق في تبـــيان المراد من العامل؛ إذ قـــال: (فأمّا ما تراه في الكتاب من اصطلاح العمل ونسبـــته أحيانا إلى اللفظ أو إلى المتكلم فذلك شـــيء تواضعنا عليه، رأينا أنّه يحقق نوعا من الاختصار في التعبير. على أنّك إذا وجدتنا في الغالب ننسب العمل إلى اللفظ فذلك راجع إلى أنّنا معنيون بوصف الجملة وبـــيان ما بين أجزائها من العلاقات، وفي الجملة تجد ترابـــطا بين الأجزاء على نحو قد يكون أوليّا ، كما في العلاقة بين الفعل والفاعل، وبين الفعل والمفعول، وقد تتعدّد العلاقات في الجملة وتتداخل إذا كثرت القـــيود، ولمّا كان من عملنا أن نبيّن الارتباط بـــين الأجزاء، فقـــد اصطلحنا على أنّ الكلمة إذا كانت طالبة لغيرها وصحب هذا الطلب تأثير في الكلمة المطلوبة اصطلحنا على أن نسمّي هذه الكلمة الطالبة: عاملة، والكلمة المطلوبة معمولةً لها، نظراً لوجود العمل مع وجودهـــا وزوالهِ مع زوالها ، فأمّا في الحقيقة فالأمر ما عرفت من قبل لا يعدو أن يكون عرفا لغويا)[12]. فالعمل عرف لغوي يأخذه المتكلم من بيئته اللغوية.

ابن مضاء القرطبي

- نشأته وثقافته -

هو أبو العبّاس أحمد بن عبد الرحمن بن محمّد بن مضاء اللخمي الأندلسي القرطبي[13]. ولد في قرطبـــة سنة ثلاث عشرة وخمسمئة للهجرة، في بيت حســـب وشرف وعلم. وقد انقطع منذ صغره إلى حلقات العلم والعلماء، معنيا أشدّ العناية بلقـــاء أســـاتذة عصره؛ أمثال: ابن الرّماك الذي درس على يديه كتاب سيبويه وابن بشكوال وابن سحنون وهما من أساتذة العربية. ومنهم القاضي عياض الذي أخذ عنه الحديث[14].

وأكبر الظن أنّه اطلع على كتب نحـــويّة أخرى؛ إذ وردت في كتابه هذا نصوصٌ من شرح السيرافي على كتاب سيبويه، وأخرى لابـــن جني، ونقـــل أيضا عن الانتصار لابن ولاد شيخ نحاة مصر[15].

أمّا كتبه التي جاد بها على الساحـــة اللغوية فهي: (المشرق في النحو) و(تنزيه القرآن عمّا لا يليق بالبيان) و(الرّد على النّحـــاة). ولكن لم يصل منها إلاّ الكتاب الأخيرالذي كان مدار الحديث فيه عن مذاهب النحـــاة

المشارقة وتسفيه آرائهم، ولا سيّما نحاة البصرة[١٦].

- عصره -

شـــهد المؤلف عصرين من عصور الأندلس هما: عصر المرابطين"٤٩٣-٥٤١هـ" وعصر الموحدين "٥٤١- ٦٦٨هـ". وقـد اتّسـم العصر الأوّل منهما بـالجمود الفكري. ويعزى هذا الجمود إلى سـيطرة فقهاء المالكية الذين اهتموا بـمعارفهم التي لا تعدو فروع مذهبهم وتركوا ما عداها.

أمّا العصر الآخر فإنّه يعدّ من أزهى العصور التـي مرّت على الأندلس والمغرب من حيث ازدهار الحياة العلمية والفلسفية. غير أنّ دولة الموحدين هذه كانت تؤلّب الناس على رفض كلّ ما يعتنق من مذاهب؛ ولا سـيّما المذهب المالكي الذي كان غالبـــا على أهل المغرب والأندلس[١٧].

فقد كان ملوكها- أي ملوك الموحدين- يعتنقـون المذهب الظاهري، وهو المذهب الذي يأخذ أصحابـه بظاهر الكتاب والسـنّة؛ أي: أنّهم يؤمنون بحـرفيّة النّص لا بالتأويل والعلل والقياس، وكان ذلك في عهد الخليفة الأندلسي الثالث " يعقوب بن يوســف " الذي شهد عصره حـادثين كبـيرين؛ أولهما: ما ذكرناه، وثانيهما: محاربة الفلسفة والفلاســفة، ممّا يدلّ على أنّ هذه الدولة لم تنشأ لغاية سياسية وإنّما نشأت لغاية دينية، وممّا يعضد ذلك قيام ملكها- أعني يعقوب بـن يوسف- بحرق كتب المذاهب الأربعة، وأمره الناس بعدم التقليد لأحد من أئمة المشرق[١٨].

ولعلّ الصلة الوثيقة بـين ابـن مضاء والخليفة، جعلت الأوّل يتبعه في نزعته هذه، ثمّ أخذ بـتعميمها لتشمل النحو أيضا.

أمّا حال النحو في عصره فلم يكن كحاله في المشرق فقد ذُكِر أنّ علماء العربية من المشارقـة لم يكن لهم نظراء في الأندلس ولا سيّما في العصور التي سبقت عصر ابن مضاء، وكذلك فإنّ كتاب سيبويه لم ينقـل إلى هذه البلاد إلا في القرن الرابـع الهجري. فكانت جهودهم في النحو وغيره لا تعدو كونها جهودا دراسية أكثر منها إبداعا علميا، فمنذ نهاية القرن الثاني ومعظم القرن الثالث الهجري كان نحويو الأندلس معلمين لا علماء؛ إذ كانوا يأخذون العلوم من بـلاد المشـرق فيحفظونها ومن ثمّ يعلمونها تلامذتهم، ويكتفون بذلك من دون الخوض في أعماق تلك العلوم[١٩].

وحينما جاء القرن السادس الهجري وهو عصر ابن مضاء؛ كانت الدراسة النحـوية قـد تخطت مرحـلة التعليم لتصل إلى مرحلة العلم والتأليف، ولكنّه تأليف في كتب الآخرين؛ إذ عكف علماؤه على دراســة كتب المشارقة والتوسـع في شرحـها، ولا سـيّما كتاب سيبويه.

موقفه من نظريّة العامل

لقد حاول ابن مضاء أن يسلك في النحو طريقـا لم يسلكه أحد قبله[٢٠]، ليقـف قبـالة ذلك الجهد العلمي السامي والنتاج الفكري الراقي. وهو أمر جد شيّق[٢١] فـ (من أشق الأمور أن يرود الإنسان طريقا لم يسر فيه أحد قبله ويشـير على الناس أن يتركوا ما ألفوه ويتبـعوه فيه.....)[٢٢]؛ إذ لم يعرف طلاب العلم- في

المشرق كانوا أم في المغرب-علماء أجلّ من علماء الكوفة والبصرة، وقد كان القول بالعمل وبالعامل هو منهج عامّة النّحاة، وقد أقرّ بذلك ابن مضاء نفسه حينما قال:(فإن قيل: فقد أجمع النحويون عن بكرة أبيهم على القول بالعوامل...)[٢٣].

ولكن على الرغم من ذلك نراه ينساق وراء نهجه الظاهري، فيحكم ببطلان هذه النظرية ودحض آراء القائلين بها. وقد مهّد لمذهبه هذا بمقدّمة صرّح بها عن غايته من تأليف "الرّد..." فاتّهم فيها النحويين بأنّهم يجمعون على الخطأ ويقعون في الوهم وفساد القول؛ إذ قال:(قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبّه على ما أجمعوا على الخطأ فيه: فمن ذلك ادّعاؤهم أنّ النصب والخفض والجزم لا يكون إلاّ بعامل لفظي، وأنّ الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي. وعبّروا عن ذلك بعبارات توهم أنّ قولنا: "ضرب زيد عمراً" أنّ الرفع الذي في زيد والنصب الذي في عمرو إنّما أحدثه "ضَرَبَ"...) ثمّ ذكر حديث سيبويه في الإعراب فعقّب عليه قائلا:(فظاهر هذا أنّ العامل أحدث الإعراب وذلك بيّن الفساد...)[٢٤].

وعمدة ما أراده في هذه المسألة قوله:(فإنّ هذه الأصوات إنّما هي من فعل الله تعالى، وإنّما تنسب إلى الإنسان كما ينسب إليه سائر أفعاله الاختيارية... يقول أيضا إنّ:(الفاعل[٢٥] عند القائلين به إمّا أن يفعل بإرادة كالحيوان، وإمّا أن يفعل بالطبع كما تحرق النّار ويُبرِّد الماء، ولا فاعل إلاّ الله عند أهل الحق، وفعل الإنسان وسائر الحيوان فعل الله تعالى، وكذلك الماء والنّار وسائر ما يفعل..وأمّا العوامل النّحوية فلم يقل بعملها عاقل، لا ألفاظها ولا معانيها، لأنّها لا تفعل بإرادة ولا بطبع)[٢٦]، وهو في قوله هذا يتّهم النحاة بفساد عقولهم. وقد تبيّن لنا في الحديث عن أوليّة القول بالعامل، جلالة هؤلاء النحاة.

ولعلّ ما يحسن له: أنّه قام بحصر المحذوفات في ثلاثة أقسام، وذلك في موضع اعتراضه على تقدير العوامل المحذوفة، فذكر أنّ القسم الأوّل منها: محذوف لا يتمّ الكلام إلاّ به، وهو ما يقابل الحذف الجائز عند النحويين. وقد عمد ابن مضاء على إبقائه فلم يدع إلى إسقاطه، غير أنّ قوله في عقب حديثه عن هذا القسم:(وإن أظهر تمّ الكلام به)[٢٧]، يجعله موافقا لبعض من زاد في كلام العرب ما لم يقولوه، على أنّ ذلك- في نظره- من العيوب التي وقع فيها النحاة[٢٨]، فشاركهم في هذه الصفة من دون أن يشعر. وذكر أنّ القسم الثاني: محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو تام من دونه. والقسم الثالث: مضمر،إذا أظهر تغيّر الكلام عمّا كان عليه قبل إظهاره[٢٩].

ومهما يكن من أمر فإنّ ابن مضاء كان يحكم على النص كما هو من دون تأويل أو تقدير، فهو يعتقد بوجوب التزام الظاهر،ولسان حاله يقول:(يجب التزام النّص كما نطقه المتكلم، وليس من حقّ أحد أن يزيد فيه ما لم ينطق، أمّا هذا المبدأ فهو من عمل الذهن، وينبغي ألاّ يفرض على النّص ما ليس منه)[٣٠]. على أنّه يرى في اتباع هذا الأمر خطأ لا يُعاقب عليه

صاحبه إلاّ إذا كان في كتاب الله فإنّه حرام. ذلك ما صرّح به قوله: ((وادّعاء الزيادة في كلام المتكلمين من غير دليل يدلّ عليها خطأ بيّن، لكنّه لا يتعلق بذلك عقاب، وأمّا طرد ذلك في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه وادّعاء زيادة معاني فيه من غير حجّة ولا دليل، إلا القول بأنّ كلّ ما ينصب إنّما ينصب بناصب.... فالقول بذلك حرام على من تبيّن له ذلك))[٣١].

الأسباب والدوافع

اطلعنا فيما تقدّم من البحث على الظروف البيئية التي نشأ فيها ابن مضاء؛ وقد تبيّن لنا فيها توجهه ونزعته التي تكاد تكشف عن معتقده الديني- أعني به المذهب الظاهري- وفي ضوء ذلك يمكن طرح أهمّ الأسباب التي جعلت هذا العالم ينبذ ما ذهب إليه أساطين النحو، ولا سيّما المتقدّمون منهم.

- فتأسيسا على ما ذكر، نرى أنّ توجه ابن مضاء لم يكن لشيء إلاّ الترويج لمذهبه التوقيفي الجبري[٣٢]، محاولا لفت الأذهان إليه لتصديق مضامينه. وحسبنا قوله:(لا فاعل عند أهل الحق إلا الله..)[٣٣]. فمراده من أهل الحق؛ معتنقو الظاهرية؛ لأنّ غيرهم- باعتقاده- ليسوا على حق.

-غلوّه الشديد في العقيدة أو المذهب؛ ومن ثمّ نبذه كلّ أشكال التمذهب بما في ذلك مذهب النحاة.

- إنّ هذا المعتقد ربّما ولد لينافس توجهات المذهب الاعتزالي في إرجاع قضايا اللغة ومسائلها المتعددة إلى حكم العقل والإنسان[٣٤].

- شيوع الحكم بظاهر النّص وترك التأويل والقياس في عصره، أي: الظاهرية في الفقه، فعمّم ذلك ليشمل النحو أيضا، ممّا أدّى إلى السطحية في الحكم والنأي عن التأويل في فهم العامل، فلا عامل- عنده- في مثل قولنا: "إنّ زيدا حاضر"؛ لأنّ "زيدا" لم ينتصب إلاّ بعد عدم " إنّ ". فهو يريد أنّ أثر العامل وهو الإعراب لا يحدث إلاّ بعد انعدامه، وهذا باطل عنده، لأنّ العمل لابدّ أن يكون من إرادة أو طبع[٣٥]. فكأنّ ابن مضاء يريد أن يتناسى الحقيقة، في أنّ ما ينسبه الإنسان من عمل إنّما هو من باب المجاز،؛ إذ كيف يفسّر قول المرء وهو يتحدّث عن متعلقات حياته اليومية، فيقول- على سبيل المثال- أكلت وشربت، أو رفعت كذا من مكانه، فمن الشّارب والآكل والرّافع ؟ هل هي الجوارح : الفم واليد؟ وهل تعمل هذه بالإرادة أم بالطبع ؟ أم الفاعل هو الإنسان؟.وتلك الأمور من البديهيات والمسلّمات.. ولينظر أيضا في تفسير قوله تعالى: "وَمَنْ كانَ فِيْ هَذِهِ أعْمَى فَهُوَ فِيْ الآخِرَةِ أعْمَى" [٣٦]، فهل من عدالة في أن يكون الإنسان أعمى في الدنيا وأعمى في الآخرة، فيما لو سلّمنا برأي ابن مضاء القائل في الحكم بالظاهر من النّص!؟. تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا وهو العادل المطلق في عدله.

- سُبق ابن مضاء بنظرته هذه[٣٧]، فقد كان قبله ابن حزم الظاهري"٤٦٥هـ" الذي نبذ العلل النحوية فحكم بفسادها؛ إذ قال:(وأمّا علم النحو فإلى مقدّمات محفوظة عن العرب الذين تزيد معرفة تفهمهم للمعاني بلغّتهم، وأمّا العلل فيه ففاسدة جدا)[٣٨]، وفي المشرق

كان ابن سنان الخفاجي "٤٦٦هـ" الذي قال في العلل: (فأمّا طريقة التعليل فإنّ النظر إذا سلط على ما يعلّل النحويون، لم يثبت معه إلى الفذ الفرد، بل ولا يثبت شيء البتّة، ولذلك كان المصيب منهم المحصل من يقول: هكذا قالت العرب، من غير زيادة في ذلك)[٣٩].

وممّن عاصر ابن مضاء،أبو الوليد بن رشد" ٥٩٠هـ" الذي شغله أمر النحو والنحّاة، فترك مؤلفا يدلّ على معناه هو: (الضروري في النحو) كأنّه يطلب به الأعتدال والقصد في النحو[٤٠].

- ربّما أراد بنظرته هذه أن يقابل أئمة النحو من أهل المشرق؛ وهم نحّاة البصرة والكوفة، المدرستين النحويتين الكبيرتين اللتين ذاعت شهرتهما في الآفاق. بدليل أنّه أثنى عليهم لمّا رأى السبيل بعيدة عن مجاراتهم أواللحوق بهم، فعقد حوارا بينه وبين سائلٍ يسأله؛إذ قال: (ولعلّ قائلا يقول:أيّها الأندلسي المسرور بالإجراء بالخلاء، المضاهي بقبسه الخفي ذُكاء وابن ذُكاء، أتزاحم بغير عَوْد، وتكاثر برذ اذك الجَوْد!

وابن اللّبون إذا ما لزّ في قَرَنٍ
لم يستطعْ صولةَ البُزّلِ القناعيس[٤١]

هل أنت إلاّ كما قال:

كناطحٍ صَخرةً يوما ليَفلقها
فلمْ يَضِرْها وأوْهَى قَرْنَهُ الوعِلُ[٤٢]

أتزري بنحويي العراق؟ وفضل العراق على الآفاق، كفضل الشمس في الإشراق على الهلال في المحاق، وإنّك أخمل من بقّة في شقّة، وأخفى من تينَةٍ في لَبِنَة!)[٤٣]. فهذا إقرار بأفضلية نحاة العراق، ولكن في الوقت الذي يثني فيه على علماء هذا المصر أنّهم لا يُضاهَون، يتراجع فيتهم المتسائل بالعمى الاستبداد، بعبارته: (فيقال له: إن كنت أعمى لا تنهض إلاّ بقائد، ولا تعرف الزائف من الخالص إلاّ بناقد، "فليس هذا بعشّك فادرجي"[٤٤]... وإن كنت من ذي الاستبراد، في محل الاستبداد، والاستناد حيث يجب الاستناد، فانظر فتستبين لك الرغوة من الصريح، ويتبيّن لك السقيم من الصحيح)[٤٥].

-لعلّه– استنادا إلى النقطة المتقدّمة– أقدم على نبذ مقالة نحويي المشرق من باب الإعتداد بالنفس أو بالبيئة فأراد أن يكون هو من يقابل أولئك النحاة بفكر جديد؛بدليل قوله– الذي مرّ بنا: (قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبّه على ما أجمعوا على الخطأ فيه: فمن ذلك ادّعاؤهم أنّ النصب والخفض والجزم لا يكون إلاّ بعامل لفظي،وأنّ الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي....)[٤٦] إلى آخر كلامه.

-إنّه ما كان يبغي هدم النحو لذاته، وإنّما كان يبغي هدمه بوصفه وسيلة لفهم الفقه المشرقي الذي اشترك هو في الثورة عليه[٤٧].

-اتّخذ ابن مضاء– كما اتّخذ غيره ممّن نقدوا النحو– من باب "الاشتغال" نقطة ضعف للهجوم على النحو العربي، وما ذكره من نصب الاسم المتقدم في باب الاشتغال بفعل مقدر هو رأي البصريين ، لأنّهم يقولون: إنّ الفعل "ضرب" في قول من يقول: " زيدا ضربته" ينصبَ الضمير، لأنّه متعدّ لمفعول واحد. فلم يصرّح كتابه "الرّد على النحاة" بعناية ابن مضاء

بالنحو الكوفي،وربّما يعود ذلك إلى أنّه لم يكن حريصا على التوفيق بين مذاهب النحاة وإنّما كان حريصا على مهاجمة النحو جملة، أو لعلّه اختار المذهب البصري لشيوعه من حوله فاتخذه مسرحا لمعاركه مع النحويين(٤٨).

موقف العلماء منه.

لم يبيّن لنا التاريخ أنّ أحدا من العلماء المعاصرين لابن مضاء أو ممّن تبعه ردّ عليه. وقد قيل أنّ أشهر من ردّ عليه "ابن خروف" ولكن كتابه لم يطبع(٤٩).

وعلى أيّة حال فإنّ عدم الرّد لايعني صحة ما ذهب إليه الرجل. فقد ظهرت في العصر الحديث مؤلفات نحوية كثيرة وقف بعضها عند مذهب ابن مضاء، ولاسيّما المؤلفات التي تعنى بالتجديد والتيسير، التي اتخذت من مقالته حجّة وذريعة لرفض ما أتى به الأوّلون، فقد بدت بصمات "الرّد على النحاة" واضحة على معظمها.

غير أنّ وقوفهم عنده لم يكن طويلا، إلاّ قليلا منهم ممّن بحث في الأصول(٥٠)، فقد عبّروا عن مذهبه بإشارات سريعة تفاوتت بين مثنٍ عليه وبين رادٍ عليه.

ويمكن عدّ الدكتور أحمد عبد الستار الجواري من الطّائفة الأولى، وذلك في قوله الذي ابتدأ به حديثه عن مذهب ابن مضاء؛ إذ قال فيه: (ومن أجل ذلك نجد نحويّا من أهل الحديث يتصدّى لتفنيد هذا الرأي ويكتب في بطلانه كتابا. فقد كتب ابن مضاء القرطبي في ذلك كتاب الرّد على النحاة، وجعل مدار الكلام فيه ما نسمّيه نظرية العامل، ومذاهب النحاة فيه)(٥١)، وفيه إشارة إلى اتخاذ مذهب ابن مضاء حجّة وذريعة لنقض العامل. غير أنّه أردف هذا الكلام بتعقيب على مقالة ابن مضاء "إنّ الأصوات من فعل الله.... وأمّا العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل... إلى آخر كلامه"(٥٢)، يلمح فيه إلى عدم الرضا من هذه المقالة: (وهكذا نراهم يختلفون في أمرٍ لا يجد البحث العلمي طائلا فيه وفي بحثه، ذلك أنّ العلم الحديث إنّما يسأل عن الظاهرة كيف وقعت ولماذا وقعت ؟ وقلمّا يسأل من أحدثها أو أوجدها أو قام بها؟)(٥٣)، ومراده من المختلفين بالأمر؛ القدماء والمتأخرون، منهم ابن جني؛ إذ سبق حديثه عنه حديثه عن ابن مضاء وقد اختلفوا في تفسير العامل.وكذلك نجده في موضع متقدّم يقارن بين موقف ابن مضاء وموقف أستاذه الدكتور إبراهيم مصطفى، فينعت الأوّل بالسذاجة واختلاف الدوافع التي دفعت بصاحبه إلى اتخاذه،وكذلك اختلاف الغرض الذي يريده. في حين يجنح إلى وصف الآخر بأصالة الجهد وأنّ الاستاذ إبراهيم مصطفى هو من أنار الطريق أمام المحدثين في كتابه "إحياء النحو" ففتح لهم مغاليقه(٥٤).

وقد ردّ عليه بعض المعاصرين، منهم الدكتور نوري حمودي القيسي- بعد أن امتدح جهد ابن مضاء – إذ قال:(والتمثل في نظرية العامل لا يمكن أن تكون فكرته ساذجة..)(٥٥).

ومنهم أيضا الدكتور الدكتورشوقي ضيف، الذي ذهب إلى أنّ ابن مضاء كان ممهّدا لتخليص النحو ممّا

صعب فيه؛ وذلك في قوله:(وبذلك مهّد ابـن مضاء لتخليص النحو من صعابه وتعقيداته،غير أن مخالفيه من النحـاة في زمنه وبـعد زمنه صموا آذانهم عن دعوته، وظلوا يؤلفون مطولاتهم الضخمة حـاملة ما لا يحصى من مسائله العويصة وعقده العسـيرة)(٥٦).

وقد تبنى هذا الرأي الدكتور نعمة رحيم العزّاوي، الذي وصف عمل ابـن مضاء بـأنه ثورة(٥٧)، وأنّه خلص النحو ممّا علق بـه من شـوائب التأويل والتقـدير والتعليل(٥٨).وكذلك وصفه الدكتور أحمد مطلوب،وذكر أنّ صوت ابن مضاء لعلّه أعظم صوت ارتفع قـديما ليطالب بتيسير النحو وتجديده(٥٩).

ومنهم أيضا محمد عيد، الذي كان يعدّه مجتهدا كبيرا لم يأت التاريخ النحوي بمثل صنيعه-على حسب رأيه- وإنّ إغفال الباحـثين لـه في عصره أو في العصور اللاحقـة لا لشـي إلاّ لما عرف من أنّ الناس أعداء الجديد؛ لاطمئنانهم إلى ما ألفوه وتداولوه(٦٠).

وقد حاول عيد أن يبـعد عن ابـن مضاء شبـهة الاعتقاد بالجبر في بعض ما ذكره، فذكر أنّ قول ابـن مضاء".. ولا فاعل إلاّ الله عند أهل الحق،وفعل الإنسان وسائر الحـيوان فعل الله تعالى، وكذلك الماء والنّار وسائر ما يفعل"(٦١)،استدراك يتعلق بالدين،وليس أمراً يراد مناقشـته(٦٢). ورأى- معقّبـا على كلامٍ لابـن مضاء- أنّ قـضية العامل أدّت إلى تغيير كلام العرب ومعانيه(٦٣).

ولكنّنا- من باب الردّ على هذه المقـولة- لا نرى تغييرا في المعنى حينما نذكر العامل. ففي قولنا- على سبـيل المثال-: "ضرب زيد عمرا"؛ إنّ الفعل "ضرب" عمل على رفع الفاعل "زيد" ونصب المفعول "عمرو"، وهذا من باب المجاز يُركن إليه لأجل تقـنين النحـو وتيسير حفظه؛ إذ إنّ حقيقة العمل من مؤدى المتكلم الذي أخذها من العرف اللغوي لبـيئته وهذا هو رأي معظم النحاة الأوائل(٦٤).

فالمعنى في هذه الجملة؛ هو: أنّ الضارب زيـد، والمضروب عمرو؛ فعل وفاعل ومفعول بـــه ، وأنّ صيغة الفعل تدل على أنّ الحدث حصل في الماضي.

أمّا الطّائفة الأخرى التي واجهت فكر ابـن مضاء بالرّد والنقض، فقد كان في مقدّمتها الدكتور محـمد إبراهيم البنا، وذلك في دراسته التي استهل بها تحقيقه لـ "الرّد على النحاة"؛ إذ نبّه فيها على بعض الأمور، منها: تناقضه؛ فهو مرّة يقـول: إنّ المتكلم لا دخل له في عمل الأصوات وهي من فعل الله(٦٥) ، ومرّة أخرى يتبنى رأي ابن جني الذي يقـول: إنّ الرفع والنصب والجر والجزم إنّما هي من عمل المتكلم لا لشــيء غيره(٦٦).

وكذلك نبذه القول بالعامل في أبواب كتابه، ثمّ عاد إليه، فأبدل كلمة "يعمل" و"عملت" و"تعمل" وما شابـه ذلك بـ "يتعلق" و"تعلقت" وأمثالهما. من ذلك ما قـاله في باب التنازع:(فأنا في هذا الباب لا أخالف النحويين إلا في أن أقول: علقت، ولا أقول: أعملت)(٦٧)، ثمّ ذكر بعض الأمثلة، منها:(وتقول:"مررت ومرّ بي زيد" على تعليق "زيد" بـ "مرّ". وإن علقته بـــ "مررت" قـلت: "مررت- ومرّ بي- بزيد" تقديره: مررت بـزيد ومرّ

بي..)[٦٨]. وغيرها من الأمثلة التي استقاها من كتاب سيبويه، فأبدل لفظ "عمل" بلفظ "علق"، وليس بين معنييهما فرق كما هو واضح ؛ وإنّما الإختلاف في الإصطلاح [٦٩] وليس في ذلك ضير؛ إذ لا مشاحة في الإصطلاح. فقد يكون مصطلح "التعليق" عنده مأخوذا من المعتزلة والأشعرية[٧٠].

ونبّه أيضا على اتهام ابن مضاء للنحاة بالفساد وأنّه مسّهم مسّا غير كريم ولا سيّما صاحب الكتاب وشيخه الخليل بن أحمد، حينما قال:(وأمّا العوامل النحويّة فلم يقل بعملها عاقل)[٧١].

ومنها أيضا: أنّه كان يتحكم في اختيار النصوص وفي تأويلها، فلم يبنِ حكمه على حقيقة ما يريده المتقدّمون كسيبويه وابن جني في مجموع نصوصهم، بل عمد إلى اقتضاب اقوالهم اقتضابا، فقد زعم أنّ ابن جني يرى العمل من فعل المتكلم لا من فعل الألفاظ أو المعاني التي قال بعملها النحاة، وقد بنى زعمه هذا على كلام مقتضب لابن جني، وهو قوله:(وأمّا في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنّما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره)[٧٢]. ولكن زعمه هذا مردود، لأنّ ما يراه ابن جني ليس من عنده؛ بل هو رأي النّحاة ممّن سبقه، وقد تبنّاه ابن جني. إذ إنّ أصل قوله هو:(وإنّما قال النحويون:عامل لفظي وعامل معنوي، ليروك أنّ بعض العمل يأتي مسبّبا عن لفظ يصحبه ، كمررت بزيد، وليت عمرا قائم، وبعضه يأتي عاريا من مصاحبة لفظ يتعلق به، كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر الأمر وعليه صفحة القول، وأمّا في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنّما هو للمتكلم نفسه لالشيء غيره وإنّما قالوا:لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامّة اللفظ للفظ ، أوباشتمال المعنى على اللفظ وهذا واضح)[٧٣].

وأكبر الظّن أنّ ابن مضاء لم يأت بكلام ابن جني إلاّ ليسوّغ لنفسه مخالفة النحاة، فيكون رفضه القول بالعامل اللفظي والمعنوي ؛ لأنّ ابن جني وهو أحد حذّاقهم فعل هذا ؛ فقال: إنّ العمل للمتكلم لا للفظ أو المعنى[٧٤].

فمن الوهم أن يقال: إنّ العامل عند كليهما هو المتكلم[٧٥]، وذلك لأنّ ما ذكره ابن مضاء لا يدلّ على موافقته لابن جني، فضلا عن أنّه عقّب على كلام ابن جني بأنّه كلام المعتزلة، وأنّ مذهب أهل الحق هو أنّ هذه الأصوات هي من فعل الله[٧٦].

وممّن ردّ عليه أيضا الدكتور فخر الدّين قباوة، الذي ذكر أنّ ابن مضاء ذهب في قوله: "إنّما الأفعال والأعمال من الله" مذهبا دينيا يكشف عن معتقده في التوقيف والجبر الذي استمدّه من مذهبه الظاهري[٧٧]؛ فكأنه ألبس النحو لبوسا "ظاهريا"، وأنّ رأيه هذا يعود إلى النظرية الإلهيّة. ثمّ ذكر أنّ هذا المذهب ربّما ولد لينافس توجهات المذهب الاعتزالي في إرجاع قضايا اللغة ومسائلها المتعدّدة إلى حكم العقل والإنسان[٧٨].

وعلى أيّة حال فنحن نؤيد الآراء التي تصف محاولة ابن مضاء بالجريئة وأنّه كان الممهّد لفكرة

التجديد عند المعاصرين. فقد يكون – رحمه الله– مجتهدا جائلا بفكره في هذا العمل؛ إلاّ أنّ المطّلع على كتاب "الرّد على النحاة" يشعر بأنّ موضوعاته لا توحي بتخليص النحو من الخطأ– الذي زعمه ابن مضاء–[٧٩]. وكذلك فإنّه لم يأت بجديد يفيد الدرس النحوي.

فالذي يبدو ممّا تقدّم أنّ ابن مضاء بنى مذهبه هذا على لغة الخطاب لا على لغة الكتابة، فكان مجال النحو عنده الكلام المنطوق. وكذلك فأنّه لا يريد إعمال الذهن في المسائل النحوية المُشكلة، وإنّما يريد اللجوء إلى الحكم بالظاهر فحسب، ولذلك لم يكن متمكنا من علم النحو تمكّن أهله، فجاء كلامه عن النحو والنحويين متهافتا لايرقى إلى منهج واضح دقيق، كالذي يمتلكه أرباب النحو ممّن تقدّمه أو عاصره. ثمّ أنّه أوعز بتأليف كتاب يضمّ موضوعات النحو كلّها على منهج جديد أسّس له، فلفت أذهان تابعيه ولكنّه لم يفعل.

وخلاصة الأمر نقول: إن كان ابن مضاء مخطئا فيما ذهب إليه فقد كفانا المؤونة، وإن كان مصيبا فهذا يعني بطلان إجماع آراء النحويين القدامى، وقد علمنا أنّ ابن مضاء صرّح بأنّ النحاة أجمعوا على القول بالعامل بعامّتهم. وإن كان ما قاله– أي ابن مضاء– من أنّ إجماع العلماء على أمر لايعني لزوم صحّته، فما الجديد الذي أتى به؟ و ما البديل الذي قدّمه للدرس النحوي؟ وهل غدا مؤلفه إلا وقفة تاريخية من تاريخ النحو يمرّ بها الدارسون والباحثون في الأعمّ الأغلب منهم.

ثمّ إذا كان هذا العلم لاينبغي له إلاّ أن يكون بهذه الصورة أو الطرح فليس لمن خاض غماره وركب بحره وغاص في أعماقه إلاّ الإجلال والإكبار على كبير صنعه وعظيم تحمّله؛ إذ إنّ مانراه من تشعّب الصور وتعدّد الآراء في المسألة النحوية الواحدة، هو في واقع الأمر لا يمثل إلاّ صوَرا جزئيّة لابدّ منها لإكمال الصورة النهائية لتلك المسألة، فإذا ما عُمِد إلى اختزال بعض تلك الصور فإنّه من باب تسهيل حفظ تلك المعلومات على المبتدئين من طلاب النحو ،ومن ثمّ معرفة أولّيات الضوابط والقواعد النحوية، أمّا الباحثون في الدرس النحوي فإنّهم لايبغون إلاّ كما يبغي أساطين النحو من جمع الأشباه والنّظائر التي تُحبك بوساطتها القضيّة النحوية المرادة.

فالذي يبغي السير على خطى ابن مضاء عليه أن يتنبّه على أنّ الجنوح إلى تجديد النحو ليس في نبذ القديم أو إلغائه؛ فيكون حينئذ كمن أزاح عنه مسنده فهوا؛ إذ إنّ القديم هو المرتكز الذي لا بدّ منه، وإنّ التجديد يكون بالرجوع إلى النصوص القرآنية لأنّها الأنموذج الأرقى في الدرس اللغوي، ومن ثمّ ترك الأمثلة التي تحمل غرابة في صياغتها، أو أن يبدو العسف والتمحل في صناعتها،وبذلك يمكن للنحو من أن يهذّب أويشذّب.

النتائج

توصل البحث إلى جملة من النتائج ، يمكن إجمالها بالنقط الآتية:

-أصالة العمل النحوي والمعمولات في الدرس النحوي المتقدّم.

- تضافر الظروف المختلفة على ابــن مضاء ، منها البيئية والدينية والسياسية.

- تمسكه ببعض نقــط الضعف في النحــو العربــي كقضيتي التنازع والاشتغال، واتخاذها ذريعة في منهجه ضد النحاة.

- تناقضه في الحكم على المســائل النحــوية، وفي معالجة النصوص.

- توجهه في الحــكم إلى ظاهر النص من دون النظر إلى ما يستبطنه من معنى.

-اتخاذ المعاصرين نظريته حجة وذريعة لتوجهاتهم التجديدية، ثم تركوه وراء ظهورهم فلم يحــظ عندهم بكبير اهتمام.

- ما يحسن اتخاذه في الدرس النحوي؛ هو الابــتعاد عن الأمثلة والشواهد الغريبـــة أوالمصنوعة التي لم يألف استعمالها عند العرب، ومن ثمّ اللجوء إلى النّص القرآني في الاستشهاد والحكم.

الهوامش

١ .ينظر: نظرية العمل في النحو العربــي دراســة تحليلية ونقدية — أطروحة-: التمهيد: ٢.

٢ .ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/ ٨٠ ، وهامـش النظرية الخليلية- بحث في المقولة العاملية-: ١٢٨.

٣ .ينظر: الفهرست: ٢٠٠.

٤ .مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ٢٦٩.

٥ .المدارس النحوية: ٣٨.

٦ .تاريخ الأدب العربي: ٢/ ١٣٤ — ١٣٥.

٧ .ينظر: نحو التيســير: ٣٩ وما بــعدها، وينظر: أصول النحو العربي: ١٩٩.

٨ .ديوان امرىء القيس: ٥٣.

٩ .الكتاب: ١/ ٣٥.

١٠ .ينظر: مقدَمة الرَد على النحاة: ١٤.

١١ .الكتاب: ١/ ١٥ — ١٦.

١٢ . مقدَمة الرد على النحاة: ١٥.

١٣ .ينظر:الديباج المذهب: ٤٧.

١٤ .ينظر: بغية الوعاة: ١٣٩.

١٥ .ينظر: الديباج المذهب: ٤٧.

١٦ .ينظر: الرّد على النحاة تح: د.شوقي ضيف: ٧.

١٧ .ينظر: المعجب: ٣٥٤ــ ٣٥٥.

١٨ .ينظر: الرّد على النحاة: ٧.

١٩ .ينظر: أصول النحو العربي: ٣٤.

٢٠ .فقد زعم بعض المحدثين أن قطربَ وابـن جني كانا منكرين لنظرية العامل(ينظر: الظواهر اللغوية في التراث النحوي:١٠١، وفقه اللغة المقارن:١٧، والعامل النحوي بـين مؤيديه ومعارضيه:٦٧)، غير أنّ هذا الزعم فند فلم يلق تأييدا. ينظر: نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه "أطروحة":١٥٥-١٦٧.

٢١ .ينظر: أصول النحو العربي: ٣٧.

٢٢ .المصدر نفسه: ٣٧.

٢٣ .الرّد على النحاة: ٧٤.

٢٤ .المصدر نفسه: ٦٩.

٢٥ .يريد به العامل.

٢٦ .الرّد على النحاة: ٧٠.

٢٧ .المصدر نفسه: ٧١.

٢٨ .ينظر: نظرية العامل في النحو العربي: ١٨٤.
٢٩ .ينظر: الرّد على النحاة: ٧١-٧٢.
٣٠ .أصول النحو العربي:٢١٦.
٣١ .الرّد على النحاة: ٧٣.
٣٢ .ينظر: مشكلة العامل: ١٠٣.
٣٣ .الرّد على النحاة: ٧٠.
٣٤ .مشكلة العامل: ١٠٣.
٣٥ .ينظر: أصول النحو العربي لـ د٠محمد خير الحلواني-: ٢١٤.
٣٦ .الإسراء: ٧٢.
٣٧ .ينظر: العلة النحويّة: ١٥٤.
٣٨ .التقريب: ٢٠٢.
٣٩ .سر الفصاحة: ٣٣.
٤٠ .ينظر: الرّد على النحاة: ١٠.
٤١ .البيت لـ جرير- ينظر: ديوانه: ٢٥٠.
٤٢ .البيت لـ الأعشى- ينظر: ديوانه: ١٤٨.
٤٣ .الرّد على النحاة: ٦٧.
٤٤ .هذا مثل عربي، ينظر مجمع الأمثال:٢/ ١٨١، والرّد على النحاة: ٦٧.
٤٥ . الرد على النحاة: ٦٨.
٤٦ .المصدر نفسه: ٦٩.
٤٧ .النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤.
٤٨ . ينظر: الرّد على النحاة تح: د.شوقي ضيف: ٧.
٤٩ . ينظر: منتدى أهل الحديث. مقالة أبو مالك العوضي.
٥٠ .منها: كتاب أصول النحو العربي للدكتور محمد عيد.
٥١ .نحو التيسير: ٤٠.
٥٢ .الرّد على النحاة: ٧٠.
٥٣ . نحو التيسير: ٤١.
٥٤ .ينظر: المصدر نفسه: ٢٣، ونحو التجديد: ١٨.
٥٥ .ينظر: مطالعات في كتاب"نحو التيسير" — بحث :١٣.
٥٦ .تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا: ٢٥.
٥٧ .ينظر: في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث: ٣٦ وما بعدها.
٥٨ .ينظر: المصدر نفسه: ٤٠.
٥٩ .ينظر: نحو التيسير ـ بحث ـ: ١٤.
٦٠ .ينظر: أصول النحو العربي: ٤٥.
٦١ . الرد على النحاة: ٧٠.
٦٢ .ينظر: أصول النحو العربي: ٢١٢.
٦٣ .ينظر: المصدر نفسه: ٢١٥.
٦٤ .ينظر: الرّد على النحاة: ١٩.
٦٥ .ينظر: الرّد على النحاة: ٦٩.
٦٦ .الخصائص: ١/ ١٠٩-١١٠.
٦٧ .الرّد على النحاة: ٨٥.
٦٨ .المصدر نفسه: ٨٧ ــ ٨٨.
٦٩ .ينظر: منهاج البلغاء: ٢٥٢.
٧٠ .ينظر: دلائل الإعجاز: ٥٦، ومشكلة العامل النحوي: ١٠٤ هامش٢.
٧١ . الرّد على النحاة: ٧٠، وينظر: المقدمة: ١٧.
٧٢ .المصدر نفسه: ٨٧.
٧٣ .الخصائص: ١/ ١٠٩ — ١١٠، وينظر: الرّد على النحاة: ١٨.
٧٤ .ينظر: نظرية العامل في النحو العربي: ١٨٠.
٧٥ .ينظر أصول النحو العربي: ٢٥٤، واللغة والنحو بين القديم والحديث: ١٨٨.
٧٦ .ينظر: الرّد على النحاة:٧٠.
٧٧ .ينظر: مشكلة العامل النحوي: ١٠٣.
٧٨ .ينظر: المصدر نفسه: ١٠٣.
٧٩ .ينظر: الرّد على النحاة: ٦٩.

مظانّ البحث

القرآن الكريم

- أصول النحو العربي – د.محمد خير الحلواني – جامعة تشرين اللاذقية- ١٩٧٩م.
- أصول النحو العربي في نظر النحاة، ورأي ابن مضاء، وضوء علم الحديث – د. محمد عيدعالم الكتب ، القاهرة ، ط ٦، ١٩٨٩م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – السيوطي – القاهرة، ١٣٢٦هـ.
- تاريخ الأدب العربي – كارل بروكلمان – ترجمة عبد الحميد النجار- دار المعارف، مصر، ١٩٦١م.
-التقريب لحد المنطق والمدخل إليه- ابن حزم - تح: إحسان عباس- بيروت (ت.د).
-تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا – د.شوقي ضيف – دار المعارف ، مصر، ١٩٨٦م.
-الخصائص- ابن جني- تح: محمد علي النجار- دار الكتب، ١٣٧١هـ ، ١٩٥٢م.
-الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب - ابن فرحون – شقرون (ت.د).
-ديوان الأعشى- دار صادر، بيروت.
-ديوان امرىء القيس- شرح وتعليق د.محمد الاسكندراني ونهاد رزوق- دارالكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
-ديوان جرير – دار صادر، بيروت.
-الرّد على النحاة – ابن مضاء القرطبي- دراسة وتحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا – دار الاعتصام، القاهرة، ط ١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
-الرّد على النحاة – ابن مضاء القرطبي – تح: د.شوقي ضيف – مصر، دار المعارف.
-سر الفصاحة – ابن سنان الخفاجي – شرح وتحقيق عبد المتعال الصعيدي–مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.
-الظواهر اللغوية في التراث النحوي – د.علي أبو المكارم – القاهرة ، ط ١، ١٩٦٨م.
-العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه ودوره في التحليل اللغوي – د. خليل أحمد عمايرة.
-العلة النحوية نشأتها وتطورها – د. مازن مبارك – مصر.
-فقه اللغة المقارن – د.إبراهيم السامرائي – بيروت، دار العلم، ١٩٦٨م.
-الفهرست – ابن النديم- تح: مصطفى الشويمي- الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، ١٩٨٥م.
-في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث – د.نعمة رحيم العزاوي – دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٥م.
-في النحو العربي نقد وتوجيه – د. مهدي المخزومي – المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤م.
-الكتاب – سيبويه – تح: عبد السلام محمد هارون – دار القلم، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٦م.
-اللغة والنحو بين القديم والحديث – د.عباس حسن – دار المعارف، مصر.
-مجمع الأمثال – الميداني – تح: محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ ، ١٩٥٥م.
المدارس النحوية– د. شوقي ضيف – دار المعارف، مصر، ١٩٧١م-
-مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو – د.مهدي المخزومي- دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٥م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها –السيوطي(ت٩٩٩هـ) – تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرون – دار الجيل، بيروت (ت. د).

-مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء – د٠فخر الدين قباوة دار الفكر، دمشق ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

-مطالعات في كتاب "نحو التيسير" بحث د٠ نوري حمودي القيسي مجلة المعلم الجديد ج١وج٢، كانون الثاني حزيران، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٣م.

-المعجب في تلخيص أخبار المغرب- علي بن عبد الواحد التميمي المراكشي- تح: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي- مطبعة الاستقامة ط١، القاهرة، ١٩٤٩ م.

-ملتقى أهل الحديث ـ منتدى اللغة العربية ـ مقالة أبو مالك العوضي ـ www.ahlalhdeet.

-منهاج البلغاء وسراج الأدباء أبو الحسن حازم القرطاجني- تح: محمد الحبيب بن الخوجة تونس، ١٩٦٦م.

-نحو التجديد في دراسات الدكتور الجواري د٠محمد حسين علي الصغير م٠المجمع العلمي العراقي، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

-نحو التيسير بحث- د٠ أحمد مطلوب ،مجلة المعلم الجديد، ج١وج٢، مطبعة المعارف، بغداد، كانون الثاني حزيران، ١٩٦٣م.

-نحو التيسير د٠أحمد عبد الستار الجواري- المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط ٢، ١٩٨٤م.

-نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه سعيد أحمد طالب البطاطي أطروحة دكتوراه كلية التربية / الجامعة المستنصرية ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

-نظرية العمل في النحو العربي دراسة تحليلية ونقدية صالحة حاج يعقوب أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها- كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية- الجامعة الإسلامية العالمية / ماليزيا- أيلول، ٢٠٠٥م.

-هامش النظرية الخليلية بحث في المقولة العاملية الدكتور ملاوي صلاح الدين/ مجلة المخبر/ وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها / جامعة بسكرة العدد الأول ، ٢٠٠٩م.

-وفيات الأعيان – ابن خلكان– تح: محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة، ١٩٤٨م.

الخط العربي

نشأته وتطوره وعلاقته بالمرجع الحضاري والفكري والثقافي للمجتمع العربي

أ. د. نهاد فليح حسن العاني
الجامعة المستنصرية /كلية الآداب

المورد
العدد
الثالث
لسنة
٢٠١٥

المحور الأول: صناعة الخطّ والكتابة

الخط: هو تصوير اللفظ برسم حروف هجائية بتقدير الابتداء به والوقوف عليه.

الكتابة: انها نقوش مخصوصة دالة على الكلام دلالة اللسان على ما في الجنان الدال على ما في خارج الاعيان وهي رمز اللغة كما ان اللغة رمز الفكر وهي ظاهرة انسانية عامة[١].

وابن خلدون (ت ١٤٠٦م) في مقدمته يرى ان الخطّ والكتابة من عداد الصناعة الانسانية.

والخطّ: (هو رسوم واشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة اذ الكتابة من خواص الانسان التي يميز بها عن الحيوان) ومهمة

الكتابة (انها تطلع على ما في الضمائر و تتأدى بـــها الاغراض الى البلاد البعيدة فتقضي الحـــاجات وقـــد دفعت مؤونة مباشـــرة لها ويطلع بـــــها على العلوم والمعارف وصحـــف الاولين وما كتبـــــوه من علوم واخبـــارهم فهي شـــريفة بـــــهذه الوجوه و المنافع وخروجها في الانسان من القوة الى الفعل انما يكون بالتعليم)[٢] .

لم يميز ابن خلدون بين الخطّ و الكتابـــة اذ عدهما ضمن مفهوم واحد ومهنة خصّ بها الانسان وهي من معالم الحضارة العالمية التي لها اهمية نقـــل الافكار والعلوم بين المجتمع البشـــري، اذ ان مهمة الكتابـــة تعني وظيفة الظاهرة اللغوية في المجتمع لأن ابســـط تعريف للغة: انها ظاهرة تستخدم للتفاهم بين ابـــنـــاء مجتمع معين يتلقـــاها الفرد عن الجماعة التي يعيش معها ومهمتها نقل الافكار بين الجنس الانســـاني في صورة سمعية او مرئية .

ومن هنا ربط علم اللسانيات الحديث- لاسيما الفكر البنيوي- بين مهمة اللغة ومهمة الكتابة، ذكر اللساني فرديناند دي سوسير(ت١٩١٣م):اللغة والكتابة نظامان متميزان من الاشارات والهدف الوحيد الذي يســـوغ وجود الكتابة هو التعبير عن اللغة، ومن ثم عدّ اللغة المكتوبة المرجع الاساس لتعلم اللغات، اذ اننا نتعرف على اللغات وخصائصها في العالم من خلال الكتابـــة (النصوص المكتوبة) حتى لو اردنا تعلم لغتنا الام او دراستها كثيرا ما نستخدم النصوص المكتوبة وتزداد الحاجة الى استخدام الادلة المكتوبة عن دراسة اللغات البعيدة عنا ولاسيما اللغات التي لم يعد احد يتكلم بـــها (اللغات البائدة) ولذا قامت مجموعة من علماء اللغة والتراث في مدينتي باريس وفيينا بـــتوفير نصوص ونماذج من جميع اللغات التي يمكن التوصل اليها ولا يمكن تسهيل مهمة هؤلاء الاعن طريق الكتابـــة اي توفير النماذج المكتوبة للمهتمين بالموضوع[٣].

فالكتابة- مع انها لا تمت بصلة الى النظام الداخلي للغة- تستخدم كثيرا لتمثيل اللغة او التعبير عنها اذن لا يمكن اهمال الكتابة بل يجب ان نلم بفوائدها وعيوبها ومخاطرها فاللغة نظام من الاشارات والكتابة تمثيل هذا النظام بـــالصورة المرئية، ومن هنا حـــدد علم اللغة الحديث هدفة على الشكل المنطوق للغة الذي يرتبـــط ارتباطا وثيقا بـــالصورة المكتوبـــة حـــتى ان الصورة الاخيرة بدأت تطغى على الصورة السابقـــة (الشـــكل المنطوق) او (الالفاظ المنطوقة) فاتجه اهتمام الناس الى الصورة المكتوبـــة للاشـــارة الصوتية اكثر من اهتمامهم بالاشارة نفســـها والرأي الســـائد ان اللغة اســـرع الى التغيير اذا لم تكن لها صورة مكتوبـــــة فالكتابة قـــد تؤخر عملية التغيير في ظروف معينة،إلا أنها لا تســـطتيع تمييز بـــعض الخصائص الصوتية الدقيقة للغة كظاهرة الامالة مثلا او صفة وخصائص بعض الاصوات كالصوت الاحتكاكي او المجهور او المهموز او الصفيري وغيرها وصور المقـــــاطع الصوتية المختلفة المعروفة في مباحث علم الصرف او التغيرات الطفيفة في صوت اللفظ، فاللغة لها تقليد شفهي ثابت محدّد مستقـــل عن الكتابـــة لا تســـتطيع

الكتابة اظهاره ومن هنا نشأ الفرق بين الحرف المرسوم والصوت.

إنَّ الصورة الكتابية بوصفها شيئاً ثابتاً مستقراً هي أنسب من الصوت لتفسير وحدة اللغة خلال العصور والصور المرئية للغة (المكتوبة) أكثر جذباً لانتباه الناس من الصورة الصوتية فالانطباع الذي يتركه المكتوب أوضح وأكثر انطباعاً من الصورة السمعية (الشكل الكتابي يحدث انطباعا لدى الناس على حساب الشكل الصوتي)[٤] الانسان يبدأ الخطوة الأولى في التعلم وكسب الثقافة من الكتب وعن طريقها، ونظام الكتابة اليوم يُعرف عادة بالنظام الصوتي هو يحاول أن يعبر عن الأصوات المتعاقبة التي تتألف منها الكلمة وهذا يعتمد على المقطع/الحرف والحركة/وعلى الحرف فقط أي على العناصر الصغرى المستخدمة في الكلام، وهذا النظام المستخدم اليوم هو مستمد من حروف الهجاء (الالفباء) الاغريقية وهو الذي اوصى به الاتحاد الدولي لعلم الصوت[٥] (IPA) ويعرف بالطور الهجائي بالنسبة لمراحل تطور الخطّ والكتابة في العالم وهو نتيجة طبيعية لتقدم الحضارات واتساع المعارف فأصبحت حاجة الناس ماسة الى ابتكار علامات جديدة تساعد على كتابة المكتسبات الجديدة وتعود جذور هذا النظام الكتابي الى السومريين اذ ابتدعوا علامات تشبه المسامير العمودية والمائلة و الافقية بلغت ستمائة علامة وذلك في حدود ٣٢٠٠ ق م والخط المسماري يكاد يكون خليطا من الطريقة الصوتية والطريقة الرمزية والخطّ الفينيقي مشتق من الخطّ المسماري على اساس هجائي، وقد ظهرت محاولات حلّ رموز الكتابة المسمارية اهمها محاولة العالم(كرو تفندل) سنة ١٨٠٢م الذي نظّم ابجديتها[٦].

إذن الخطّ والكتابة من جملة الصنائع التابعة للاستقرار الحضاري وتطور العمران ولذا نجد مجتمع البدو او المجتمعات غير المستقرة في وادٍ معين من الارض مجتمعاً يفتقر افراده الى تعلم القراءة والكتابة فالخط والكتابة مظهر من مظاهر الحضارة مثل حضارة وادي الرافدين ووادي النيل وهي اثر من اثار رقي الامم وتقدمها نتيجة استقرارها واختلاطها بالأمم الاخرى في كل مجالات الحياة وانشطتها لذا نجد اسبق الامم حاجة الى الكتابة اكثرها رقيا وتقدما وكلمة (تأريخ) تعني بداية تسجيل المراحل الاولى التي عرف فيها الناس التدوين باشكاله المختلفة فالتدوين سجل ملامح الحضارات وتاريخ حياتها .

ومن المقرر عند علماء الخطّ والتاريخ القديم ان الحضارات في العالم قد كتبت بأربعة انواع من خطّ الكتابة هي:

١. الخطّ المسماري
٢. والخطّ الحثي
٣. والخط الصيني
٤. والخطّ الهيروغلوفي

والخط الحثي: ينسب الى الحثيين من اقوى الشعوب الهندو اوربية القديمة واكثرها حضارة استقروا في تركيا الحالية- اسيا الصغرى- كان لهم خط مسماري

يكتبون به بطريقتهم الخاصة وهو أصل الخط الحبشي والخط الحميري.

والخطّ الصيني:- من الكتابات الصورية القديمة التي عرفها الانسان منذ اقدم العصور معتمدا في رسم اشكاله وصوره على اشكال وصور اوراق البامبو (الخيزران) وقد استعمله الشعب الصيني ولا يزال بعضه معروفا لديهم رغم التغيير الكبير والتطور في الخط والكتابة الذي رافق اشكاله وله انواع عدة ولكل نوع اصوله.

والخط الهيروغلوفي: - المصري القديم وهو الجذر الاول للخطوط المصرية الاخرى التي اشتقت منه كالخط الهيراطيقي والديموطيقي ويذكر انه الجذر الاول للخط العربي ورسم حروفه المتدرجة واول حلقة في سلسلة وجوده وتدوينه [٧].

ومن مظاهر اهتمام الحضارة بالخط والكتابة واستحكام صنعتها ما نقل عن الحضارة العربية في مصر والعراق واليمن: ان بها معلمين منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين واحكاما في وضع كل حرف يزيدون الى ذلك المباشرة بتعليم وضعه فتعضد لديه رتبة العلم والحسّ في التعلم وتأتي ملكته على اتم الوجوه وانما اتى هذا من كمال الصنائع و وفورها بكثرة العمران وانفساح الاعمال وقد كان الخط العربي بالغا مبالغة من الاحكام والاتقان والجودة[٨]. ان اختراع الحرف ومعرفة الكتابة اهم حدث في تاريخ البشرية فلم تبدأ المدنية والحضارة الا عندما استطاع الانسان بالخط والكتابة نقل افكاره وتسجيل اثاره[٩].

ذكر ابن خلدون: ان الخط والكتابة من حروفها منفصلة واحتاجت الدولة الى الكتابة فاوجدوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداوله فتفرقت الاجادة فيه واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة الاتقان حتى اذا تقلص ظل الدولة بعض الشيء وتراجع امرالحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجهل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة و تناقص العمران وقد ادرك علماء الاجتماع هذه الاهمية وعدوها من جملة الصنائع المدنية المعاشية[١٠] فلم يبق احد من الناس يجهل قيمة الكتابة في مجال العلم والحضارة ولم يبق احد يتحسس فوائد ذلك واهميته وخطورته في حاضر الامة ومستقبلها.

المحور الثاني:

الخطّ العربي نشأته وتطوره واثره في الحضارة العربية الاسلامية

الخطّ وسيلة الكتابة والكتابة وسيلة التعبير عن الأفكار اذن يجب تقديم الخط بمظهر يمكنه من تحقيق وظيفة اللغة من حيث المظهر وحسن الشكل. والحديث عن نشأة الخطّ العربي وجذوره التاريخية الاولى ومعرفة اوّل من خط العربية يعدّ ضربا من المستحيل لعدم وجود الادلة الصحيحة التي تساعد الدارسين في تحديد موطنه الاصلي وشكله الذي الفه اصحاب الكتابة الا ان الروايات اجمعت ان الخط العربي والكتابة ظهرت في حضارة اليمن في القرنين الاول والثاني قبل الميلاد حين بسطت سيطرتها على الجزيرة العربية وعلى قبائل شمال الجزيرة وكان الخطّ يعتمد في الكتابة اللغة

الحميرية السائدة اذ كانت الدولة تهتم بتدوين معاملاتها التجارية ثم دونت بقلمها المسند النصوص الثمودية والصفوية واللحيانية. ثم نقل هذا الحرف الى دولة المناذرة في العراق وهم نسباء التبابعة اليمنيين لوجود اثر هذا الخط في نصوص كتابية في العراق ثم نقله المناذرة الى مكة والطائف[11](وكان الخط العربي بالغا مبالغة من الاحكام والجودة والاتقان في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بـ(الخط الحميري) وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بارض العراق)[12]. والاصل الذي اجمعوا عليه ان اهل الحجاز انما لقنوا الكتابة والخط من الحيرة ولقنها اهل الحيرة من اليمن (وهو الاليق من الاقوال وكانت لحمير كتابة تسمى المسند حروفها منفصلة ومن حمير تعلمت مصر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا مجيدين لها شأن الصنائع)[13].

واشهر الخطوط في الدولة العربية قبل الاسلام هي:

- الخط المسماري، وهو الخط الذي استعمل في بابل واشور وما حولها من مناطق العالم وبلغ عدد علامات الخط المسماري في عصوره الاولى ما يزيد على الفي علامة ثم اختزلت الى ثمانمائة علامة، وكان الطين المادة الاساسية في الكتابة ودونت به نصوص اقتصادية وادارية واعمال الملوك والأمراء ومنجزاتهم المعمارية، وقد انقرض لصعوبة التعامل معه.

-الخطّ النبطيّ، وهو الخط الذي كتبت به اللهجة النبطية الارامية التي استخدمها الانباط العرب الذين استقروا في مناطق بلاد الشام وسيناء وشمال بلاد العرب والانباط قبائل عربية نزحت من الجزيرة العربية وسكنوا في مناطق الارامية في فلسطين والاردن وبلاد الشام ومن مدنهم البتراء ومدائن صالح وبصرى وبقيت حضارتهم مستمرة ومزدهرة وكان خطهم الارامي واسع الانتشار واستخدم في المعاملات التجارية،ومن الخط الارامي ولد الخط النبطي الذي نما بسرعة وابتعد عن الخط الارامي او ما يعرف بـ (الخط الحثي) فانقرض الارامي لان النبطي الذي حلّ محله اكثر واقعية واسهل استعمالا، ويقسم الى قسمين: نبطي قديم ونبطي متأخر والاخير هو الاقرب الى الخط العربي[14].

-الخط المصري، وهو الخط الذي انتشر في بلاد مصر والبلدان المجاورة نتيجة اختلاطهم بالحضارة المصرية، ومن فروعه الخط الفينيقي الاكثر سهولة والاوسع انتشارا في اسيا وافريقيا و اوربا وهو حلقة من سلسلة الخط العربي ويقسم الى ثلاثة انواع هي:

-الخط المصري (الهيروغلفي) وهو الخاص بالكهان ورجال الدين وخدمة المعابد ولا يعرفه غيرهم

-خط الخاصة وهو خط عمال الدواوين وكتاب الدولة ويعرف باسم خط الهيراطيق.

-خط العامة وهو خط الكاتبين من الشعب وهو ابسط الانواع ويعرف باسم خط الديموطيق وسبق التعريف به .

المحور الثالث: النقوش والاثار المكتوبة التي احتوت رسم الحرف العربي وتطورها في عصر الدولة الاسلامية.

عن الخط النبطي ولد الخط العربي – على ما يذكره المختصون – وظهر ذلك في النقوش والاثار المكتوبة التي عثر عليها في وادي حوران ومنها نقش النمارة المؤرخ سنة ٣٢٨ ميلادية اذ تلاشت الكتابة النبطية مع مطلع القرن الخامس الميلادي وقامت بدلها الكتابة بالحرف العربي كما لاحظ العلماء كثيرا من ملامح الحروف العربية وطريقة رسمها في الخط النبطي مثل حرف (الالف) في النبطية يقوم احيانا محل حرف الهمزة في العربية، ولا يوجد ادنى فرق في رسم حرف الجيم في صورة الكتابة النبطية والعربية وحرف السين يقرأ(شينا) في الكتابة النبطية وتستعمل النبطية التاء محل الطاء[١٥].ويكاد الخط النبطي يخلو من الاعجام (التنقيط)على ماهو عليه الخط العربي في اول عصر الرسالة الاسلامية.

واهم النقوش التي مثلت اللبنة الاولى لنشوء الخطّ العربي – على سبيل المثال لا الحصر – [١٦] نذكر منها:

١- نقش وادي المكتب في شبه جزيرة طور سيناء ويؤرخ له سنة ٢١٠م ويتضمن بعض الكلمات المشابهة للحروف العربية ويرفض بعض الباحثين صلة هذا النقش برسم الحرف العربي والكتابة العربية لان النقوش المؤرخة قبل القرن الثالث الميلادي لا توجد فيها من الكلمات الكاملة التي تحدد هوية اللغة العربية و الخط العربي قبل الاسلام [١٧] والنقوش الاخرى التي رأى مجموعة من العلماء المختصين ان فيها بعض الحروف المفردة المنفصلة التي تتفق ورسم الحرف العربي او ما يصح ان يكون اصلا تطورّ عنه رسم الحروف العربية وكلماتها لقرب الشبه بينهما مثل:

- نقش وادي فران المؤرخ في ٢٣٠م وعثر عليه في طور سيناء ايضا، ونقش طور سيناء المؤرخ في ٢٥٣م ونقش مدائن صالح المؤرخ سنة ٢٦٧م في شمال الجزيرة العربية ويتكون من تسعة اسطر[١٨].

- ونقش ام جمال الاول يعود تاريخه الى ٢٥٠م وهو تاريخ بدء استعمال الخط النبطي عند ملوك العرب بدلا من الخطوط اليمنية الاخرى وعثر عليه في حوران بالاردن ويتكون النص من ثلاثة اسطر ترجمتها: هذا قبر/ برسلي مربي جذيمة/ ملك تنوخ [١٩] .

اما النقوش التي عثر عليها بعد القرن الثالث الميلادي فيوجد فيها من رسم الكلمات ما يشبه صورة الحرف العربي، واهمها:

- **نقش النمارة،** وهو شاهد قبر الملك امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب وعاصمته الحيرة وتاريخه يعود الى ٣٢٨م ويتكون النص من خمسة اسطر ويعدّ النص العربي الاول ومن الفاظه المترجمة: هذا قبر امريء القيس بن عمرو ملك العرب كلها الذي حاز التاج .

وملك الاسديين ونزار وملوكهم جميعا وهزم مذحجا بقوته وقاد الظفر الى أسوار نجران[٢٠] وعثر على هذا النص الباحث الفرنسي دوسود ونقله الى متحف اللوفر في باريس.والنظرة الفاحصة للنقش وترجمته تجد انه

عربي بيّن العربية في لغته ويعدّ صورة من صور تطور رسم الحرف العربي اذا ما قيس بالنصوص التي عثر عليها قبل هذا التأريخ[٢١].

-ونقش زبد عثر عليه في منطقة زبد جنوب شرق مدينة حلب بسوريا ومؤرخ سنة ٥١٢م وهو محفوظ اليوم بمدينة بروكسل في بلجيكا بمتحف تاريخ الفن وهو مكتوب بالخط النبطي العربي المكتوب على حجر مثبت على بناية كنيسة وقراءة النص تقول: ينصر الإله شرحو او باسم الإله شرحو يرامع منفووهليا / برمر القيس وسرحوبر سعدو وسترو وشريحو . وهم اسماء الاشخاص الذين اسهموا في انشاء هذا المبنى[٢٢].

-ونقش حرّان على بقايا كنيسة في جنوب حران في سوريا قرب جبل الدروز ويعود تاريخه الى عام ٥٦٧م ونقش باللغتين اليونانية والعربية،ويذكر المستشرقون انه يعود لأمير كندة وضعه بمناسبة الانتهاء من بناء الكنيسة وافتتاحها والنص يتكون من اربعة اسطر وكتب بخطّ واضح وهو من خطوط العربية المهمة قبل الاسلام واهميته تأتي من تقدير انه الخط الذي تطور الى الصورة المفضلة لتدوين الدواوين، وترجمته: انا شرحبيل بن ظلمو (ظالم) بنيت هذا المرطول، سنت (سنة)٤٦٣م بعد مفسد، خيبر بعم (بعام)[٢٣] تؤكد المصادر ان الخط العربي لم يرسم الفتحة الطويلة الفا مثل عام وظالم وكتاب فكانت تكتب بدون الف كما عليه الحال في الكتابة النبطية.

من دراسة هذه النصوص يمكن ان نصل الى ان الخط العربي والكتابة بالحرف العربي قد نشأ ونما وتطور من مطلع القرن الرابع الميلادي ٣٢٨م عهد نقش النمارة حتى مطلع القرن الخامس الميلادي في نقشي زبد وحران ٥١٢م و ٥٦٨م وتحرر من هيأته النبطية بعد استعارة الحجازيين له الى دومة الجندل فالمدينة ومنها الى مكة والطائف[٢٤]. ومن هذه النصوص وغيرها توصل الفكر الاجتماعي الى ان معرفة البشر بالكتابة تعود الى نحو ستة الاف سنة بينما تعود معرفته بالامور الحضارية الاخرى الى ما قبل هذا التاريخ كالزراعة مثل. وكانت هذه المعرفة نادرة في جزيرة العرب قبل الاسلام اذ اعتمد الفكر العربي على ذاكرته لعدم معرفته الكتابة والقراءة بشكل واسع او مألوف فتميزت الامة العربية بظاهرة الحفظ من بين الامم الاخرى ولاسيما في حفظ القصائد الشعرية بعد تلقيها وتداولها والتغني بها باستثناء افراد لهم معرفة بالكتابة معرفة دقيقة، اذ وجدت الكتب الدينية مكتوبة بالعبرانية ومن كتاب الجزيرة العربية ورقة بن نوفل وكتب اخرى سجلت فيها حكم النبي لقمان(عليه السلام) ووجدت نصوص كتبت بها العهود والمواثيق والاحلاف ذكرها الشعراء في قصائدهم والصكوك الخاصة في كتابة الحساب التجاري وحقوقه والرسائل الشخصية بين الافراد تحمل اخبارهم وكانت قريش تكتب في جاهليتها (باسمك اللهم)، وقال شاعرها حسان بن ثابت:

عرفت ديار زينب بالكثيب
كخطّ الوحي في الورق القشيب[٢٥]

والوحي:الكتابة والمكتوب والكتاب في دلالته

المعجمية، فشبه القائل آثار الديار بالسطور في الورق. وهناك المعلقات السبع التي كانت معلقة على استار الكعبة، وما ان نزل الوحي على الرسول الاعظم محمد(صلى الله عليه وسلم)ظهرت الحاجة الى الكتابة لتدوين النصّ القرآني فكان لرسول الله اكثر من اربعين كاتبا ومنهم الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام)وزيد بن ثابت وعبد الله بن الارقم وعبد الله بن الزبير واول من كتب للنبي أبي بن كعب الانصاري بالمدينة اما عبد الله بن الارقم الزهري فكان يحرر ما يبعث النبي (صلى الله عليه وسلم) للملوك من رسائل وبعد وقوع نفر من جيش قريش في الاسر بعد غزوة بدر يجيدون القراءة والكتابة طلب منهم الرسول(ص) ان يعلم كل واحد منهم عشرة صبيان من المسلمين القراءة والكتابة لقاء اطلاق سراحه من الاسر[٢٦].

وضمت نصوص القرآن الكريم من الآيات ما له الاثر في نفوس العرب الذين امنوا بـ الاسلام واندفعوا يتعلمون القراءة والكتابة ويكتبون كتاب الله عز وجل واول هذه النصوص تكريم الكتابة وادواتها(القلم)، قال تعالى:(اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرآ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) العلق٤٨.

وقوله تعالى:(ن و القلم وما يسطرون) القلم(١) إذا أقسم بآلة الكتابة والسطر: الصف من الكتابة وقوله تعالى:((والطور وكتاب مسطور))١-٢وقوله تعالى ((كان ذلك في الكتاب مسطورا(١) الاسراء ٥٨ والمسطورالمكتوب بلهجة(حمير)من اليمن ومنازلهم بأرض سبأ من اليمن ومنها قبائل شيبان وقضاعة وهذا دليل على معرفة الكتابة في بلاد اليمن من ارض الجزيرة وقوله تعالى :(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأنبياء ١٠٥ وكل كتاب غليط الكتابة يقال له زبور ثم خص الزبور بالكتاب المنزل على النبي داود عليه السلام والقرطاس : كل ما يكتب فيه أي من أدوات الكتابة ومستلزماتها أو هو اللوح الذي ترسم عليه صورة الكتابة وقوله تعالى:(ولو انزلنا عليك كتابا في قرطاس) الانعام٧٠، هكذا كرم الله تعالى الكتابة والقراءة فلازمت الدولة الاسلامية منذ فجر الدعوة والتزم المسلمون كتابة ما نزل من آيات الذكر الحكيم. كما ظهر الخطّ العربي بعد ذلك على المسكوكات النقدية الفضية وهي منقوشة على طراز المسكوكة الساسانية ثم عربت سنة ٧٨ للهجرة حتى اصبحت المسكوكات العربية الاسلامية عليها نقوشٌ عربية خالصة، وحملت لفائف البردي الخط العربي في العصور الاسلامية الاولى من صدرالاسلام والدولة الاموية. واستعملوا الرقوق من جلد الغزال والرقاع- وهي قطع من الجلد-والعسيب من سعف النخل وغيرها من المواد في تسجيل الكتابة. واهم ما يلاحظ من صور الاهتمام بظاهرة الكتابة ومعرفتها في عصر صدر الاسلام كتابة اربع نسخ من المصحف الشريف زمن الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه) وارسالها الى الامصار الاسلامية البصرة والكوفة والشام وابقاء نسخة بالمدينة المنورة ومع كل نسخة إمام وقارىء وتذكر المصادر ان هذه النسخ

كتبت بقلم (الطومار) ويعرف: بانه قلم مبسوط كله ليس شيئاً مستديراً والرسم الكتابي لنصوص هذه المصاحف انها تخلومن الحركات والتنقيط وتاء التأنيث ترسم بالتاء المبسوطة وامالة حرف الالف نحو الياء وغيرها من تأثيرات الكتابة النبطية [٢٧].

مظاهر تطور الخطّ والكتابة واصلاحها:

واهم ما يلاحظ من مظاهر التطور في الخطّ والكتابة في العصور الاسلامية الاولى ظاهرتا

١. النقط أو الاعجام

٢. الضبط بالشكل (الحركات)

والنقط أو الاعجام ظاهرة وضع النقطة فوق أو تحت الاحرف المتشابهة في الرسم لتمييزها عن بعضها في الكتابة وازالة اللبس فالاعجام من مصطلحات الكتابة التي تعني(التنقيط)مهمتها ازالة اللبس في رسم الاحرف التي تتطابق تماما في رسمها مما يؤدي الى اشتراك اكثر من صوت في الرسم الواحد مثل:د ذ / ر ز/ س ش/ح خ ج / ص ض /ط ظ / ت ث ب(وتسمى حروف العربية التي يتألف منها الكلام العربي بحروف المعجم لأنها لا معنى لها مفردة مقطعة وانما تفهم اي تفيد معنى باضافة بعضها الى بعض او لان منها ما ينقط النقط المعروفة ومهما يكن من شيء فان نقط الحروف المتماثلة في الصورة يسمى اعجاما)[٢٨] وتم ذلك بدعوة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان واليا على العراق انذاك لنصر بن عاصم (ت ٨٩هـ) ويحيى بن يعمر(ت ١٢٩هـ) وسألهما لوضع الاعجام بمعنى النقط ونقط الحروف بنفس مداد الكتابة لان نقط الحروف جزء منه لتمييز الحروف المتشابهة، وعدد الحروف المنقوطة خمسة عشر حرفا والحروف التي لا تحتاج الى النقط ثلاثة عشر حرفا منها: ك و ل و م و والواو والالف وبعد هذه الدعوة عمّ الاعجام وميز به جميع الحروف المتشابهة بالنقط اذ كثر التصحيف في الكتابة ولاسيما كتابة النصّ القرآني حتى اعتبر تركه في بعض الاوقات خطأ او من مظاهر الكتابة النبطية والكتابة التي تظهر عليها النقط هي كتابة عربية[٢٩].

علامات الشكل (الحركات):

دخل على الكتابة العربية اصلاح ثان هو الشكل اي ضبط شكل الكلمة بالتشكيل الصوتي المناسب في لفظ الكلمة بين الحركة والسكون لتيسير القراءة الصحيحة والشكل هو تقييد حروف الكلمة وضبطها بعلامات خاصة هي(الحركات)اوانصاف احرف العلة الالف والواو والياء فالشكل هو عملية تقييد الكلمة بالحركات[٣٠] لكن العلماء اختلفوا في وظيفة هذه العملية واهميتها اللغوية فمنهم من اسند اليها اهمية الفرق بين المعاني النحوية في التركيب، قال ابو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ):(ان الاسماء لما كانت تعتروها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة، ومضافة، ومضافا اليها ولم تكن في صورها وابنيتها ادلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة جعلت حركات الاعراب فيها تنبيء عن هذه المعاني نحو: ضرب زيد عمرا برفع زيد على ان الفعل له ونصب عمر على ان الفعل واقع به)[٣١] وتعرف دراسة ظاهرة تشكيل حروف الكلمة بالحركات

بظاهرة الاعراب وهو من العلوم الجليلة التي خصت بها العربية لدراسة الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ . ومـن العلماء من اسـند الى الظاهرة وظيفة (صوتية) ومنهم النحوي قطرب(ت ٢٠٦هـ) اذ ذكر: (وانما اعربت العرب كلامها لان الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقـف فلو جعلوا وصله بالسـكون ايضا لكان يلزمه الاسكان في الوقف و الوصل وكانوا يبطئون عند الادراج فلما وصلوا وامكنهم التحـريك جعلوا التحريك معاقبا للاسكان ليعتدل الكلام) ومهما يكن من امر في وظيفة الشـكل واهميته فانها ظاهرة مهمة في اصلاح الخطّ والكتابة وتيسير القراءة وفهم المقـصود من معنى النص المكتوب. ويعدّ علماء حاضرة البصرة ومفكروها من مبـدعي هذه الظاهرة وتأسيسها واقرارها في البحث اللغوي وان ظهر شيء من الاختلاف في تسمية المبدع الاول فمنهم من اسـند وضعها الى ابي الاسـود الدؤلي (ت ٦٩هـ) او الى نصر بن عاصم الليثي (ت٨٩ هـ) او الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) (ت ٤٠هـ) اذ امر الاخير ابا الاسـود ان يضع للناس ما يدفع ظاهرة اللحـن في الكلام بعد دخول غير العرب الاسلام، ومنهم من يرى ان اول من وضع نقـط المصاحـف ونقـط الاعراب (العلامات)هو يحيى بن يعمر الثقـفي (ت١٢٩هـ) قاضي البصرة ومن علماء التابـعين[٣٢]. ومهما يكن من امر من وضعها فقـد اجمعت الروايات العربـية القديمة على ان اللحن الذي انتشر بـين العرب بـعد الفتوحات الاسلامية وتسرب الى قراءة القران الكريم هو السبب في اصلاح الكتابة والخط بالحركات، ومرّ رسم هذه العلامات وتدوينها وضبط اشكالها بـتطورات مختلفة حتى آلت الى شـكلها المعروف الان من لدن رسم العالم الجليل الخليل بـن احـمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) في مطلع العصر العباسي الاول اذ ابـتدع طريقة حديثه _ في وقته _ في رسم علامات التشكيل الصوتي للكلمة ولاقت طريقته في الرسم قبـولا عاما من لدن جميع علماء عصره من الكتّاب وغيرهم حتى استقر استعمالها في جميع انحـاء العالم الاسـلامي وجميع اشـكالها مأخوذة من اشـكال احـرف العلة (الالف و الواو والياء) وهي:

١ــ الضمة ورسـمها واو صغيرة توضع في اعلى الحرف المطلوب ضمه لئلا تلتبس بالواو الطويلة التي تدخل في بـناء جذر الكلمة مثل طويل وغفور و مؤونة وموصل ودولة .

٢ــ والفتحـة علامة نصب الكلمة وعلامة الحـرف المفتوح ورسمها الالف المبطوحة او المائلة قليلا وتوضع فوق الحرف المطلوب فتحه .

٣ــ و الكسرة علامة الخفض بالنسبـة لآخر الكلمة ورسمها ياء صغيرة او الف مبطوحـة مائلة تحـت الحرف المكسور او المجرور مباشرة .

٤ــ علامة التنوين خاصة بالاسم المنون ورسـمها تكرار علامة الفتحة فوق الحرف المنون اذا كانت الكلمة في حالة نصب او تحت الحرف الاخير اذا كانت الكلمة في حالة الجر نحو: رأيت رجلا و مررت برجل .

٥ـ علامة السكون الخفيف او الجزم دائرة صغيرة مأخوذة من رسم رأس حرف الميم (م)[٥] .

ووضع الخليل رموزا اخرى في نظام الخط والكتابة تناسب نظام العربية الصوتي كالهمزة بين التحقيق و التسهيل والمدة والف القطع والف الوصل والشدة للحرف المضاعف (ّ) حتى بلغ ما استقر عليه نظام رسم الكلمات ثماني علامات وهي: الفتحة، والكسرة، والضمة،والسكون، والشدة، والمدة، وعلامة الصلة، والهمزة وهي نفس الرموز التي نستعملها اليوم في الكتابة وهكذا من ظاهرة التشكيل الصوتي والنقط تمكن الخطّ العربي من المحافظة على نسقه ونظامه واستقلال ملامحه وتميزه في الكتابة [٣٣].

المحور الرابع : الخطّ و الكتابة في المرجع الثقافي والفكري للمجتمع

الثقافة طريقة شاملة للحياة تعتمد على كل موروث يميز مجتمعاً ما عن غيره وتشمل جميع النشاطات المميزة لشعب ما، ولم يعد معناها القديم المتخصص بالفنون والفلسفة معروفا في الاوساط العلمية اذ تشمل كل المنتجات الفكرية والخيالية لمجتمع ما كما انها استجابة للاحداث ورد فعل عام لتغيير شامل وعام في ظروف حياتنا العامة وتمر الثقافة بمراحل من التطور بتطور الحياة العامة وقد تخص فرداً ما او فئة او طبقة فتكون هذه جزءاً من تطور المجتمع باسره لانهم جزءاً من المجتمع فالثقافة طريقة شاملة للحياة. واصعب مهمة تواجه الفكر الاجتماعي او الفلسفي هي تقويم التقليد الموروث في فترة يوجد فيها انتقال للسلطة الاجتماعية واللغة هي الموضوع المهم الحاسم الذي يسجل مراحل التطور ولاسيما اذا كانت ملائمة وكافية للتعبير عن التجربة الانتقالية الجديدة وتوضيح عملية التغيير. ولا شك ان اختراع الكتابة وادواتها العملية وثيق الصلة بالتغيير وبالحياة العملية والعلمية فهي من وسائل التفاهم المرئية ونقل الافكار فاللغة وعاء الفكر لذا يتطلب ان تكون هذه الوسيلة واضحة و موضحة ومن شروطها توافر الجودة وحسن العرض وجمال الشكل مع الفائدة فالخط وسيلة الكتابة وصورة اللغة ينبغي ان يكون تقديمه محققا لغاية الكتابة وهي جمال المظهر وحسن الشكل الى جانب الوضوح والسرعة المقبولة[٣٤]وقداهتمت الوزارات المعنية بهذا الموضوع واهمها وزارة التربية اذ شعرت باهمية تعليم الخط والكتابة وعلاقتها بالتحصيل المعرفي والثقافي للطالب فوضعت كراسا منظما عليه اسطر من الخط والكتابة الراقية الذوق وعلى الطالب الدربة والتعليم على اسطر من كراسته لتقليد هذه النماذج من الخط وباشراف تدريسيين لكن هذه التجربة توقفت ولم يكتب لها الاستمرار اذ لم نعد نالفها اليوم في مدارسنا.

ظاهرة الخط والكتابة تتطور وتزدهر عند الاقوام ذات الثقافة المميزة نتيجة استقرارها في مواطنها (ان الحيرة كانت قبل الاسلام متثقفة بالثقافة السريانية لانها كانت تدين بالنصرانية وكان الخط السرياني هو الخط الرسمي في تلك الانحاء لانه كان ترجمان المسيحيين وقلمهم الديني في ذلك الزمان...)(وتطور

الخط العربي في ارض الحجاز لان الكتابة من الاشياء الضرورية للتجارة واهل الحجاز كما نعلم قوام حياتهم التجارة وهي مورد رزقهم الوحيد)[٣٥]

قال تعالى:(لإيلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) سورة قريش ١ــ٢.

وتحررت الكتابة العربية في الحجاز من النبطية وتطورت بسماتها الخاصة لان لقريش والحجاز سيادة روحية وادبية على انحاء الجزيرة العربية فكانت القبائل تحج مكة لتقوم بمراسيم عبادتها نحو الآلهة التي اختص اهلها دون غيرهم بسدانتها وحمايتها[٣٦] وبعد ظهور الرسالة الاسلامية وانتشارها خارج جزيرة العرب صاحبتها الحاجة الماسة الى تعلم القراءة والكتابة وتعلمها ليتمكن الناس من قراءة القرآن الكريم فانتشر الخط العربي في بلاد الهند و ماليزيا شرقا الى سواحل افريقيا واقصى بلاد المغرب غربا وفي اواسط روسيا واوربا شمالا الى مدغشقر و وادي زنجبار جنوبا [٣٧].

ونتيجة لهذه العلاقة الروحية بين الخط والكتابة والفكر الاسلامي ظهرت مدارس مستقلة في العالم الاسلامي لها سماتها في الخط والكتابة وتعليمها مثل مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة ومدرسة بغداد و مدرسة الحجاز وفي مصر مدرسة الشيخ ابن ابي رقيبة و الشيخ محمد بن علي الزفتاوي (قد كان لكل من ابن ابي رقيبة والزفتاوي مدرسة باسمه) اما اسماء الخطوط ومصطلحاتها فقد عرفت باسماء امصارها ومدنها منها الخط الكوفي والخط البصري والخط الاصفهاني والتونسي والاندلسي والفارسي والقرطبي والخط القيرواني او يعرف الخطّ باسم العصر السياسي الذي يستعمل فيه مثل: الخط الفاطمي والخط العباسي والخط الايوبي والخط المملوكي او الاندلسي او السلجوقي وهكذا لكل طراز خصائصه[٣٨].

وهنا دعت الحاجة الى تطوير آلات الخط والكتابة ومستلزماتها وترك الادوات القديمة مثل عظام الحيوان وعسيب السعف والحجارة والرقاع وغيرها فتوصل الفكر الانساني الى اختراع مادة (الورق) وانتقلت صناعته من الصين الى بلاد العرب عن طريق صنّاع الورق ممن اقاموا في المدن الاسلامية مثل مدينة سمرقند ((واقدم كتاب دون على الورق مؤرخ سنة ٢٥٦ للهجرة اي سنة ٨٧٠ للميلاد تقريبا وربما كتب في بغداد ثم انتشرت الكتابة والخط العربي على الورق بعد هذا الى سائر الاقطار لرخصه وسهولة تداوله[٣٩] ويعرف احيانا باسم (الكاغد) او الورق الصيني الآتي من سمرقند فقضى على جميع مواد الكتابة السابقة الذكر)) غير انه بازاء الحاجة الحضارية والثقافية المختلفة التي كانت تتضاعف باطراد كان من الطبيعي ان تصبح سمرقند قاصرة عن سد الحاجة او تفي بالغرض المطلوب فقامت المصانع المختصة بصناعة هذه المادة في المدن الاسلامية الاخرى واول مدينة شهدت هذا التصنيع مدينة بغداد في ايام خلافة هارون الرشيد (١٧٠ –١٩٣ هــ) (٧٨٦ – ٨٠٩ م)[٤٠] ولا بدّ ان تظهر الى جانب حاجة الورق آلة الكتابة الاخرى المتممة لها وهي:

القلم: ويعد من اشرف آلات الكتابة واعلاها رتبة اذ هو المباشر لعملية الكتابة دون غيره وشرفه سبحانه بقوله: (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم) العلق ١-٥ فاذا كان اللسان آلة النطق باللغة والكلام فان (القلم) الة الخط والكتابة ونقل الفكر والابانة عن مخزونه بين القرّاء والمثقفين والمتعلمين وتطورت صناعته من لبّ الجريد الاخضر الى مادة المعدن (قلم السّلاية) او (قلم الريشة) وكان كل قلم يسمى باسم نوع الكتابة التي يستعمل في رسمها او تسجيلها(وخير الاقلام ما استحكم نضجه في جرمه ونشف ماؤه في قشره وقطع بعد القاء بذره وبعد ان صفر لحاؤه ورق شجره وصلب شحمه وقلّ حجمه)[41] ومن انواعه المعروفة عند الخطاطين نسبة لصفة الخط الذي يؤدى به: قلم الجليل وقلم السجلات وقلم الديباج وقلم الثلاثين، وقلم المفتح، وقلم الحرم وغيرها وهو بحاجة الى مادة:

الحبر او المداد: وهو السائل الملون الذي يستعين به الكتّاب فيما يكتبون قال ابن منظور(ت ٧١١هـ): الحبر الذي يكتب به وموضعه، (وعاؤه) المحبرة، والحبر المداد وكل ماحسن من خط او كلام او شعر او غير ذلك، وحبّر تحبيرا: لحسن الخط والمنطق وتحبير الخط والشعر: تحسينه[42] ومن انواعه: حبر الدخان والحبر الاسود وحبر السفري والحبر الاحمر وغيره من الالوان.

ومن لوازمه الدواة والمحبرة وهي وعاء الحبر الذي يحفظ فيها اي اناء حفظ الحبر الذي يكتب به ولها مكانة روحية عند المسلمين لانها من لوازم كتابة المصحف الشريف وانتشاره في الامصار الاسلامية وقد جاء تأويل قوله تعالى عند بعض المفسرين:(ن والقلَم و ما يَسطرونَ) اراد القسم بالدواة وقلمها اذ هي الاداة الملازمة والمناسبة لذكر القلم وتسطير الكتابة(والجانب الاخر لهذه الاداة جانب علمي وثقافي ينطلق من كون الدواة ساهمت في نشر العلوم والآداب والفنون وعملت على توسيع رقعة العلم والمعرفة بين الناس)[43] ومن مستلزماتها ومتعلقاتها من الآلة: المقطّ، و المسنّ، والملزم، والممسحة، و المسقاة، والملواق،والمقلمة،والمفرش، والمرملة، والمنشاة، والمقصّ، والمسطرة، والمنفذ[44].

حتى وجدنا اقتران مهنة الكتابة والخطّ بالمطالب الدينية والاجتماعية والسياسية من اجل تحقيق مبادىء فكرية لان لفن الكتابة و اجادة الخطّ اهميته في تنظيم العلوم والمعرفة ونقلها بين الامم، في هذا المنحى ذكر ابن وهب الكاتب (ت ٣٣٥هـ):(من قرأ كتب الأولين وتامل اخبار الماضين كمن عمّر معهم وكان في ايامهم واخذ عنهم وسمع منهم ولذلك قيل: الكتاب احد اللسانين لأنك اذا قرأت كتابا كأنك قد سمعت لفظ صاحبه وقيل: القلم ابقى اثرا واللسان اكثر هذرا، واللسان مقصور على الشاهد والقلم ينطق في الشاهد والغائب واستعمال القلم اجدر ان يحضر الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام)[45] وبيّن سبحانه وتعالى فضيلة الكتابة والخط المرئي و معونته على الحفظ وتنظيم

حياة المجتمع وادارته في قوله: (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل) سورة البقرة ٢٨٢ .

ومن أمتهن الكتابة يصنف على خمسة انواع في المجتمع العربي الاسلامي (كاتب خطّ، وكاتب لفظ، وكاتب عقد، وكاتب حكم، وكاتب تدبير... ولكل واحد من هؤلاء مذهب من الكتابة يخالف مذهب غيره، اما كاتب الخطّ فانه اما ان يكون ورّاقا او محرّرا وهما موصوفان بنقل الالفاظ وتصويرها ويحتاجان الى ان يجمعا مع حلاوة الخطّ وقوته وسواد المداد وجودته وتفقد القلم واصلاح قطته الى جودة التقدير والعلم بمواقع الفصول)[٤٦]. ان من يتأهل لهذا المنصب لا بدّ ان تتوفر فيه هذه الخصال و غيرها كأن يكون على قدر كبير من المعرفة بأصول ونظام اللغة العربية فصيح الالفاظ طلق اللسان اصيلا في قومه رفيعا في حيّه وقورا حليما حرّا- فلا يصلح العبد ان يكون كاتبا- عفيف النفس لا يقبل الرشوة[٤٧] ولهذه الاهمية كانت مهنة كاتب الديوان تلي مهنة الوزارة في الرتبة عند بعض الدول الاسلامية في تاريخها الطويل كالدولة العباسية في عصورها المختلفة والدولة الفاطمية في مصر.

وهذا الاهتمام مؤشر على ان تقنية الخط والكتابة من محاور التفكير الاجتماعي اذ يشعر التفكير بما لها من تاثير في مجرى الحياة اليومية للانسان وهكذا نفهم اهمية هذه الصناعة واتقانها من تفحصنا للحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية التي تميز الدولة ومستوى ازدهارها او تراجعها.

ان وسائل الاعلام بحاجة الى تقنية هذه الصناعة وقيمتها الفنية كالتلفاز والصحف والمجلات والاعلانات لأنها تعدّ وسائل جذب للقراءة سواء تمسكت هذه الصناعة بالأصول التي عرفت عند الخطاطين المجودين او خرجت عنها (تجاوزتها) بدافع الرغبة في التجويد والجذب ومسايرة متطلبات العصر من وسائل الطباعة وتقنيتها بشرط ان لا تهدم العناصر الاساسية لخصائص الكتابة الفنية الجميلة ولا ننسى دور كليات ومعاهد الفنون الجميلة في احياء هذا الفن وتطوره اذ خصّت كل منها قسما للخط والزخرفة، وقد نصت حلقة بحث الخطّ العربي المنعقدة في القاهرة عام(١٩٦٨م) على ضرورة تضافر جهود اساتذة الخط المبدعين حتى تتحقق للخط المعاصر سمات التجدد مع احتفاظه بمنابعه الاصلية وانتسابه لها[٤٨] ان اختلاف سمات الخط في تقديرنا يعد استجابة لاختلاف الاغراض الفنية والثقافية باختلاف العصور.

ان من مهمات المشروع الثقافي للمجتمع العربي الاهتمام بظاهرة الخط العربي وعده من الأرث الثقافي العام للأمة العربية وابراز معالمه والاهتمام بروّاده المعروفين في الثقافة العربية والاحتفاء بهم مثلا عندنا في المجتمع العراقي الاستاذ هاشم الخطاط والاستاذ يوسف ذنون واستثمار هذا المشروع يثري مهام المؤسسة الثقافية ويدعم مسارها وتوجيه هذا الجانب باتجاه الفعاليات الثقافية والابداع الثقافي والخروج من سيطرة تكنولوجيا الارقام والرموز التي غزت الفكر

الانساني، ان من مهمة المؤسسات الثقافية والجهات ذات العلاقة مثل اكاديميات الفنون الجميلة ورعاية الشباب اقامة معارض الخطّ ولا يخرج اسس التحكيم فيها عن المقومات الاساسية للعمل الفني ونطاقه ولاسيما تلك الاعمال التشكيلية التي تعتمد الحرف العربي موضوعا للوحاتها، ان للحرف سطوة على الرؤية المباشرة يرشد العين الى المعنى عندما يتوسط ما بين اللوحة والشكل والعقل. لقد جعل الله في الحرف العربي رؤيا جمالية قلما تجدها في حروف لغات العالم الاخرى، تلتقط الرؤية البصرية الحرف العربي وتتحاور معه على شكله وهذا سرّ اودع في الحرف العربي ففيه من السحر الذي لجأ اليه الفنانون لابتكار تعدد الرؤية البصرية التي يحملها بين ثناياه جماليا.

لقد بالغت المجتمعات الاسلامية والعربية منها بالاهتمام بالخط العربي حتى وصل هذا الاهتمام الى حدّ التقديس وكان من شرف الامراء والعلماء والقادة والمثقفين الحصول على مقعد لتعلم- وابنائهم- الخطّ والكتابة، لقد ادرك الخطاطون التشكيليون ان الرؤية البصرية تتداخل بين جمال التشكيل ومحاولة قراءة ما تنصّ عليه فكرة العمل الفني التشكيلي، لقد عدّ هؤلاء وادركوا ان الحرف اداة تواصل الى رؤية جمالية تتداخل في الخطاب البصري كجزء مساند للعناصر الفنية الاخرى وعليه ان من الواجب على الجهات الثقافية وغيرها الاهتمام بانجازات الفنانين التشكيليين المبدعين واعمالهم الفنية المميزة ممن ابدعوا في تشكيل الحرف العربي في لوحات فنية استنطقت جمالية الحرف العربي ومن هؤلاء الفنان جميل حمودي وعطا صبري واجود الشيخ العزاوي وغيرهم[٤٩].

المحور الخامس: أنواع الخطوط في تاريخ الدولة العربية الاسلامية

ازدادت أنواع الخطوط في الكتابة العربية بزيادة انواع الاقلام وتطورها واختلافها حتى بلغت ما يقارب من عشرين شكلا منها خطوط اصلية ومنها ما هو تقليد الاصل، ولم يقتصر هذا التعدد على التغيير في صورة الكتابة ولكنه تناول كذلك الشكل العام ومقاس الحروف ومساحة الورق[٥٠] وليس البحث في انواع الخطوط وتطورها ومجالها الفني والجمالي والذوقي من اختصاص الباحث لان لهذه المسألة الفنية اصحابها من ذوي الاختصاص الاكاديمي و المهني والثقافي ولكن استكمالا لجوانب الموضوع نضع بين يدي القارىء الكريم اشهر انواع الخطوط بالاستعانة بمصادر دراستها ومن اشهر انواع الخط العربي نذكر:

١ــ **الخطّ الجليل**، ظهر اواخر عصر الدولة الاموية في عام ١٣٢ للهجرة تقريبا وضعه كاتب يسمى قطبة ويكتب به على المباني والجليل بمعنى الواضح لانه اكبر انواع الخطوط.

٢ــ **خطّ الطومار**،وهو الخط المحرر من الخط الكوفي والخط الحجازي وعرف بهذا الاسم نسبة الى

مساحة الورقة التي كان يكتب فيها والتي بلغ عرضها ذراعا ولذا كان اكبر انواع الخطوط واثخنها التي تكتب على الورق والطومار على انواع تصل الى خمسة انواع (وكانت الخلفاء والسلاطين تكتب به علاماتهم على المكاتبات والولايات في الزمن المتقدم)[٥١]

٣ـ **خطّ الثلثين**، يبلغ عرضه ثلثي خط الطومار وكان يكتب به الخلفاء الى العمال والامراء.

٤ـ **خطّ الثلث**، وهو ثلث الطومار ونصف خط الثلثين ويعد من الخطوط الصعبة ولا يعد الخطاط خطاطا مجودا الا اذا جاء بهذا النوع من الخط ويسمى أم الخطوط ويستعمل في كتابة فواتح السور القرآنية وأوائلها.

٥ـ **الخط المسلسل**، وهو ما تشابكت حروفه واتصلت كلماته وكان يعرف بـ الخط المتصل وكانت تكتب به عامة الرسائل المطولة والعقود.

٦ـ **خطّ الاجازة**، وهو مزج بين خط النسخ وخط الثلث وهو على انواع واحسن من كتب به الخطاط المعروف ابن الصايغ(ت ٨٤٥هـ) كتب به سورا من القرآن الكريم على جدران المسجد النبوي الشريف وهو نادر الاستعمال.

٧ـ **خطّ النسخ**: ظهر في العراق في مطلع القرن الثاني الهجري ويسمى ايضا بالخط (الوراقي) واول من كتب به التابعي الجليل مالك بن دينار (ت ١٣١ هـ)- اتصف بالحلم والورع والتقوى والعلم الغزير من علماء البصرة- وقد نسخ به القرآن الكريم ويسمى ايضا بالخط المحقق لانه خط رصين وقد اخذ من الخط الكوفي او ان الخط الكوفي أصل له.

٨ـ **الخط الكوفي**،الكوفة اول حواضر الافتنان بالخط العربي ومحاولة تطويره منذ خلافة الإمام علي (عليه السلام) ومن باب التغليب سمي بالخط الكوفي حتى على غيره من الخطوط كالخط المدني والخط المكي والخط البصري وبدايته الاولى كانت في مراكز المدن التجارية كالحيرة والانبار والحجاز لكنه بلغ شيئا من الاتقان والاحكام والاجادة في حاضرة الكوفة. ثم ازداد انتشارا الى الامصار والمدن الاسلامية الاخرى ولانتظام هندسته واتقانه عدّ مظهرا من مظاهر الفنون العربية والاسلامية الجميلة وتفرعت منه اشكال متعددة من الخطوط وفي تسميات مختلفة ترجع جميعها الخط الكوفي.

٩ـ **خط الرقعة**: اسهل الخطوط ويمتاز بالوضوح واستقامة الحروف يستخدمه الناس في امورهم اليومية كما يستعمل في عناوين الصحف والكتب والاعلانات التجارية لوضوحه وبساطته ولا يحتمل التشكيل او التركيب.

١٠ـ **الخط الديواني**: يمتاز باستقامة سطوره من اسفلها وحروفه ملتوية اكثر منها في الانواع الاخرى ويستعمل في الشهادات الدراسية والبطاقات الشخصية والتحف الفنية وغيرها[٥٢].

اقول: ان الخطّ هو الرموز التي اصبحت على شكل حروف ذات قواعد ونسب ومقاييس ثابتة لا يمكن الاحادة عنها، ولكونه فنا تشكيليا فهو يخضع للأبتكار والتجديد والتحسين والتغيير بصورة مستمرة.

الهوامش

(١) المطالع النصرية للمطابع المصرية ص٦ .

(٢) مقدمة ابن خلدون، الفصل الثلاثون، في الخط والكتابة ص ٢٦٦ .

(٣) علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير ٤٢ .

(٤) المصدر نفسه ص٤٤ .

(٥) المصدر نفسه ص٤٥ .

(٦) الخط العربي، جذوره وتطوره، ابراهيم ضمرة ص١٧ .

(٧) المصدر نفسه ٢٢ والكتابات والخطوط القديمة، تركي عطية الجبوري، م بغداد ١٩٨٤م .

(٨) مقدمة ابن خلدون، الفصل الثلاثون ٢٦٦ .

(٩) الخط العربي، زكي صالح ص ١٣.

(١٠) مقدمة ابن خلدون ٢٦٧.

(١١) الخط العربي، جذوره وتطوره ١١ .

(١٢) مقدمة ابن خلدون ٢٦٦ .

(١٣) المصدر نفسه ٢٦٦ .

(١٤) الخط العربي، د٠ عبد العزيز حميد صالح واخرون، ص١٥ و١٦ .

(١٥) المصدر نفسه ١٦ .

(١٦) مما توصل اليه المستشرقون المختصون بدراسة تلك النصوص ومنهم:جون لويز بوركارت سنة ١٨٢٢م وودنكتون وهوبر ولتمان نظر: LittmannESYRIA Diston sametic inscriptions ،leden، 1949، p120

(١٧) مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الاسد ص ٢٣ والخط العربي، جذوره وتطوره ص٢٨ .

(١٨) منشأ الخط العربي وتطوره، ناصر الدين محمود النقشبندي، مجلة سومر، م ٣ ج ١ بغداد ١٩٤٧ م .

(١٩) ينظر: دراسات في تاريخ الخط العربي، د٠ صلاح الدين المنجد ص٢٠- ٢٢ والخط العربي، د٠ عبد العزيز حميد صالح ١٨ والخط العربي، ابراهيم ضمرة ٢٨ .

(٢٠) تنظر لوحة النص وترجمته في: الخط العربي، جذوره وتطوره:٢٩ والخط العربي د٠ عبد العزيز حميد صالح ص١٨- ١٩ .

(٢١) المصدران السابقان ١٩ و٢٩ .

(٢٢) المصدران السابقان ١٩ و٣٠ .

(٢٣)المصدران السابقان ٢٠ و٣٠ .

(٢٤) الخط العربي، زكي صالح٣٤ .

(٢٥) ديوان حسان بن ثابت الانصاري ص١٤ والخط العربي د٠ عبد العزيز حميد٢٧.

(٢٦) فتوح البلدان، البلاذري (ت ٢٧٩هـ) ص ٤٧٧ و دراسات في تاريخ الخط العربي ص٢٤ .

(٢٧) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ١/٣٩٦ - ٣٩٧ وصبح الاعشى، القلقشندي ٣ /٤٨ ودراسات في الخط العربي ٤٤ .

(٢٨) تاريخ الخط العربي، محمد فخر الدين ص ٣٠ .

(٢٩) الخط العربـي وتطوره في العصور العباسـية، سـهيلة ياسين الجبوري ٥٨-٥٩ .

(٣٠) لسان العرب مادة شكل ١١/٣٥٨ .

(٣١)الايضاح في علل النحو ٦٩ .

(٣٢) الفهرست، ابن النديم ص ٤٠ وطبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي ١٢ ومعجم البلدان، الحموي ١٩/ ٢٣٤ .

(٣٣) الخط العربي، سهيلة الجبوري ،٦٠ والخط العربي د٠ عبد العزيز حميد ٩٨- ٩٩.

(٣٤) الخط العربي، زكي صالح١٢ و دليل المعلم في تدريس الخط العربي ص ٣ .

(٣٥) المصدران السابقان٤ -٣ و١٣ .

(٣٦) اصل الخط العربي وتطوره قبـل الاسلام، خليل يحيى نامي ١٠٣- ١٠٤ .

(٣٧) انتشار الخط العربي في العالم الاسلامي، عبـد الفتاح عبادة ٣٢ عن كتاب الخط العربي زكي صالح ٤٨ .

(٣٨) الخط العربي، زكي صالح ١١٦-١١٧ .

(٣٩) المصدر السابق نفسه ١٥٧ .

(٤٠)الخط العربي، د٠ عبد العزيز صالح ١٩٨ .

(٤١) صبح الاعشى، القلقشندي ٢/ ٤٥٤- ٤٦٥ .

(٤٢) لسان العرب مادة حبر ٣ /٥١.

(٤٣) الخط العربي د٠ عبد العزيز حميد صالح ٢١٤ .

(٤٤) اسـم الآلة، ابـراهيم مصطفى، مجلة مجمع اللغة العربـية في القـاهرة، العدد ١٠ لسـنة ١٩٥٨م و المصادر والمشقات في معجم لسان العرب ١٩٧ .

(٤٥) البرهان في وجوه البيان، ٣١٣- ٣١٤ (ابـو الحسـين اسحق بن وهب الكاتب) ٠

(٤٦) المصدر السابق نفسه ٣١٥- ٣١٦ .

(٤٧) صبـح الاعشـى ١/ ٦٥ و ١/ ١٠٤ و قـانون ديوان الرسائل، ابن الصيرفي ٩٤ .

(٤٨) حلقة بحث الخط العربي ص ١٣٦

(٤٩) جريدة الزمان، العدد ٤٩٨٣، الاربـعاء ٢٤ كانون الاول لسنة ٢٠١٤ صفحة الف باء ١٢ مقال بعنوان اسس جمالية بالحرف الحرف العربي للكاتب مؤيد داود البصام .

(٥٠) الخط العربي وتطوره في العصور العباسية ٢٥و٣٥ .

(٥١) الخط العربـي، جذوره وتطوره ٩٢ والخط العربـي، زكي صالح ١٢١ .

(٥٢) تنظر المصادر الحديثة في انواع الخطوط ومصطلحاتها:

ـ الخط العربـي، جذوره وتطوره، ابـراهيم ضمرة، الاردن ١٩٨٥م.

ـ الخط الكوفي، احمد يوسف، القاهرة ١٩٣٣م.

ـ الخط العربي الكوفي، حسن قاسم حبش، جامعة السليمانية ١٩٨٠م .

ـ الخط العربـي، د٠ عبـد العزيز حميد صالح، البـاب الاول الفصل الرابع من الكتاب.

ـ الخط العربي، زكي صالح، مصر ١٩٨٣ م .

ـ الخطّ العربي نشأته وتطوره ومشكلاته، د٠ اميل يعقوب، طرابلس ـ لبنان ١٩٨٦م.

ـ الكتابات والخطوط القـديمة، تركي عطية الجبـوري، مط بغداد ١٩٨٤م.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- اصل الخطّ العربي وتطوره الى ما قبل الاسلام، خليل يحيى نامي، القاهرة ١٩٣٥م .
- الايضاح في علل النحو، ابو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) تحقيق مازن المبارك، ط ٥،بيروت ١٩٨٦م .
- البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب (ت ٢٧٢هـ) تحقيق د. احمد مطلوب، د.خديجة الحديثي ط ١ ، بغداد ١٩٦٧م
- تاريخ الخط العربي، محمد فخر الدين بك، مصر ١٩٧٨م.
- حلقة بحث الخط العربي وتطوره، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والموارد الاجتماعية ، القاهرة ١٩٦٨م .
- الخطّ العربي ، زكي صالح ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٣ م .
- الخطّ العربي، د. عبد العزيز حميد صالح ، د. ناهض عبد الرزاق ، د. صلاح حسين العبيدي، جامعة بغداد ١٩٩٠م .
- الخطّ العربي ، جذوره وتطوره ، ابراهيم ضمرة ، ط ١ ، الزرقاء ، الاردن ١٩٨٥ م .
- الخطّ العربي، نشأته وتطوره، ومشكلاته، د. اميل يعقوب، طرابلس، لبنان ١٩٨٤ .
- الخطّ العربي وتطوره في العصور العباسية، سهيلة ياسين الجبوري، مط الزهراء، بغداد،١٩٦٢م.
- دراسات في تاريخ الخطّ العربي، د. صلاح الدين المنجد، بيروت ١٩٧٢م .
- دليل المعلم في تدريس الخطّ العربي، وزارة التربية المصرية، القاهرة / ـ
- ديوان حسان بن ثابت الانصاري، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، مصر ١٩٢٩م .
- صبح الأعشى في صناعة الانشا، ابو العباس احمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ). تح محمد شمس الدين، ط ١ ، بيروت ١٩٨٧م .
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) تح محمود محمد شاكر، مط ، المدني، القاهرة ١٩٧٤م .
- علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، (ت ١٩١٣ م)، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز بغداد الشؤون الثقافية ١٩٨٥م.
- الفهرست، ابن النديم، محمد بن اسحق (ت ٣٨٥هـ)، بيروت ١٩٦٤م .
- قانون ديوان الرسائل ، ابن الصيرفي ، علي بن منجب (ت ٥٨٣هـ) تح علي بهجت، القاهرة ،١٩٠٥م .
- الكتابات والخطوط القديمة، تركي عطية الجبوري، بغداد ، مطبعة بغداد، ١٩٨٤م.
- لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ) طبعة ملونة، تصدير امين محمد عبد الوهاب واخرين، ط٣، بيروت ١٩٩٩م .

- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الاسد، مط المعارف، ١٩٥٦م .

- المصادر والمشتقات في معجم لسان العرب، د٠ خديجة ازبار، ط٢، عمان ٢٠١١م .

- المطالع النصرية للمطابع المصرية، ابو الوفا الهرويني (ت ١٨٧٤م) ط٢، مصر ١٢٧٥ .

- مقدمة ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت ١٤٠٦ م) تح حجر عاصي، مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦م.

- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد الباقي الزرقاني (ت ١١٢٢هـ)، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٢م .

- منشأ الخط العربي وتطوره، ناصر الدين محمود النقشبندي (بحث) مجلة سومر م٣ عدد١ بغداد ١٩٤٧ م .

- جريدة الزمان، العدد٤٩٨٣ الاربعاء ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) بغداد لسنة ٢٠١٤ صفحة ١٢ مقال بعنوان: اسس جمالية بالحرف العربي، مؤيد داود البصام .

الغرائب.. في الخطاب الشعري الموروث



أ. د. أحمد إسماعيل النعيمي
كلية التربية ـ للبنات ـ جامعة بغداد

المورد
العدد
الثالث
السنة
٢٠١٥

توطئة..

اعتاد قدامى النقاد طوال عصور النقد المدون، ان يؤثروا في مصنفاتهم أبياتاً مفردة منتقاة من مطولات الشعراء وقصائدهم ومقطعاتهم -في الأغلب الأعم- بعد فراغهم من قراءتها وتأملها، لغرض الاستشـــهاد والاحتجاج والموازنة، واستنباط الأحكام والمعايير والقضايا والمصطلحات النقدية، وتحديد ما هو إبداعي في هذا الجانب أو ذاك.

وقد آثرنا في هذا المقام استقصاء الخطابات الشعرية -جرياً على نهج القدماء- المنضوية تحـت مدار (الغريب) أو (الغرائب)، أو قل ما هو خارج عن المألوف وخارق للتقليدي المتداول.. المنشود من الشعراء، والنقاد ومتلقي الشعر -على السواء. ولاسيما تضمنه أي(الغريب) ما يثير الدهشة والتعجب والإثارة المتعة

والاستظراف، صياغة ومعاني وصوراً واخيلة.. ومن خلال زوايا رصد بعينها،معززة بمعايير إبداع أسهمت بخلود تلك الخطابات بتجاوزها حدود زمانها ومكانها.. وذلك هو منطلقنا في هذا البحث.

الاتجاه التقليدي...

تشير قرائن عدة إلى أن الشـعراء المتقـدمين والمتأخرين في مختلف بيئاتهم، سـلكوا اتجاهين في النظم أولهمـا: دورانهم حول الفاظ ومعـان وصور ولوحات يكاد التماثل كائناً فيها حتى بدت في أشعارهم نزعة واضحة للمحاكاة والتقليد[1].ولعل اعتراف امرئ القيس بعـزو وقفته على الأطلال والبكاء عليها إلى تقليده من سبقه فيها دليل قاطع، مودعاً هذه الحقيقة في قوله:

عوجا على الطلل المحيل لأننا

نبكي الديار كما بكى ابن خذام[2]

وعنترة العبسي يؤكد أن الشـعراء لم يتركوا معنى يصاغ فيه شعر إلاّ وقد تطرقوا إليه، ثم يشـير إلى أن وقفتهم على الديار الدارسة اعتادوا الشك فيها، قبـل تيقنهم أنها للأهل أو الأحبة، وذلك ما تضمنه استهلال معلقته:

هـل غـادر الشعراء مـن متردم

أم هـل عرفت الـدار بـعـد تـوهـم[3]

ورؤية لبيد العامري تفصح عن نهج الشـعراء في اتباع المتقدمين عليهم في قرض الشعر، موجزاً إياها في قوله:

والشاعرون الناطقون أراهم

سـلكوا سبـيل مرقـش ومهلهل[4]

أما كعب بن زهير، فلا يرى حـرجاً من الاعتراف بتكراره ونظرائـه المعاني والألفاظ المتداولة ، فهو القائل:

مـا أرانـا نـقول إلاّ رجيعـاً

ومعـاداً مـن قـولنـا مكـرورا[5]

ويبدو ان الفرزدق قد سلم بأن شاعريته ما هي إلا حصيلة احـتذائه وتمثله وروايته وحـفظه لأشـعار شعراء بعينهم.. مسطراً أسماءهم في أحدى لامياته، ورد ذكر بعضهم في هذا الخطاب:

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا

وأبـو يزيد وذو القـروح وجرول[6]

وعلى الرغم من تداولهم –أي الشـعراء– معاني واحدة وتشبيهات أخيلة تعاوروا عليها من جهة، نجد أنه من جهة أخرى بـراعة متميزة في إعادة صوغها صوغاً جديداً، تثير في نفس المتلقـي المتعة والفائدة والاستجابة، ولا تشعره بالملل من تلقيها في الوقـت نفسه[7].

الغرائبي.. معياراً إبداعياً...

أما الاتجاه الآخر فماثل في أن بعض الشـعراء آثر أن يخرق المألوف إلى اللامألوف ملتمساً الإفصاح عن تفرده وتميزه وبراعته في خلق المعاني التي لم يسبق إليها تارة ، والإتيان بما لم يكن منها قـط تارة ثانية ، ولم تجر العادة بمثلها، ولا عمل أحد من أقرانه قبلها نظيرها. وما يقـرب منها تارة ثالثة، ملتمسـين هذه المنطلقـات في مفردة الغريب ومرادفاتها ومعانيها، فنطالع نشدانها عند أكثر من الشاعر،منهم المسيب بن علس الناعت أحـدى قـصائده بالغريبـة بـدلالاتها المتعددة، والمردد لها رواة الشعر تمثلاً وسماعاً، في

قوله:

فلأهدين مع الرياح قصيدة
مني مغلغلة إلى القعقاع
ترد المياه فلا تزال غريبة
في القوم بين تمثل وسماع[٨]

وذلك مبتغى ابن مقبل المفاخر بشاعريته، باتباعه الغريب الذي لا يضاهى قائلاً:

إذا متُّ عن ذكر القوافي فلن ترى
لها تالياً مثلي أطبَّ وأشعَرا
وأكثرَ بيتاً مارداً ضُربتْ له
حُزونُ جبالِ الشِّعْرِ حتى تيسَّرا
أغرَّ غريباً يَمْسَحُ الناسُ وجْهَهُ
كما تمْسَحُ الأيدي الأغرَّ المُشهَرا[٩]

والحصين بن الحمام المري يبالغ في عدّ قصائده لا انسية لغرابتها تجعل متلقيها يصابون بالدهشة، متسائلين عن قائلها، وذلك ما يستشف من قوله:

وقافية غير انسية
قرضت من الشعر أمثالها
شرود تلمح بالخافقين
إذا انشدت قيل من قالها[١٠]

وجرير يباهي بشاعريته، من حيث لا ينظم إلا ما يعدّ غريباً وغير مألوف، يترنم بها حادي الإبل في مسراه.. وتلهج بها ألسن الرواة، مشبهاً إياها بالسيف القاطع إذا ما استل من غمده.. مطالعين أبعاد هذه النرجسية في خطابه القائل:

واني لقوالٌ لكل غريبة
ورود إذا الساري بليل ترنما
خروج بأفواه الرواة كأنها
قرى هندواني إذا هُزّ صمما[١١]

أما ذو الرمة فهو يهدد ويتوعد خصومه، بقصائد غريبة تزيدهم عاراً وشناراً.. تحدو بها الركبان، ويتغنى بها الرواة في محفل المواسم.. صادحة قريحته في هذه الأبيات:

فأصبحت أرميكم بكل غريبة
تجدّ الليالي عارَها وتزيدها
قوافِ كشام الوجه باق حبارها
إذا أرسلت لم يبق يوماً شرودها
توافي بها الركبان في كل موسم
ويحلو بأفواه الرواة نشيدها[١٢]

وهذا الأصم الباهلي يهدف إلى تأثير شعره في متلقيه، وقد شذبه من كل ما يشينه ويعيبه، مع اتيانه غرائب تنال الشهرة والذيوع وقد زينها الوصف والاتقان، فهو القائل:

القي قذى الشعر حين أبصره
فما بشعري من عيب ولا ذام
منه غرائب أمثال شهرة
ملومة زانها وصفي واحكامي[١٣]

ويبدو أن الشعراء الذين توسلوا بمفردة (الغريب) التمسوا دلالاتها ومعانيها وما يتشظى منها من مسميات أخر من جذر الفعل الثلاثي (غرب).. إذ أبان المعجميون عن تلك المعاني بالتفصيل، فنطالع "غَرَبَ فلان عنَا يَغْرُبُ غرْباً أي تنحّى"[١٤] أي ابتعد، ويقال: "الغُرْبَةُ: النوى البعد"[١٥] وهذا الابتعاد مواز للمعنى البعيد خلاف القريب المتداول.

وجاء فيها أيضاً "قَدْحٌ غريبٌ: ليس من الشجر التي سائر القداح منها"[١٦] وهنا مكمن التميز في الغريب عن غيره المألوف. ونقرأ أيضاً "في لسانه غَرْبٌ: أي حدة، وغرب اللسان حدته"[١٧] دلالة على قول حاز قصب السبق بما يقتضيه المعنى..... وذلك ما كان يتقصده الشعراء في الغريب. وورد ما نصه: "الخبرُ

المُغْربُ: الذي جاء غريباً حادثاً طريفاً"[١٨]، وهو جوهر المعنى الكامن في الغريب.

ونقرأ "أغرب الرجل: جاء بشيء غريب"[١٩] ولا شك في أن الشاعر (الرجل) كان ينشد اتيان ذلك. ويقال: "غوارب الماء: أعاليه، وقيل: أعالي موجه"[٢٠].. وهنا يكمن علو المعاني - مجازاً - على ما دونها من المعاني المطروحة أو المستهلكة.

وفيها أيضاً: "الغارب: أعلى مقدم السنام"[٢١] للدلالة على تقدم كل غارب وغوارب وغريب على ما سواها من معان لا ترتقي إلى علوها في غرابتها.

وفي معجمات أخر مسميات ذات معان مشتقة من (غرب) منها " الاغتراب، والتغريب، والغرابيبن، والغروب والاستغراب، والغريبة، والغرائب" والأخير آثرناه عنواناً للبحث... سنأتي إليه لاحقاً.

بقي أن نشير إلى ان اقتناص الشاعر للغريب ومرادفاته، لا يتأتى له إلا بعد شحذ خياله، وانتخابه - بعد تأمل - مما حفظه أو رواه أو سمعه من أشعار المتقدمين عليه، أو المعاصرين له، والاتكاء على فطنته وفراسته وذكائه، استلاله من خزينه المتراكم المتمثل في التجارب والمشاهدات والأحداث والعادات والتقاليد والوقائع والأعراف، ما يعينه على بلورة الغريب في المعاني والصور والأخيلة ، وتمكنه من لغته وإمكاناتها الفائقة في التعبير عن النادر الطريف غير المتداول أو المستهلك أو المطروح أو المألوف.

ولا أدل على ذلك من أن بشار بن برد - على سبيل المثال لا الحصر - حين تناهى إلى سمعه قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي[٢٢]

قال: ما زلت أحسد امرأ القيس على جمعه بين تشبيه شيئين بشيئين، حتى قلت:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[٢٣]

وتبدو غاية الشاعر من نشدان الغريب أو الغرائب في أشعاره، شاخصة معطياتها في ابتغاء ثناء المتلقين واستحسانهم من جهة، وتأثيرها الموجع في خصومه من جهة أخرى، وذلك منطلق قرره أكثر من شاعر منهم حميد بن ثور الهلالي القائل:

قصائد يستحلي الرواة نشيدها
ويلهو بها من لاعب الحيّ سامرُ
يعضّ عليها الشيخ ابهام كفه
ويخزى بها أحياؤكم والمقابرُ[٢٤]

وبشار بن برد هو أيضاً كان ينشد من قوافيه ان تكون أشبه بلسعات الأفاعي المميتة، أليس هو القائل:

تزل القوافي عن لساني كأنها
حمات الأفاعي ريقهن قضاء[٢٥]

ومن غايات الشعراء الأخرى في اتيان الغريب، تطلعهم إلى أن تلهج الألسن ثناء بأشعارهم وترديدها، واكتسابها خلود الذكر، يتجاوزها حدود زمانها ومكانها، وان مات قائلها، وذلك تطلع دعبل الخزاعي القائل:

سأقضي ببيت يحمد الناسُ أمرَهُ
ويكثر من أهل الروايات حامله
يموت رديء الشعر من قبل أهله
وجيده يبقى وان مات قائله[٢٦]

ولا يختلف المتنبي عن نظرائه في تحقيق تلك الغايات فهو المتفاخر بأن شعره يقرأه من لا يقرأ الشعر، ويتأثر به من لا يعير الشعر أذناً صاغية..

صادحة قريحته في هذا الخطاب:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم[٢٧]

ويعود مفتخراً ان الزمن حافظ لشعره، تتناقله الألسن على مر الأوقات، حتى كأن الدهر إنسان ينشد قصائده، موجزاً هذا الفخار في قوله:

وما الدهر إلاّ من رُواة قصائدي
إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا[٢٨]

أما أبو العلاء المعري، فيبدو مغالياً بشاعريته، ومفاخراً بنظم لم يسبق إليه، ولم تجر العادة بمثله.. وان كان متأخراً عن نظرائه، فهو القائل:

إني وإنْ كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل[٢٩]

الغرائب.. معياراً نقدياً...

ما مضى من منطلقات الشعراء بشأن اتيان الغريب تفرداً وندرة يشكل دون أدنى شك.. معياراً إبداعياً، وذلك شأن النقاد الذين نراهم أيضاً يبحثون عنه ويفضلونه على غيره في خطابات الشعراء.. مبتدئين بالجاحظ (ت٢٥٥هـ) الذي أشار إلى ما هو تقليدي ومتعارف عليه أو مطروح قائلاً:"المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والقروي والبدوي إنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ..."[٣٠].

ليعود مؤكداً ان متلقي الأشعار يفضلون ماهو خلاف ذلك المطروح في قوله :" الناس موكلون بتعظيم الغريب، واستطراف البعيد، وليس لهم في الموجود الراهن... مثل الذي لهم في الغريب القليل، وفي النادر الشاذ[٣١]،مبدياً تعاطفه مع هذا التوجه، ومشيراً في الوقت نفسه إلى قيمة هذا الغريب من المنظور النقدي قائلا: "إن الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب، كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع"[٣٢].

يستشف من رأي الجاحظ ان الأغرب يستغرق الوهم والطرافة وإثارته التعجب في نفس المتلقي،وذلك مكمن الإبداع في آخر المطاف.

ويوافق قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) ما ذهب إليه الجاحظ، مودعاً تلك الموافقة في نص هذا الرأي: "وقد يضع الناس في باب أوصاف المعاني الاستغراب والطرافة، بأن يكون المعنى مما لم يسبق إليه. ويقال لما جرى هذا المجرى طريف وغريب، إذا كان فرداً قليلاً، فإذا كثر لم يسم بذلك"[٣٣].

ويؤكد القاضي الجرجاني(ت٣٩٢هـ)ان المفاضلة بين الشعراء، تستند إلى مواقع الأبيات من الغرابة والحسن، مفصلاً ذلك في قوله: " وكانت الغرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب ، وبده فاغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله، وشوارد أبياته... وقد كان يقع ذلك في خلال قصائدها، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلفوا الاحتذاء عليها"[٣٤].

ويدلي ابن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ) بدلوه في مثل هذا التوجه، فنطالع رأيه بقوله: "ان الشاعر حقاً لا مجازاً، هو ذلك الذي برع في "توليد المعاني

واختراعها، واستـــظراف لفظ وابـــتداعه، مع زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني، ونقـــص مما أطاله ســـواه من الألفاظ، وصرف معنى إلى وجه آخر"[٣٥]. وهذه هي معايير الغريب.

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فيعول على (الغريب)و (البعيد)و (المتنافر)و (المتباين) (الأعجب) في التشبيهات وذلك حيث يقول:"تراها[أي التشبيهات] لا يقع بها اعتداد، ولا يكون لها موقع من السامعين، ولا تهز ولا تحرك، حتى يكون الشبـــه مقـــرراً بـــين شيئين مختلفين... وكلما كان التباعد أشد، كانت إلى النفوس أعجب، ولها أطرب وأغرب، وأحق بالولوع وأجدر"[٣٦].

ويطرح أسامة بن منقذ(ت ٥٨٤هـ)[٣٧]، وابن أبي الأصبع المصري(ت ٦٥٤هـ)[٣٨]مصطلح (الأغراب)، عند اتيان الشاعر بمعنى غريب لقلته في كلام الشعراء ولم يوجد مثله في ذلك الزمن، في ظل مخالفة العادة.

ويقدم حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) رأياً نقـــدياً يفرق فيه بين ما يعد شعراً حقاً ومجازاً، اعتماداً على معيار الغرابـــة قـــائلاً:"إن الأجدر بـــما كان خلياً من الغرابة ألاّ يسمى شعراً أصلاً، وأن كان موزوناً مقفى، لأن المقصود بالشعر معدوم فيه"[٣٩].

معولاً في تحقيق الغرابة على حســـن (التخييل)، ارتبـــاطاً بـــالتعجب منه، أما لجودة هيأته، أو قـــوة شهرته أو حسن محـــاكاته، ويرى في المعاني ثلاثة مستويات، منها المبتذل والشائع الذي نراه مرتســـماً في كل فكر مثل تشبيه الشـــجاع بالأســـد، أو الكريم بالغمام ومنها ما يكون ارتسامه في بعض الخواطر دون بـــعض، وهي المعاني التي تبـــنى على المعاني الأولى بزيادة حسنة، وقســـم ثالث أســـماها المعاني العقـــم المرادفة للمعاني الغريبـــــة والنادرة ، ويراها دليل الشاعرية قائلاً:"من بلغها فقد بلغ الغاية القصوى"[٤٠].

أما ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، فيرى أن الغرابة هـــي أن تكون بـــمعنى مما لم يسبـــق إليه من جهة الاستحسان،فيقال:طريف وغريب، إذا كان عديم المثال أو قليله[٤١].

ولم يقتصر الاهتمام بالغريب أو الغرائب على النقاد العرب القدماء إذ عنّي به النقاد الغربـــيون أيضاً، من أبـــرزهم الشـــكلانيون الروس، بـــتداولهم مصطلح (التغريب)في دلالته المفصحةعن اللامألوف، وتجاوز نقيضه المألوف، منطلقـــين من توجه نقـــدي هو "إن مهمة الفنان [الشاعر] محاربة هذا الروتين الآلي ، بنزع الأشياء من إطارها المألوف، وتجميع العناصر المختلفة على غير انتظار.. أو ان يعمد الشـــاعر إلى كسر القوالب ليجبرنا على تحديد تلقينا للأشـــياء من خلال التحول المجازي[٤٢].

ويرى ناقد غربي آخر هو(كولردج) ان الشاعر "غايته العامة منح سحر جديد للأشياء اليومية، وإثارة شعور يشبه الشيء الخارق للطبيعة، وذلك عن طريق إيقاظ العقل من خمول العادة".وهذا الرأي هو فحوى الغريب والغرائب المفضيين إلى إثارة التعجب والدهشـــة في نفس المتلقي[٤٣].

خلاصة ما تقدم يتبين لنا ان الشعراء أولاً، والنقاد تالياً اتفقـــت كلمتهم على ان ما ينضوي تحـــت أفق (الغريب)أو (الغرائب)هو غايتهم،وغاية متلقي الشعر

في الوقت نفسه، كونه إبداعاً خارقاً للمألوف، ومخالفاً للعادة، ونادراً في تفرده وتميزه، ومثيراً للتعجب والدهشة، ومبرزاً القيمة الجمالية والفكرية في سياق بعينه ... والمنطلق الأخير هو توجهنا في تأكيده من خلال لمحات ذات مدلول...

الكلمة المتفردة.. والسياق المتفرد...

ما له صلة في هذا الشأن ورود الكلمة غير المألوفة الاستعمال،لتسهم في بلورة سياق مشبع بالغرائبي ذي الطابع الجمالي المستحسن والمؤثر.. من منطلق أنه لا الفكرة المجردة، ولا الكلمة وحدها للدلالة على غرابتها بل أنه سياق التعبير المبرز قيمتها الفكرية والفنية فضلاً عن غرابتها.. ولعل أشهر ما يطالعنا في هذا الشأن،استحسان النقاد ودهشتهم وتعجبهم من كلمة (قيد الأوابد) التي اكتنفت خطاب امرئ القيس، حتى شهدوا له، بالسبق في استعمالها ولا استطاع أحد بعده الاتيان بنظير لها[٤٤]، وذلك في سياق شعري مفصح عن سرعة فرسه وتمكنه من اصطياد الطرائد في قوله:

وقد اغتدي والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل[٤٥]

وتلاعب الشاعر بالألفاظ وإبداعها في صياغة سياق تبرز دلالاتها الكامنة خلاف معناها الظاهر، يشكل أيضاً خرقاً للمألوف أو ما يسمى خارج الألفة، وذلك ما نتأمله في خطاب الحطيئة لمتلق بعينه:

دعِ المكارمَ لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[٤٦]

فأتى باسمي الفاعلين (الطاعم،الكاسي)،وهو يعني اسمي المفعولين (المطعوم،المكسو)وهنا يكمن الغريب في أحد ملامحه، ولاسيما المشتغل اشتغالا لغوياً، يدور مدار العجيب،والبعيد في الوهم،والمثير للدهشة، والمستظرف.

الغرائب.. في الأفكار والصور الشعرية...

حظيت بعض مضامين الشعراء ورؤاهم المودعة في صور شعرية بإعجاب النقاد واستحسانهم، حتى عدوا بعضها الأبرع في غرض بعينه، ولعل مرد ذلك الإعجاب هو نقل الشاعر المعنى أو الصورة من فضاء شعري مألوف إلى آخر غير مألوف وبما يثير الدهشة، ويبعث التعجب، وذلك هو أبرز معايير الغريب أو الغرائب، ومن أروع الخطابات الشعرية تجسيداً في هذا الشأن، غزل امرئ القيس المتفرد فكرة وصورة وتميزاً عما قيل في غزل النساء ولاسيما قوله:

وما ذرفت عيناك إلا لتقدحي
بسهميك في أعشار قلب مقتل[٤٧]

ومكمن التفرد هو أن الشاعر العاشق صيّر دموع الحبيبة سهاماً جارحة قلبه المذلل والمقطع بعشقه إياه والآسرة له.. ولا أدل على ذلك من نعت النقاد لهذا الخطاب باغزل بيت قالته العرب[٤٨]. ونلمس هذا التفرد أيضاً في البعد الفكري الذي صاغته كلمات الشاعر أبي نواس لمتلق أضفى عليه معايير الشجاعة والفروسية والبطولة من منظور غارق في الخيال، وأبعد في الوهم، وأكثر استطرافاً وندرة، في جعله النطف خائفة من ممدوحه قبل خلقها مخاطباً إياه بقوله:

واخفت أهل الشرك حتى إنه
لتخافك النطف التي لم تخلق[٤٩]

وما يعد متفرداً وغرائبياً في الوقت نفسه، استعذاب أبي تمام لبكائه عشقاً ووجداً، ورفضه من يسقيه (ماء الملام) متوخياً الغرابة في هذه العبارة – الاستعارية– إن جاز التعبير، منطلقاً بما هو كائن خيالياً لا ما يجب عقلياً أو شائعاً.. فهو القائل:

لا تسقني ماء الملام فإنني
صب قد استعذبت ماء بكائي[٥٠]

ونظيره في هذا الشأن، خطاب المتنبي المودع فيه حزنه على أخت سيف الدولة، فحين تأكد مصداقية الحدث طفح عليه الدمع وغمره حتى كاد يغصّ به.. وهنا تكمن قدرة الفكرة وتفردها وخرقها للمألوف في رثائه، حيث يقول:

طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ
فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً
شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي[٥١]

الخواطر النادرة...

ومن ملامح الغرائب التقاط الشعراء صوراً من الواقع المرئي يكمن حدوثها في لمحة خاطفة، أو طرفة عين، أو خاطرة نادرة، وفي صياغة تنزع إلى فكرة متفردة، وصورة أخاذة تثير الاستظراف، وتبعث التعجب في نفس المتلقي، متأملين ذلك في الصورة الشعرية (البصرية–السمعية) التي رسمتها كلمات عنترة العبسي، لصوت ذباب في أرجاء روضة مشبهاً إياه بصوت الشارب المترنم نشوة، وشبه حركة أجنحته الدائبة حين يسقط برجل مقطوع اليدين يقدح النار من زندين فلا تقتدح... وهو ما يستشف من قوله:

وخلا الذباب بها فليس ببارحٍ
غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحك ذراعه بذراعه
قدح المكب على الزناد الأجذم[٥٢]

ويلتقط حميد بن ثور صورة ذئب، بفعل ذكائه، وسرعة بديهته، وقوة فطنته، وقد أغمض عيناً، وفتح أخرى، كناية عن راحة في الأولى، واحتراز في الثانية، في أوجز لفظ، وأوفى معنىً، وأغرب صورة، قائلاً:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي
بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع[٥٣]

غرائب المفارقة...

والتمس الشعراء في المفارقة الجامعة بين الضدين المتنافرين وسيلة وغاية في بلورة رؤية غرائبية في معطياتها، وخارجة عن الألفة، ومودعة في سياق غير متوقع، على نحو ما نطالعه في مفارقة جميل بن معمر المتأرجحة بين نقيضين، أحدهما تلاشي خفقات قلبه، واتزان مشاعره لدى لقائه بالحبيبة، والآخر عودته إلى معاناته واضطرابه من الشوق والهيام والصبابة أثر مفارقته إياه.. وذلك ما نتلمسه في قوله:

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها
ويحيا إذا فارقتها فيعود[٥٤]

وهذا جرير ينظر إلى المرأة نظرة، لم يسبقه أحد إليها، ولا عمل أحد بعده نظيراً لها، في مفارقة جاعلاً المرأة البارعة الجمال من سواد عينها قاتلة ذوي العقل والحكمة شغفاً وتعلقاً بها،مع كونها أضعف خلق الله بشراً، كما في هذه الرؤية الشعرية:

إن العـيون التـي في طرفها حـور
قـتلننا ثـم لـم يحيين قـتلانـا
يصرعـن ذا اللب حتى لا حراك به
وهــن أضعفُ خـلقِ الله إنسـانا[٥٥]

ومن المفارقات ذات الرؤية الفكريـة النادرة في محتواها،تلك التي صاغتها كلمات أبي نواس الجامعة بين الداء والدواء في علة ما يعانيه، قائلاً:

دع عـنك لومـي فـإن اللـوم إغـراء
وداوني بـالتي كـانت هـي الداء[٥٦]

أما المتنبي فيصدم متلقيه بمفارقة غريبة ومتفردة، بجعله الموت أمنية وشفاء،لا خوفاً وفزعاً وهروباً منه كما هو شائع ومطروح.مودعاً هذا المنطلق في خطابه الآتي:

كفى بك داء أن تـرى الـموت شافيا
وحسـب المنايا ان يكن أمانيا[٥٧]

غرائب انسنة الطبيعة...

ومن الغرائبية ما ينضوي تحت مصطلح (انسـنة الطبيعة)وفحواها بإيجاز: من يخلع عليه صفة بشرية أويمثله في صورة بشرية،بكلمة أدق إنزال غير العاقل من الحيوان والجماد والمعاني المجردة منزلةالإنسان. نطقاً أو مشاعر أو صورة وغير ذلك[٥٨].. شريطة ان تفضي في السياق إلى الغريب والنادر والطريف، في دقة تصوير وخيال خلاق.. وبما يثير الدهشة والتعجب والاستحسان والاستطراف في نفس المتلقي.

ومن أروع الشواهد الشعرية المنتقاة من تضاعيف القصائد ما نطالعه في الصورة الشعرية التي رسمت مشاهدها كلمات عنترة العبسي، المرتقي بفرسه إلى مستوى الإحساس الإنساني ووعيه، بإدراكه شكواه – والشكاية لا تنطلق إلا من عاقل– مما يقاسـيه من آلام الجراح التي تناوشته من رماح الفرسان الكماة.. شاخصة شكايته في عبرة تنحدر من عينيه، وحمحمة تنبعث من صهيله، ليرق صاحبه له، حتى بـدت هذه المعاناة معادلاً موضوعياً لعدم تمكنه من الكلام، لـو كان قادراً عليه، مودعاً تفاصيل هذا المشـهد في هذه الصورة الشعرية التي قل نظيرها

يـدعون عنـتر والـرماح كأنـهـا
اشـطان بـئـر في لبـان الأدهـم
مـا زلـت أرميهم بثغرة نـحره
ولبـانه حـتى تسربـل بـالدم
فـازور مـن وقـع القنا بلبانـه
وشـكا إليّ بـعبرة وتحمحـم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
ولـكان لـو عـلم الكـلام مكلمي[٥٩]

هذا ما يتعلق بالحيوان، وبشأن الجماد نلحـظه في استنطاق الشعراء(للأطلال)وهي آثارمخلفات الظاعنين عنها، من دمن، ونؤي، وأثافي، واواري وغيرهـا.. وكان امرؤ القيس سباقـاً في انسـنة هذه الجمادات، ففي أحدى قصائده نطالع لوحة افتتاح طللية مطلعها:

ألا أنعم صباحاً أيـها الربـع وانطق
وحدّث حديث الركب إن شئت وأصدق
وحدث بـان زالت بليل حمـولهم
كنـخل من الأعراض غير منـبَق[٦٠]

مبتدئاً بالدعاء لها –على عادة الشعراء– بـطيب العيش لا ثار من كان ينزل وقت الربيع.. ليحدثه عن الإبل التي حملت الأهل على تلك الهوادج المشبهة بثمر نخل غير مزه، وإذا قـيل ان الدعاء للأحبـة النازلين لآثار هذا (الربـع)، فحسبـنا ان نتكئ على الصورة الشعرية التي رسم الشاعر بكلماته مشاهدها، المسبغة على الطلل، والربع بعض مواصفات الطبيعة البشرية

من حيث الاستنطاق والمحادثة. لتثير فينا الاستجابة، لما هو غير متداول في خطابات الشعراء!!

ولنا في الصورة الشعرية المتفردة التي ابدعتها قريحة الشاعر المتنبي.. لمشهد معركة آلت إلى انتصار سيف الدولة-المقصود بخطابه-على خصومه ما ينضوي تحت أفق الانسنة، ولاسيما شعور السحاب بالخوف أن يطلبهم منه لوجود الماء فيه، بعد فرارهم وتتبعه إياهم أمواه البادية. ثم جعل طلبه لهم في الفلوات كالسؤال، وظفره بهم كالجواب، وذلك ما نتأمله في هذا المشهد الشعري:

طلبتهمُ على الأمواه حتى
تخوَّف أنْ تفتشَهُ السَحَابُ
تسأل عنهم الفلوات حتى
أجابك بعضها وهم الجوابُ[٦١]

الانزياح وغرائبه...

ويبدو الانزياح معياراً إبداعياً، بوصفه أحد ملامح الغريب أو الغرائب مع تعدد مسمياته بحسب رؤية كل ناقد.. فأهميته تكمن في إزاحة المألوف المبذول من جهة، والاتيان باللامتوقع، عندما يغدو المعنى منزاحاً بالكلام وغرضه عن مقصده الواضح، معدولاً إليه عما هو أحق بالمحل منه.. وبما يحقق الدهشة والتعجب واللذة، ويصدم المتلقي ويفاجئه من جهة أخرى[٦٢] متأملين هذه التوجهات الكامنة في الانزياح،في مغامرة امرئ القيس للقاء الحبيبة، سارداً تفاصيلها بما هو خارق للعادة، بنهوضه إليها بتروٍ لئلا يُشعر بمكانه، مشبهاً ذلك النهوض بحباب الماء وهو يعلو بعضاً في رفق وتمهل، ليغدو هذا المشهد التصويري -أن جاز التعبير- أول طارق مبتكر له، حتى لم ينازعه أحد إياه.. وهنا يكمن التفرد الذي أزاح ما هو متعارف عليه في لقاء العشاق! متأملين ومتعجبين ما صاغته كلمات هذا الشاعر القائل:

سَمَوْتُ إليها بعد ما نام أهلُها
سُمُوَّ حَبَابِ الماءِ حالاً على حالِ[٦٣]

ويطالعنا خطاب عدي بن رعلاء الغساني في إزاحته الأحياء وإدخالهم عالم الموتى، وإزاحة الأموات إلى عالم الحياة، بما هو مغاير للمبذول المطروح في جدلية الحياة والموت، بعد ان تناهى إلى أسماعنا قوله:

ليس من مات فاستراح بميْت
إنما الميْتُ ميِّتُ الأحياءِ[٦٤]

ويقترب المتنبي كثيراً من رؤية نظيره، حين جعل حضور الموت في الحياة، وحضور الحياة في الموت.. بتفرد وتميز وإزاحة للمستهلك في رؤى الشعراء، فهو القائل:

واذا لم يكن من الموت بُدٌّ
فمن العجز ان تكون جبانا[٦٥]

أي أن الكريم يحتمل الموت بوصفه حياة، ولا يحتمل الذل في حياة هي الموت . فالانزياح كائن في خرق الاعراف.. وهذا الخرق هو الغرائبي بعينه.

وما ينضوي تحت أفق الغرائبي، ما اصطلح النقاد على تسميته بـ"تراسل الحواس"، بكلمة أدق خرق المألوف لوظيفة حاسة مزاحة نظيرتها، وتشكيل سياق شعري جديد يتسم بالغرائبي وباللامتوقع في الوقت نفسه... ومن أوضح الشواهد الشعرية على هذا الخرق، صنيع بشار بن برد عندما هام عشقاً وهياماً ما إن تناهى إلى سمعه صوت امرأة رقيقاً،

حال عن رؤيتها بصره المفتقد إليه، فعلا صوته مترنماً:

يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم
الأذن كالعين توفي القلب ما كانا[66]

الغلو في غرائبه...

لابد من التطرق إلى الغلو بمسمياته الأخر "الاغراق، والافراط" بوصفه أحد ملامح الغرائبية، انطلاقاً من المعاني التي يتضمنها في السياق الشعري.. فقيل بشأنه"إذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج عن الموجود، ويدخل في المعدوم إنما يريد به المثل وبلوغ الغاية"[67] فهذا الخروج عن الموجود يماثل الغريب في خرقه المألوف والدخول في اللامألوف..

وقيل في الغلو أيضاً.. "أن فضيلة الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه الاغراق والغلو،لمخالفته الحقيقة، وخروجه عن المتعارف عليه"[68] وذلك ملمح آخر مشترك بين الغلو والغريب، فكلاهما معني بالخروج عن الشائع والمطروح والمستهلك في البعدي الفكري بخاصة...

وحسبنا في هذا الشأن انتقاء الخطابات الشعرية المتضمنة غلواً غرائبياً –ان جاز التعبير– استطرافاً وندرة وتفرداً وتميزاً واستحساناً ومغايراً للمتداول.. ومن أبرز ما يقع في هذا المجرى وصف امرئ القيس لأحدى النساء المتحببات إلى أزواجهن اللائي يقصرن نظرهن عليهم.فيرى الشاعر ان الواحدة منهن لو مرّ المحول من الذّرّ[صغير النمل الذي أتى عليه الحول] فوق ثوبها لأثر في جلدها لبضاضتها ورقة بشرتها.. وذلك ما لم نألفه في وصف المرأة بهذه الصورة المتسمة بالغريب والغلو في آن متأملين أبعادها في قوله:

من القاصرات الطَرْف لَوْ دَبَ مُحْوِلٌ
من الدرِّ فوق الإتب منها لأثرا[69]

أما الأعشى فتصدح قريحته من فرط صبابته وهيامه بامرأة بارعة الجمال ، من منظور خيال مفعم بالاغراق والاغراب، وقد تراءت له أنها لو ضمت ميتاً إلى نحرها لدبت فيه الحياة من جديد، مثيرة تعجب الناس ودهشتهم من هذا الميت المبعوث إلى دنياه يخلد فيها ولا ينقل إلى مقبرة من المقابر. مفصحاً عما هو خارق للعادة في هذه الصياغة الشعرية:

لَوْ أسندتْ ميْتاً إلى نحرها
عاش وَلم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا
يا عجباً للميِّتِ الناشرِ[70]

ويبدو أن الغلو لم يقتصر على النساء، إنما تجاوزه الشعراء إلى الرجال ولاسيما الممدوحين منهم.. الذين اسبغوا عليهم فضائل أقرب إلى المثال وأبعد عن الواقع المتعارف عليه.. ولعل الأعشى هو الأوفر حظاً في هذا الشأن، حين ارتقى بممدوحه إلى ما هو خارج عن المتعارف، مطلقاً العنان لشاعريته أن تقول فيه:

فتىً لو يباري الشمس ألقت قناعها
أو القمر الساري لألقى المقالدا[71]

فالشمس تلقي قناعها خجلاً منه، ولو بارى القمر لذل له وانقاد صغاراً.

أما أبو الطيب المتنبي، فممدوحه أخرجه من

الموجود، وأدخله في المعدوم، بعدّه أطيب من الطيب وأطهر من الماء، مخاطباً إياه بقوله:

الطيب أنت إذا أصابك طيبه
والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل[72]

هذه الشواهد وغيرها كثير أغاظت بعض النقاد المستقبحين للغلو في أبعاده المضمونية، لإدراكهم ان الشعراء كانوا يتقصدون العطايا والهبات والشهرة.. تملقاً وتزلفا ورياء وتكسبا من هذا الغلو إفراطاً وإغراباً... دون النظر إلى براعتهم الفنية من حيث التصوير ودقته وحسن التخييل والمحاكاة.. وهي معايير فنية استحسنها نقاد آخرون قالوا: ان أشعر الشعراء من استجيد كذبه![73].

ومسك الختام نشير إلى أنّ الشعراء والنقاد ومتلقي الشعر على مر العصور شغفوا بكل ما هو غريب أو غرائبي الفاظاً وصياغة ومعاني وصوراً وأخيلة... حين يغدو معياراً إبداعياً خارقاً للتقليدي أو المألوف أو المستهلك أو المبذول أو المطروح، فضلاً عن قيمته الفكرية والجمالية في السياق الشعري، متطلعين من خلاله إلى تحقيق الدهشة والتعجب واللذة والفائدة والاستجابة والتأثير.. ليغدو على أساس ذلك اسم الشاعر فناناً مبدعاً حقيقة لا مجازاً.

الهوامش ومصادرها

(١) العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط العاشرة، ص ٢٢١ :١٩٨٢م.

(٢) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط الرابعة، ق١٥/ص١١٤: ١٩٨٤م.

(٣) شرح المعلقات السبع، الزوزني، بيروت، د.ت: ص١٩٣.

(٤) شرح ديوان لبيد العامري، تحقيق: إحسان عباس، الكويت، ق٣٩/ص٢٧٦: ١٩٦٢م.

(٥) شرح ديوان كعب بن زهير، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ص١٥٤: ١٩٦٥م.

(٦) ديوان الفرزدق، شرحه: علي فاعور، بيروت، ص ٤٩٣: ١٩٨٦م.

(٧) أنظر: العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف: ص٢٢١.

(٨) شعر المسيب بن علس، تحقيق: أنور أبو سويلم، الأردن ،ص١١٤: ١٩٩٤م.

(٩) ديوان ابن مقيل، تحقيق: عزة حسن، بيروت ،ق٩٧/ص١١١، :١٩٩٥م.

(١٠) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، طبعة دار الكتب المصرية: ١٤/ص٤.

(١١) شرح ديوان جرير، تأليف : محمد إسماعيل الصاوي ، دار الأندلس ، بيروت، د.ت: ص٥٤٤.

(١٢) ديوان ذو الرُمة، تحقيق: بشير يموت، بيروت، ص٣٠: ١٩٣٤م.

(١٣) ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد بن تاويت، د.ت: ص٨.

(١٤) كتاب العين، الخليل أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ٤/ص٤٠٩: ١٩٨٢م (وغرب).

(١٥) المصدر نفسه: ص ٤/ ٤١٠ (غرب).

(١٦) تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٤م: غرب.

(١٧) المصدر نفسه: غرب.

(١٨) أساس البلاغة، الزمخشري، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م.

(١٩) المصدر نفسه: غرب.

(٢٠) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م: غرب.

(٢١) المصدر نفسه: غرب.

(٢٢) ديوان امرئ القيس: ق٢/ص٣٨.

(٢٣) الأغاني (ط دار صادر): ٣/ص١٩٦.

(٢٤) ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط دار الكتب القاهرة، ص٢٦: ١٩٨٦م.

(٢٥) ديوان بشار بن برد، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، القاهرة، ١/ ١٥٦: ١٩٥٠م.

(٢٦) ديوان دعبل الخزاعي، تحقيق: محمد يوسف نجم، بيروت، ص١٢٤: ١٩٨٩م.

(٢٧) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ناصيف اليازجي، دار صادر، بيروت، د.ت: ٢/ ص١٢٤.

(٢٨) المصدر نفسه: ٢/ ١٨٤.

(٢٩) سقط الزند، أبو العلاء المعري، دار صادر، بيروت، ص ٢٢٦: ١٩٦٦م.

(٣٠) الحيوان، الجاحظ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، ١/ص٤٦٧: ٢٠٠٣م.

(٣١) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، ١/٩٠: ١٩٨٥م.

(٣٢) المصدر نفسه: ١/ ٨٩-٩٠.

(٣٣) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، د.ت: ص١٥٢.

(٣٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مصر، ط الرابعة، : ص٣٣-٣٤، ١٩٦٩م.

(٣٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ط ١/ ١١٦-١٩٧٢ م.

(٣٦) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، صححه محمد رشيد رضا، بيروت، د.ت: ص١٠٩.

(٣٧) ينظر: البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: عبد علي مهنا، بيروت، ص١٩٦: ١٩٨٧.

(٣٨) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حنفي محمد شرف، القاهرة، ص٥٠٦-٥٠٨: ١٣٨٣هـ.

(٣٩) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، تونس، ص٧٢: ١٩٦٦م.

(٤٠) المصدر نفسه: ص١١٩.

(٤١) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن والبيان، ابن قيم الجوزية، القاهرة، ص١٧٢ : ١٣٢٧هـ.

(٤٢) النظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، بغداد، ص٨٢ : ١٩٨٣م.

(٤٣) الأدب والغرابة، عبد الفتاح كليطو، بيروت، ص٦٦: ١٩٩٢م.

(٤٤) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١/ص١٣٣: ١٩٨٢م.

(٤٥) ديوان امرئ القيس: ق١/ص١٩.

(٤٦) ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان أمين طه، القاهرة، ص٥٠: ١٩٨٧م.

(٤٧) ديوان امرئ القيس: ق١/ص١٣.

(٤٨) حلية المحاضرة في صناعة الشعر، الحاتمي، تحقيق: د. جعفر الكناني، بغداد، ٢/ ٣٧٠: ١٩٧٩م.

(٤٩) ديوان أبي نواس، شرحه: علي العسيلي، بيروت، ص٣٨٧ : ٢٠١٠م.

(٥٠) ديوان أبي تمام، شرحه: د. شاهين عطية، بيروت، ص١٠ :

١٩٦٨م.

(٥١) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: ٢/ص٢٨١.

(٥٢) شرح المعلقات السبع، الزوزني: ص١٩٩.

(٥٣) ديوان حميد بن ثور الهلالي: ص٥٦.

(٥٤) ديوان جميل بثينة، تحقيق: بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ص١٧: ١٩٦١م.

(٥٥) شرح ديوان جرير: ص٥٩٥.

(٥٦) ديوان أبي نواس: ص٧.

(٥٧) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: ٢/ ص٢٩٤.

(٥٨) تأملات في النص القرآني والخطاب الشعري، د. أحمد إسماعيل النعيمي، الأردن-عمان، ص٦٤: ٢٠١٥.

(٥٩) شرح المعلقات السبع: ص٢١٥.

(٦٠) ديوان امرئ القيس: ق٣٠/ ص١٦٨.

(٦١) العرق الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: ٢/ ص١٩٦-١٩٧.

(٦٢) أنظر: الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، د. عباس رشيد، بغداد، ص٥٩: ٢٠٠٩.

(٦٣) ديوان امرئ القيس: ق٢/ ص٣١.

(٦٤) الاصمعيات، الأصمعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط الرابعة، ق٥١/ ص١٥٢: ١٩٧٦م.

(٦٥) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: ٢/ ص٣٤٧.

(٦٦) ديوان بشار بن برد: ٣/ ٢٩٦ص.

(٦٧) العمدة: ٢/ ص٦١.

(٦٨) المصدر نفسه: ٢/ص٦٢.

(٦٩) ديوان امرئ القيس: ق٤/ ص٦٨.

(٧٠) ديوان الاعشى الكبير، تحقيق: محمد محمد حسين، مصر ق١٨/ ص١٣٩: ١٩٥٠م.

(٧١) المصدر نفسه، ق٧/ ص٦٥.

(٧٢) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: ١/ ص٣٥٥.

(٧٣) العمدة: ٢/ ص٦١.

أدب السيرة قراءة في

إشكالية المصطلح



د. عدنان رجب

الجامعة المستنصرية/ كلية الأداب

المورد
العدد
الثالث
السنة
٢٠١٥

سادت اللغة العربية شبه الجزيرة العربية حتى شملت العراق والشام ومصر وأمصار اخرى في افريقيا، بل امتدت الى الاصقاع الاعجمية لاسيما مع انتشار الاسلام ودخول الاقوام غير العربية؛ وبما انَّ نزول القرآن الكريم بهذه اللغة التى خصها الله تعالى ساهم في حفظ اللغة وديمومتها وانتشارها، ومن هنا ظهرت الحاجة الى معرفة كل ما يتعلق بالدين من فرائض وتشريعات تنظم الحياة الاجتماعية للانسان، فكان سعي العلماء في شتى بقاع الاسلام الى تفسيره وتوضيح تأويله بما كان من وقائع نستدل عليها منه، ولهذا نشأت مع هذه الحركة الاسس الاولى للعلوم ومضارب التشريع فكان جمع الاحاديث النبوية الشريفة ووضع الاسس

الناجعة لصحتها اعتمـــادا على مجموعة معطيات لعل اهمها الذي يتعلق بموضوع البحث هم الرواة وصفاتهم ونُبذ من سيرة حياتهم فشكلت بـــذلك خلاصة للعقـــل العربي والاسلامي انذاك، وفتحت آفاقا لمعرفة السلوك الاخلاقي الحياتي للاعلام واذا تمعنا معاني القرآن الكريم وجدنا انه اثرى اللغة بالمفردات والمعاني التى جمعها بل ونقل الالفاظ من معانيها القديمة الى التعبـــير عن المعاني الجديدة مما حفز اللغة العربية وعدَّها إعدادا كي تستوعب الحضارة الجديدة، وهي معاني اصطلاحية اسلامية كما استدعت العلوم كالفقه والتفسير والحديث الى وضع مصطلحات استدلوا عليها من بواطن اللغة العربية بوسائل عديدة كالاشتقاق والمجاز والتضمين والكناية وتعدد المترادفات للمعنى الواحـــد وامكانات التضاد والاعراب؛فعلى سبيل المثال لا الحصر: هناك العديد من الالفاظ والمفردات ذات الدلالات اللغويـــة والاصطلاحية التى ابدلت او اتسعت في معانيها بـــعد الاسلام نحو:-الصلاة التى معناها اللـــغوي المستعمل نذاك:الدعـــاء ولكنها استخدمت فيما بـــعد بـــمعناها الاصطلاحي الذي تحول الى: الأقـــوال والافعال التى تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم، وكذلك الزكاة: فمعناها اللغوي النماء ثم تطور واصبح معناها الاصطلاحي:- مقدار من المال المعلوم يؤدى بمقـــدار معلوم – اي بنسبة – لصرفه في اوجه معلومة بحســـب ما اراده الشـــرع؛ ومن الالفاظ الاخرى ســـجد والاســـتمتاع والاســـتيلاء والمرابـــطة الى غير ذلك؛ وكما وجدنا لفظة واحدة لمعانٍ عديدة نحو: العدة :- ومنها عدة القوم وعدة المرأة المطلقة او المتوفى زوجها وعدة الحيض، وكذلك لفظ القضاء الذي اســـتعمله العلماء بمعنى الأداء مستندين الى قوله تعالى { فاذا قضيتم الصلاة }[1] بمعنى اديتموها وهكذا؛ الذي نريد ان نقوله ان حركة المصطلحات بـــدأت بـــعد ان فطن العلماء والفقهاء الى معاني القـــرآن الكريم التي خصها الله تعالى في كلامه المنزّل على نبـــينا محـــمد(صلى الله عليه وسلم) كما بدأ علم مصطلح الحـــديث معتمداً علوم اللغة،وما توافر من شروط في الأداء والسماع، وهذا مانجده عند الإمام جلال الدين السيوطي إذ قال: (هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه وتنويعه وتبويبـــه وذلك في علـــوم اللغـــة وانواعها وشـــروط ادائها وسماعها وحاكيت به علوم الحـــديث في التقاســـيم والانواع واتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشـــياء من ذاك المعنى ويعتنى في بيانها بتمهيد المسالك)[2] وبـــهذا المهاد وغيره نجد العلماء من الفقهاء والأدبـــاء والنقـــاد جاهدوا كي يضعوا لكل علم او فن مصطلحا يســـتمد معناه من اللغة العربية التى استمرت بديمومتها مع علمنا انها تنتمي الى مجموعة اللغات السامية التى اندرســـت، ولم يبـــق منها ســـوى رســـــوم واثار كالآرامية والنبطية والبابلية والسريانية والحبشية، كما لاننسى ان اللغة العربـــية توافرت لها شـــروطٌ أهمها الوضوح وسلامة البـــنيان اللغوي والايجاز والقصد والمنطقية والشمولية، لذلك كانت الحـــاجة للوقوف أمام مصطلح يحـــدد ملامح البحـــث،لأننا

سوف نقف أمام لفظ يؤدي المعنى بوضوح ودقة وشمولية وهذا لايعني ان الادباء والكتاب قد التزموا به لذا كانت محاولتهم إمّاالإضافة مسحة ذاتية للمصطلح او ربما شكلت أزمة لديهم مما دفعهم للبحث عن بدائل وهذا ليس قصوراً من اللغة لانَّ اللغة مرنة تعطي اكثر مما يتوقعون و ربما كان الخلل بمن يقومون بها ،ولعل هذه الإشكالية ليست في اللغة العربية وحدها بل شملت اللغات الاخرى في هذا العالم الفسيح.

لذا علينا ان نفهم أن ضبط أية معرفة سواء في الادب او العلوم الاخرى لاتتأتى إلاّ بضبط مصطلح يستوعب مفهومها وينضوي تحته، وربما اشتق منه كدلالة اصطلاحية او كان فرعاً او جزءاً منه ولكن لم يكتب له الانتشار،وخلال رصدنا للابعاد النصية والسياقية والاجتماعية المتداولة كانت هذه المقاربة المتداخلة لمصطلح ادب السيرة.

الدلالة اللغوية والاصطلاحية:-

الادب: حظيت كلمة ادب وعبر العصور على انتقالات في استخدامها وتطور لمفهومها بدءاً من عصر ما قبل الاسلام ،إذ كانت مرتبطة بلفظة الأدِب وهو الداعي الى الطعام ، قال الشاعر طرفة بن العبد[٣]:-

نحنُ في المَشْتاةِ ندعو الجَفَلَى
لاترى الآدِبَ فينا يَنْتَقِر

وخير من تتبع تطور هذا المصطلح الاب انستاس ماري الكرملي[٤] ود.شوقي ضيف[٥]، إنَّ المرونة في الانتقال من المعنى الخلقي التهذيبي لاسيما بعد ظهور الاسلام بزمن وانتشاره لنراه ينتقل في العصر العباسي الى ضروب من التشعب والتفرع[٦] ودخوله في عنوانات ومتون المصنفات الادبية حتّى اصبحت تعني النتاج الفكري للامة الذي يمثل تراثها وحاضرها الذي عُبر عنه شعراً ونثراً بلغة ذات مستوى فني مؤثر في النفس الانسانية مفعمة بضروب من الخيال والعاطفة الجياشة والصور الفنية الرائعة التى تحمل إرث الأمة الاجتماعي والفكري والاعتقادي والحضاري والسياسي معروضاً بوسائل فنية بلاغية نثرية ونظمية ووصفية وسردية.

السيرة:ـ عودة الى اصل الكلمة عند ابن منظور في معجمه[٧] نراه يشير الى:-السَّيْرُ الذهاب، وسار يسيرُ سيراً مَسِيراً وتَسْياراً ومَسِيرةً وسْسيرورة وتَسْياراً، اذ يذهب بهذه الاخيرة الى الكثرة وفي حديث حذيفة تسايرَ عنه الغضب اي سارَ وزال والسِّيرةُ: الضَّربُ من السَّير،والسَّيرة الكثير والسيْر والسِيْرةُ السُّنَّة، وقد سارتْ وسيرتها والسيرةُ الطريقة، يقال سَاربهم سِيرةً حسنةً ولسَّيرِ الهَيْئةُ، وفي القرآن الكريم قال تعالى{ سنعيدها سيرتها الاولى }[٨]

وسَسيَّرَ سِيرَة: حدّث أحاديث الاوائل، ولعل مرجعية ابن منظور ومحاولته اثبات التحول الذي طرأ في الاستعمال الاصطلاحي ليس بغريب عن الاصل اللغوي الذي يدوّر الزمن ويغير الحركة المكانية، مع العلم ان ابن منظور لم يشر الى تغيّر في الآية بل

اورده بعد تفريعات دلالية،اذ لم يقل ما الذي ينطبق منها على النص القرآني وما الذي لا ينطبق ؛ وربما كان محتوى السيرة الاصطلاحي لم يك معنياً به ولو كان ما يقصده : الهيئة، لأشار إبن منظور الى اختلاف القراءة ، فالسَّيَرة الهيئة وهي غير السِيَرة الواردة في الآية.

ومن هنا ينطلق السؤال ؛ ما السياق الذي يؤهل مفردة السيرة لتأخذ معناها في النص القرآني؟ وجوابه يكمن عند الزمخشري قال:(إنَّ السِّيرة من السير كالركبة من الركوب، يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة)[٩] وهذا يعني ان السيرة في نظر الزمخشري كانت اضيق من مفهوم المذهب والطريقة التي هي من معاني السيرة اللغوية التى ذكرها إبن منظور، وهذا ما جعله الزمخشري- يؤسس لمعنى الطريقة او المذهب لأحتواء مفهومها الاصطلاحي ، وهذا يعود بها الى الجذر اللغوي في الآية القرآنية المذكورة انفاً والمحصورة بالطريقة او

المذهب او يتعلق بالعهد السيري المعروف للعصا عند موسى(ع)[١٠] الذي يصرف عصاه التي تناقض طبيعة الافاعي بوصفها كائناً حيوانياً متحركاً.

وهذا يدفعنا للتساؤل ؛ هل بهذا الوصف تعني السيرة الثابت لا المتغير؟ نعم انها تعني المضامين الواقعية لأنها تصور الواقع كما كان عصا ثابتة او افعى متحركة وعودة الى قول إبن منظور[١١] ان هناك اشتقاقاً يجيز صياغة فعل من المصدر- السَّيرة -

وهو سيّر :- ويقصد به من يحدث بأحاديث الأولين فهو أكثر الجذور اللغوية التى تضارع مصطلح السيرة انتاجاً ورؤية مع غلبة الجانب الحكائي على المكتوب منه،وقد اخذ مفهومها يعم فأصبحت تعني السِّيرجمع السيرة وهي الطريقة سواء أكانت خيراً أم شراً لذا قيل فلان محمود السيرة وفلان مذموم السِّيرة[١٢]. وهذا يقودنا للتفكير الى ارتباط السيرة بالحكايات والقصص[١٣]نحو سيرة سيف بن ذي يزن وعنترة بن شداد، وكان العرب قبل الاسلام يتحدثون عن حروبهم وقتالهم واطلقوا على هذه الاخبار اياماً نحو يوم حَلِيمة الذي اصبح مثلاً فيما بعد[١٤]ويوم عَيْن أباغ ويوم ذي قار ويوم خزار ويوم طَخْفة ويوم ظهر الدهناء ويوم الكلام الاول ويوم دارة مأسل وهناك من تسمى بأسماء ما احدث اشتعالاً مثل حرب البسوس وحرب داحس والغبراء ومن رحم هذه الاحداث اينعت سير الابطال واضاف إليها الخيال أساطيرَ وظل المجتمع يتكلم بها نحو شخصية المهلهل بطل حرب البسوس كما نسجت القصص حول عنترة بطل هذه الحرب وقيل ان اول من الّف في هذه الايام:-ابو عبيدة المتوفى سنة ٢١١هجرية اذ صنف في الف يوم ومائتين إلاّ ان كتابه هذا لم يصل إلينا وانما وصل جزء منه في شرح نقائض جرير والفرزدق[١٥] كما احصاها إبن النديم[١٦]كما وذكر جزءاً منها في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني وشرح حماسة ابي تمام للتبريزي والعقد الفريد لابن عبد ربه والكامل لابن الاثير وفي نهاية الارب

للنويري وما ان ظهرت حاجة المسلمين الى الاقتداء بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه الانموذج الامثل للسلوك الانساني الذي اصطفاه الله وجعله خاتم الانبياء والرسل مما تتطلب الحديث عن اخباره وسيرته واقدم ما وصل إلينا من ذكرالسيرة هي: لمحمد بن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤هجرية وهو اول من جمع أخبارا تخص سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فدون سيرة تروى عنه لكنها لم تصل إلينا ولم يتبق منها سوى ما نقل عنه السهيلي في كتابه[١٧] ثم تظهر لنا سيرة اخرى هي لابن اسحاق[١٨] الذي نقل أخباراً واحاديث وروايات سمعها بنفسه في المدينة،ثم نقل عنها ابن هشام[١٩]فيما بعد عن سيرته اذ يذكر عبارة: - قال محمد بن اسحاق، وقد اطلق عليها اسم: سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، إنّ سيرة ابن هشام قد انمازت اسلوباً وفكرة ومنهجاً، وهذا يعود الى ابن هشام وما توافر له من براعة في الادب واللغة حتى وصف بالنحوي واخذ عن نحويي البصرة وادبائها واما في السيرة فيروي عن يونس بن حبيب توفي ١٨٢هجرية وابي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى ٢١٨هجرية وابي محرز خلف بن الاحمرتوفي في حدود ١٨٠هجرية وابي زيد الانصاري المتوفى ٢١٥ هجرية، وبذلك توافرت له الملكة والقدرة الى جانب مناهل الثقافة العربية والاسلامية التى ارتوى منها فانصبت هذه الروافد في السيرة التى هذبها فنالت الاهتمام الواسع و كانت ملبيةً لحاجة المسلم للإقتداء بشخصية صاحب السيرة لمن اراد صفاء النفس ونيل رضا الله،وعليه تتابعت المؤلفات والشروح في الموضوع ذاته وآثرنا تسجيل المؤلفات التي ذكرت هذا المصطلح كلا بطريقته ومنها:-

١.السيرة النبوية، النووي يحيى بن شريف ابو زكريا(٦٧٦هـ/١٢٧٧م)،تحقيق د.عبد الرزاق علي ود. وسام عبد الوهاب، دمشق ١٩٨٠م.
٢.الرسالة الكاملية في السيرة النبوية، ابن النفيس علي بن ابي الحزم القرشي(ت ٦٨٧هجرية)، تحقيق ماك مايرهوف،اكسفورد١٩٦٨ م.
٣.السيرة النبوية او المعروفة بسيرة مغلطاي بن قلج ابو عبدالله (ت ٧٦٢هجرية)،القاهرة مطبعة السعادة(ت١٣٢٦ هجرية/١٩٠٨م).
٤.ذات الشفا في سيرة المصطفى، محمد بن محمد الجزري الشافعي ٨٣٣هجرية مخطوطة تاريخ نسخها عن الاصل سنة ١٢١٩هجرية المكتبة الكيلانية بغداد تحت رقم٢/ ٩١٥٥.
٥.غاية السؤل في سيرة الرسول،عبد الباسط الحنفي الملطي ت ٩٢٠هجرية تحقيق علاء الدين الالوسي، استنبول (ت ١٣٢٨هجرية/١٩١٠م).
٦.كتاب السير،ابو العباس احمد بن عثمان الشماخي (ت٩٢٨هجرية)،تناول فيه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وتابعيهم ومتبوعاً بتراجم اعلام الاباضية في المشرق والمغرب.
٧.سبل الهدى والرشاد في سير خير العباد، المعروفة بالسيرة الشامية، محمد بن يوسف(ت٩٤٢هجرية/

١٥٣٥م) تحقيق مصطفى بن عبد الواحد، القاهرة لجنة احياء التراث ١٩٧٢م.

ويبدو مما تقدم ان ارتباط مصطلح السيرة بشخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) ادى الى تجنب اطلاق هذا المصطلح على الشخصيات التي ظهرت بعد وفاته لاسيما في القرن الاول والقرن الثاني خشية من ان تنتج شخصية في سيرة ما تناظر شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن بعد مضي الزمن بدأت تظهر لنا سير اخرى لتشمل شخصيات كالخليفة نحو: سيرة عمر بن عبد العزيز، اعتماداً على رواية الامام مالك بن انس واصحابه التي رواها عنه ابو محمد عبدالله بن عبد الحكم(ت ٢١٤هـ) وعنه نقلها ابنه ابو عبدالله محمد بن عبدالله(ت ٢٦٨هـ)،ثم تتابعت سير الاعلام فيما بعد، وغالبا ما كانت تتحدث هذه السيرعن الجوانب الايجابية مع بعض الجزئيات المحيطة بها وبسرد احداثها على وفق التسلسل الزمني، وتنماز السيرة أن لها القدرة على استحضار صورٍ ذاتية ما كنا قد رأيناها سابقاً صورٍ مخبوءة يكشف الستار عنها وربما ظل جزءٌ منها عالقاً في اعماق سحيقة قاتمة لا يمكن رؤيتها، ولكنها في حقيقتها تقف وراء افاضل السلوك الانساني الاعتباري الذي يكشف عنه الكاتب وهذا الضرب من السير هو الاكثر انتشاراً.

تزاوج السيرة الاصطلاحي وشموليته:

ثمة مصطلحات اخرى بدأت تظهر لنا وعلى امتداد التراث العربي تزاحم مصطلح السيرة، ولاسيما ونحن قد اشرنا الى دلالة السيرة لغة واصطلاحاً وهناك مصطلحات قد رافقته او ربما استعيضت عنه سواء أكان إدراكاً لمفهومها أوشكاً اوقلقاً او رغبة اوزيادة في التوضيح او لعلها غفلت عنه سهواً اوعمداً، وربما انضوت تحت جناحه ومنها مصطلح المغازي، فقد ذكره الحاكم في كتابه[٢٠] بوصفه علماً ومؤكداً ضرورة معرفة مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكُتبه الى الملوك وما أبلى الصحابة في تلك الحروب وكيف قسم الغنائم وكيف اقام الحدود لأنها متلقاة من احوال النبي في غزواته، وهذه المغازي يراد بها مواضع الغزو وهي تتوافق مع مناقب الغزاة[٢١] كما اطلق مصطلح السيرة فشمل ابواب الجهاد، إذ جاء في عنوان مبحث في كتاب البخاري، قال(كتاب الجهاد والسير،جمع سيرة)[٢٢] ووجدنا مصطلحاً آخر يتردد استعماله هو(المشاهِد) وقد استعمل على ما يبدو قديماً إذ ورد في كلام غيلان بن جرير قال:(كنا ندخل على أنس بن مالك فيحدثنا بمناقب الأنصار ومشاهدِهم ويقْبل عليَّ او على رجل من الازد فيقول: فعل قومك يوم كذا وكذا..)[٢٣] وما نلمسه من مصطلح المشاهِد ما يناظر مصطلح المناقب لان المشاهد هي المواطن[٢٤] وهي مواضع الغزو ومجامعه وفي قصيدة يفخر بها الشاعر حسان بن ثابت قال[٢٥]:

ومنّا قتيل الشِّعْب أوس بن ثابت
شَهيداً وأسنى الذكر منا المشاهِدُ

كما تدخل السيرة في معنى النظام[٢٦] ولان اصل

الكلمة يقصد به:-الإنتقاء والضم والترتيب والاتساق وهذا ما تتطلبه السيرة من تتابع زمني انتقائي منظم متسق بسرده؛ وعلى ما يبدوومما تقدم ان هذه المصطلحات قد انضوت فيما بينها لتنتج مباحث برز خلالها مصطلح السيرة بوصفه الاعم الأشمل بيد ان هناك مصطلحاً آخر مهماً هو الترجمة الذي انطلق من اهمية سيرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) لمنزلته المقدسة عند المسلمين، فذهب العلماء يبحثون عمن نقل احاديثه واخباره ومناقبه ومغازيه بتسجيل سيرة موجزة لحياتهم او مفصلة بعض الشيء ولكنها منتظمة متسلسلة زمنيا وهي ما عرف فيما بعد بالترجمة، واذا اراد احدهم ان يعرف بعالم او صحابي او راوٍ ذكر ترجمته، وهذا يؤكد ان هؤلاء أعلام لهم منزلتهم في المجتمع الاسلامي لاسيما من الصحابة الكرام والتابعين وبذلك يتحقق احد شروط السيرة وكانت هذه التراجم غالباً ما تبدأ بولادة العلم وصفاته واخلاقه وعلمه ونشأته ومشايخه والعلوم التى درسها وتنقله في طلب ذلك ومؤلفاته ورحلاته وانتقاله بين الامصار، وبذلك يتحقق التتابع الزمني ويبدو أنَّ هذا التكثيف المعلوماتي ربما زاد هنا اوهناك ؛ ولعل ابرزي من الّف في هذا الباب هو محمد بن سعد بن منيع الزهري(١٦٨- ٢٣٠هجرية) في كتابه الطبقات الكبرى[٢٧] إذ يعد هذا المصنف مرجعاً من ابرز من ترجم وأرخ عن السيرة النبوية الشريفة عارضاً لمن كان يفتي بالمدينة ومَن جمع القرآن الكريم ، ثم قدّم تراجم الصحابة ومن بعدهم التابعين وبعض الفقهاء والعلماء بتسلسل سردي زمني له منهجه، إذ ذكر اسم العلم المترجم له ونسبه وإسلامه ومآثره وما ورد من فضله ،وقد بلغ عدد الاعلام المترجم لسيرتهم الموجزة [٤٧٢٥] علماً مرتباً على طبقات من ثقات وضعفاء كما اشار الى الرواة جرحاً وتعديلاً ويمثل هذا النوع من التأليف نمطاً من المصادر الاسلامية الفريدة من نوعها لانها تعطي جزءاً من سيرة غيرية قد تختصر او تطول كما تعطي فكرة عن حياة النخب العلمية والدينية التى مهدت فيما بعد لظهور كتب الطبقات الاخرى كالشعراء[٢٨] والاطباء[٢٩] وغيرها من كتب الطبقات الى جانب النخب السياسية من الخلفاء والامراء والوزراء [٣٠]والنخب الادارية والعسكرية بل ان بعضها يستعرض ما كان يدور في المجتمع، ولعل هناك من يستطيع دراسة المجتمعات الاسلامية عن طريق هذه المؤلفات ومعرفة الواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي، والمتصفح للتراث العربي الاسلامي يجد اعداداً كبيرة من المؤلفات التى سجلت تراجم اعلام المسلمين منذُ ايام الاسلام الاولى وحتى العصر الحديث وقد تنوعت طرائقها ومسالكها كالاتي:-

اولاً:ـ لاحظنا أن الابن يكتب ترجمة ابيه والقريب ترجمة من يتصل به بنسب او سبب[٣١].

ثانيا:ـ أن يكتب التلميذ ترجمة شيخه.

ثالثاً:ـ ووفاءً للعلماء والشيوخ وجد أن الرصيف

يكتب ترجمة رصيفه.

وهذا الاهتمام من العلماء اسس لظهور كتب التراجم التى اسماها البخاري: تاريخاً، فالتاريخ الكبير. والتاريخ الاوسط والتاريخ الصغير، ولكنها تدخل في باب التراجم ، بيد اننا نجد ما يقصد بالتاريخ الآن كان يقصد بـه قديماً الاخبار كما في مؤلفات ابـن شبـة ومنها: أخبار مكة وأخبار البصرة وأخبار المدينة وقد طبع باسم تاريخ المدينة المنورة [٣٢] وخلالها نعثر على السيرة الغيرية.وفي كتب التراجم نلاحظ الاشـارات الى اطلاق تسـمية الترجمة الشـخصية التي تعرف اليوم بالترجمة الذاتية مما دفع كارل بـروكلمان ان يسمي بحـثه:- ما صنف علماء العرب في احـوال أنفسهم؛وقد نشره صلاح الدين المنجد في:- المنتقى من دراسات المستشرقين ، ويبـدو أن اول من ترجمَ لنفسه الواقدي محمد بـن عمر ١٣٠-٢٠٧ هجرية حيث ذكر بعضاً من أحواله لتلميذه ابن سعد صاحـب الطبقات[٣٣] وغالبـاً ما كانت تكتب هذه الاجزاء من السيرة عندما يبلغ العالم او الاديب مرحـلة النضج العلمي ويذيع علمه وفكره بين الامصار؛ وهذا الضرب من التوجه

لابد له من مسوغ يدفعه للاعلان منها:-

اولاً: المتعة في التذكر حتى لايطويها النسيان.

ثانياً:تجلى معاني الحـياة والافادة منها في مجال عرض تجربـته أمام المجتمع وكيفية كفاحـه وما شاهده من مواقـف واحـداث مسـتمدة مادتها من الواقع.

ثالثاً:أنَّ المجتمع اسلامي يتبع ما يريده الله وما وجه به رسوله، فكانت الاوامـر تتجه نحو افشـاء العلم والافادة من العلماء وبما ان السيرة تشـكل الجانب الاغلب منها المناحي الايجابية النبيلة عند الاعلام لذا سعى العلماء الى الترجمة عن انفسهم اوعن غيرهم [٣٤] التى اوصلتهم الى ما آلت مكانتهم على أن لاتكـون فيها تزكية للنفس لأن النفس لا يزكيها إلا الله فمالت هذه السير الى الابـتعاد عن المغالات والنرجسـية وعرض السيء امتثالاً لقـوله تعالى:-[لايُحِبُ اللهُ الجَهْرَ بالسُّوِ مِنَ القَولِ][٣٥]حتى لايكون السوء دعوة للرذيلة وما نراه اليوم من نشر السـير الذاتية التى تعتمد الفضائح والمغامرات السرية المنافية للشريعة وهذا ما انمازت بـه السِّيرالغربـية حـتى الـعصر الحديث أمّـا العربية فنستثني نتفاً. ومن أراد البحث في التراث العربي والاسلامي سيجد كما هائلاً من هذا النوع الذي اطلق عليه التراجم ، فنجد العالم يتحدث عن حياته العلمية ونشـأته وماله من آثار ومؤلفات وفي تدريسه وتعليمه والافتاء ، وما أصابه من تقلد الامور فهي تبدأ من نشأته حتى ساعة الكتابـة عنه موضحا المؤثرات التى قادته أن يسـلك هذا الطريق ويصل الى ما وصل إليه ؛ وقـد عبـر العلماء عن رغبتهم في اذاعة انفسهم عن طريق التراجم فقـال: الامام البخاري في صحيحه بما يمكن اعتماده (قـال ربيعة: لاينبغي لأحد عنده شـيء من العلم أن يضيع نفسه وقد وضعه في باب وضع العلم وظهور الجهل، وعلق الحافظ في المراد من قول ربـيعة أن يشـهر

العالم نفسه ويتصدى للأخذ عنه لئلا يضيع علمه)[٣٦]

وما وجدناه من الذين ترجموا لأنفسهم في التراث:-

١- **ابن الداية**: احمد بن أبي يعقوب بن يوسف البغدادي توفي سنة ٣٤٠هجرية ترجمه ياقوت في معجمه [٣٧] وذكر مؤلفاته ومنها:- كتاب ترجمته.

٢- **العطار**:- محمد بن الحسن بن يعقوب العطار المقرئ توفي سنة ٣٥٤هجرية قال عنه ياقوت في ترجمته [٣٨]له في معجمه في تعداد لمؤلفاته:وكتاب أخبار نفسه.

٣- **التوحيدي**:- ابو حيان علي بن محمد بن العباس المتوفى سنة ٤٠٠ هجرية، ذكرياقوت في معجمه [٣٩] انه ذكر اشياء عن نفسه كما ذكره السيوطي[٤٠] وفي كتابة الصداقة والصديق سجل سيرة تكشف عن طبيعة المجتمع.

٤- **ابن سينا**: الحسين بن عبد الله بن سينا ابو علي الفيلسوف توفي سنة ٤٢٨هجرية، نقل عنه تلميذه ابوعبيد الجوزجاني ما حكاه هو عن لسانه فقد ذكربن ابي أصيبعة في موسوعته[٤١] [وهو إن كان أشهر من أن يذكر وفضائله أظهر من أن تسطر فانّه قد ذكر من أحواله ووصف من سيرته ما يغني غيره عن وصفه] ونعرض جزءاً من هذه السيرة اذ نقل الجوزجاني عنه: [قال الشيخ الرئيس أن ابي كان رجلاً من أهل بلخ وانتقل منها الى بخارى في ايام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف وتولى العمل اثناء ايامه بقرية يقال لها أفشنه وتزوج ابي منها بوالدتي وقطن بها وسكن وولدت منها وبها ولدت أخي ثم انتقلنا الى بخارى وأحضرت معلم القرآن ومعلم الادب وأكملت العشر من العمر وقد اتيت على القرآن وعلى كثير من الادب حتَّى كان يقضي مني العجب، وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعدَّ من الاسماعيلية، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم، وكذلك أخي وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا أسمعهم وأدرك ما يقولون ولا تقبله نفسي وابتدأوا يدعونني ايضاً إليه..][٤٢]ويبدو من مجمل سيرته انّه عالج نفسه بنفسه بوصفه طبيبا وعندما اصبحت المداواة لاتنفع قال عبارته المشهورة: (المدبر الذي كان يدبر بدني قد عجز عن التدبر والان فلا نفع لمعالجة) وبقي ايامه على هذا الحال ثم توفي تاركاً ما يربو على (١٢٧) كتاباً ورسالة،وهذا النص المذكور انفاً يعبر عن نفسه بسيرة ذاتية كان يتحدث بها بصيغة المتكلم إذ يبدأ بنسبه لأبيه وولادته ونشأته بطريقة سردية مفعمة بالحس الادبي و اللقطات الفكرية لما يسجله من ملاحظات لاسيما ما جاء منها عن ابيه ومعتقده[٤٣].

٥.**الداني**:عثمان بن سعيد بن عثمان الداني المقرئ توفي سنة ٤٤٤هجرية وذكر ياقوت أنه نقل ترجمته عن نفسه عن نسخة له بخطه فذكر منها قطعة.[٤٤]

٦.**عبد الله بن بلقين**:آخر أمراء بني زيري في غرناطة، تولى امرتها سنة ٤٤٦هجرية، ورد ذلك في كتابه: التبيان عن المحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة[٤٥]

٧.**ابو حامد الغزالي**، محمد بن محمد المتوفي سنة ٥٠٥هجرية ترجم لحياته العقلية في كتابه، المنقذ من الضلال[٤٦]

٨.**ابن القطاع**: ابو القاسم علي بن جعفر البغدادي الصقلي اللغوي صاحب كتاب الافعال المتوفى سنة ٥١٤ هجرية ذكر ابن العماد أنه ترجم لنفسه في اواخر كتابه، الدرة الخطيرة. في شعراء الجزيرة[٤٧].

٩ـ**عبد الغافر بن اسماعيل**: المتوفى٥٢٩هجرية ترجم لنفسه في كتابه السياق في تاريخ نيسابور[٤٨].

١٠ـ**علي بن زيد البيهقي**: المتوفى سنة٥٦٥ هجرية في كتابه مشارب التجار، وقد ذكر ترجمته لنفسه ياقوت نقلاعن كتابه المذكور انفا[٤٩].

١١ـ**عمارة بن عليّ الحكميّ اليمني**، المتوفى سنة ٥٦٩ هجرية في كتابه المسمى: النكت العصرية في أخبار الوزارء المصرية، مثَّل هذا الكتاب سيرته الذاتية بوصفه علماً من أعلام السياسة في عصره[٥٠].

١٢ـ**أسامة بن منقذ الفارسي**: الذي عرف بحروبه ضد الصليبيين المتوفى سنة٥٨٤ هجرية والف سيرة لحياته في كتابه:الاعتبار طبع الكتاب١٩٩٥م[٥١].

١٣ـ**أحمد بن عليّ بن المأمون النحوي**: المتوفى سنة ٥٨٦هجرية ذكرياقوت ترجمته لنفسه[٥٢].

١٤ـ**العماد الاصفهاني** : ابوعبد الله محمد بن محمد بن حامد المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية ترجم لنفسه في كتابه،البرق الشامي[٥٣]، وقد بدأ الكتاب بسيرته وتنقله بين الامصاروعلاقته بالسلاطين في عصره.

١٥ـ**ابوشامة المقدسي**: شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المتوفى سنة ٦٥٦هجرية ألّف كتاباً سماه: الروضتين في أخبار الدولتين وجعل له ذيلاً ترجم لنفسه فيه في حديثه عن سنة٥٩٩ هجرية وهما مطبوعان.

هذه المصنفات التى ذكرت مثلت جزءا من السيرة الذاتية التى كتبها مؤلفوها وآثرنا التوقف بنهاية الدولة العباسية وسقوط الخلافة ، ولايعني توقف الكتابة في هذا الضرب من الفن ثم توالت التراجم فيما بعد ومن ابرز الاعلام:ابن سعيد المغربي وابوالفداء الايوبي وافتخار الدين جابر بن محمد بن محمد الخوارزمي والذهبي وابن فرحون ولسان الدين ابن الخطيب وابراهيم ابن جماعة وابن خلدون والشمس العيزري والعز ابن جماعة والفاسي وابن الجزري وابن حجر العسقلاني وابراهيم ابن أحمد المقدسي وعبدالرحمن ابن مخلوف الثعالبي والبقاعي والسخاوي ومحمد ابن محمد المزي ، والسيوطي ومحمد ابن طولون والشعراني وابو الربيع المالكي وابو عبد الله القرشي وابن ابي منصور وبابا التنمبكتي وابن الاهدل والعيدروس والحكمي ونجم الدين الغزي والشهاب الخفاجي وبن سالم العمري والمحبي والعجيمي والمنقور واحمد بن قاسم البوني ومحمد بن مصطفى الغلامي ومحمد بن الطيب القادري ومحمد بن احمد المعسكري والشوكاني والالوسي والطهطاوي رفاعة واللكنوي ابوالحسنات واحمد فارس الشدياق والدمنتي البجموعي ومحمد صديق خان وعلي مبارك ومحمد عبده وابو الهدى الرفاعي وأحمد بك الحسيني

وأحمد شوقي ومحمد رشيد والطهطاوي أحمد رافع ومحمد حبيب الله بن أحمد و مصطفى بن حسن بن أحمد وعبد الحي بن عبد الكبير وأحمد أمين وراغب الطباخ ومحمد كرد علي الدمشقي وخليل السكاكيني ومحمد رضا الشبيبي ومحمد البشير بن عمر و الزركلي ومحمد وحمد مخلوف وطه حسين وعبد الرحمن الرافعي وأحمد بن محمد بن الصديق وعبدالحق بن محمد الهاشمي وعبد الله بن محمد الغماري وعبد العزيز بن محمد الغمري.

ونجد فيما بعد ظهور مصطلحات استعاضت عن مصطلح السيرة وما انضوى تحت جناحه في التراث، أمّا في العصر الحديث فقد شاعت السيرة الذاتية في الغرب وما تقدم ينفي أن السيرة ولدت في الغرب قبل ظهورها في التراث العربي[٥٤]،ولكن نجد أن المشرق تأثر بها من حيث العنوان المتجسد في المصطلح فمنها مذكرات، للشاعر أحمد شوقي المتوفى سنة ١٣٥١ هجرية، كما اشار الى المصطلح مصطفى بن حسن ابن أحمد بن عبد الرزاق المتوفى سنة١٣٦٦ هجرية في مقالاته تحت عنوان مذكرات مسافر ومذكرات مقيم ومذكراته اليومية التى نشرت في الصحف المحلية تحت عنوان مذكرات الشيخ الفزاري (×)، وكذلك محمد كرد عليّ الدمشقي في: مذكرات كرد عليّ وعبد الرحمن الرافعي في:مذكرات، وجدنا آخر يطلق عليها بالضمير الذي يتكلم به كتاب السيرة الذاتية نحو: أنا دنيا، لخليل السكاكيني الفلسطيني و محمد البشير بن عمر الابراهيمي المغربي بعنوان:- أنا، والمنشورة في مجلة مجمع اللغة العربية بمصر؛ ومنهم من ربط السيرة بالعامل الزمني فأطلق عليها: الأيام، لطه حسين وهي في ثلاثة أجزاء، ومنهم من مزج بين معتقده ومصطلح الترجمة نحو عبد الحق بن محمد الهاشمي المحدث الهندي وكانت بعنوان: هذه عقيدتي وترجمتي،وهي مطبوعة ضمن رسائله؛ وعند آخر بعنوان: الاعترافات لعبد الرحمن شكري، اما عند نوال السعداوي: اوراق حياتي؛ وعند فاطمة البية: حديث العتمة؛ وعند أحمد أمين: حياتي وعند فدوى طوقان: رحلة جبلية، أنّ هذا التنوع المذكور انفاً يعود لمرونة اللغة العربية ونشاط كتابها اللغوي فكانت هذه المسميات تفصح عن السلوك البشري المجسد للحياة بالكشف عن دواخله منطلقين من أسس السيرة ومنهجها نحو جزئيات تنضوي فيها، سواء أكانت بشكل يوميات اومذكرات اواعترافا ت، وقد ذهب بعض الباحثين الى أن هذه الاشكال تدخل ضمن اليوميات لأنها تفتقد المنظورالاستعادي والحوادث التى تسردها تكون معاصرة لعملية تسجيلها والسرد فيها متزامن اوقريب من التجربة[٥٥] أكثر من غيرها ولكن هذه السمة هي من طبيعة العصر الحديث ومؤثراته على الذاكرة الانسانية ولكنها تصور مرحلة بعينها من تاريخ الشخصية وبذلك فهي جزء من السيرة الذاتية ولكن الرغبة بأعادة كتابة ما تم مشاهدته خلال الايام القريبة من لحظة الكتابة هي محاولة للسيطرة على أكبر قدر ممكن من

الجزئيات التي من الممكن أن تنسى بفعل تقادم الزمن ومشاغل الحياة المعاصرة، وهي ليست مشاهد مستقلة تتكئ على الزمن الحاضر كما اعتقد بعض الكتاب[٥٦] ولكنها تجعل المتلقي متلهفاً لمتابعة ما سيكون وهذه من سمات العصر.

ومن هنا بدأ الاستقراء في أنواع السيرة وكيفية تقسيمها، وهل هي داخلة ضمنها ؟ ومتى، تتحقق؟ وماهي الاشكال التى تتضمنها؟ وهذا ما ستراه الاجيال اللاحقة إن شاء الله، وما هذه الانواع التي ذكرت إلا ولها سماتها وأبعادها في الشكل و المضمون ولكنها عموماً تندرج ضمن الحاضنة الاصطلاحية التي اطلق عليها ادب السيرة مع اعتقادنا انها تتداخل مع الاشكال الادبية الاخرى كما يمكن أن نتلمس الجوانب الادبية لهذا الفن في ضروبها الاخرى كالسير التاريخية والدينية والفكرية وهذا النتاج لايمكن أن يتم إلاّ من خلال شبكة من الالفاظ تسمح له بنقل السيطرة على اللغة الى السيطرة على ما يسرده والذي يتضمن نسبة تتفاوت من عمل الخيال الرابط لاحداثه بتفاصيله الدقيقة لإعادة بنائه في السياق بما يختاره السارد من الصفات والافعال التى يراها مناسبة للتعبير عن ذاته او عن غيره من الشخصيات.

ويبدو مما تقدم اثر ظهور مصطلح السيرة في التراث العربي والذي تناغمت وانصهرت وتزاوج معه مصطلحات اخرى، وما هذا التعدد والتحول والاستخدام إلاّ لانّها تملك تاريخاً خاصاً بها بيد انها تبقى اسيرة لما هو اعم واشمل وهذا الاستيعاب هو: الوعي بالمصطلح وما اثاره من اشكالية عبر العصور وهو ايضاً وعيٌ بالذات والهوية وهذا لايتم الا إذا كانت هناك مثاقفة فكرية تنماز بموسوعية التفكير والكتابة، ولذا علينا ان نقف عند أولية التنظير لمنهج السيرة.

أولية منهج السيرة في التراث العربي:-

بدأت السيرة النبوية بالظهور وبدأ معها تجسيد مفهومها، وعند نظرتنا الى نص ابن هشام وتحديده لمنهجه في تهذيب سيرة بن اسحاق سنقف على المحاور التى نستقريها من تقديمه للسيرة إذ قال:[أنا – إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله– صلى الله عليه وسلم–من ولده وأولادهم لأصلابهم الاول فالاوّل من إسماعيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعرض من حديثهم، وتاركٌ بعض ما يذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له ولا شاهداً عليه لما ذكرت من الاختصار][٥٧] ؛إنّنا نستنتج بل نحدد المنهج العام والموضوعي على وفق رؤية ابن هشام لأنه لم يكن مفسراً او شارحاً وهذا يعني لنا قدرة في نظرته الى نص ابن اسحاق بروح نقدية لاقطة حتى يرتفع به الى مستوى ارتباط السيرة بالشخصية التى تمثلها وهو ضرب من التقييم الفني

للنص، لذا علينا تحديد ما يمكن ان نستقـريه ضمن المحاور الآتية:-

المحورالأول: ـ وضح النص كل ما يتعلق بشـخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بدءاً من القرآن الكريم والسنة وما بقي من نصوص الوحي القـديمة التى بشرت به.

المحورالثاني:ـ ما نزل فيه من القـرآن شـيء، وهذا يجعل القرآن شاهداً على وقائع الرسـول- صلى الله عليه وسلم -بما فيها الاحداث التي رافقته، ولما لها من تدخل في أسباب النزول لتعلقها بالأحوال المنشئة لها، ففي القرآن من السـيرما يمكن الكشـف عنه سواء أجاء على جهة التصريح او الاشارة.

المحورالثالث:ـ استناداً لما تقدم في نص ابـن هشـام يدخل ضمن هذا المنهج كل من ألّف وصنّف متـون السيرة النبوية[٥٨].

المحورالرابع: ثبت هذا النص لهذا الفن وجود شخصية محورية لها مكانتها الاجتماعية والدينية والقـيادية وهي بذلك تكون موضع اهتمام وتقدير المجتمع.

المحورالخامس:ـ إنَّ هذه الشخصية المحـورية يجب التركيز عليها ولا يجوز التطرق الى أحداث ووقـائع بعيدة عنها ولاتمت بصلة لها ورفض الاستطراد عند الحديث.

المحورالسادس:ـ يبدو أنّ العامل الزمني محدد إذ يبدأ النص عن نسبه وأصله بالتتابـع وصولاً الى حـياة الرسول – صلى الله عليه وسلم- فأحاديثه ومواقفه حتى وفاته.

إنَّ هذه المحاور التى استقريناها من تقديمه للسيرة يمكن ان تضعه بوصفه الرائد في وضع المنهج العلمي الدقيق للسيرة على وفق ما ذكره في تمهيده، أمّا إذا أضفنا إليها من زاد في هذا المنهج كما رأينـا عنـد الامام الكلاعي لاسيما في معرض حديثه وثنائه على ابن اسحاق قال :- [فأنَّه الذي شرب ماء هذا الشأن فأنقع، وحـلَّ كتابـه من نفوس الخاص والعام أجل موقع وإلاّ انّه تخلّلته أشياء من غير المغازي تقـدح عند الجمهور في إمتاعه وتقـطع بـالخواطر المستجمعة لسماعه] ونظرة على هذا النص نضيف إليها المحورين التاليين:-

المحورالسابع:ـ يشـير الامام الكلاعي الى ضرورة التواصل بين كاتب السيرة الباث و المتلقي فكل كلام خارج اطار الشـخصية وما يدور حـولها يؤدي الى قطع الصلة في متابعة أحداثها ولا سـيما في قـوله (تقطع بالخواطر المستجمعة لسماعه).

المحورالثامن:ـ دخلت في إطار هذا المصطلح او ربما رافقته مصطلحـات أخرى منها مـا ذكره الكلاعي كالمغازي، فهي جزء من السيرة لكون السـيرة أعم وأشمل.

المحورالتاسع:ـ نستقرأ منه أن كاتب السيرة قـد فهم واجاد الكتابة وذلك لما تركه كتابه من اثر في نفوس المجتمع عامة،وهذا يعود الى ثقـافته وإلمامه بالوقـائع ودقائقـها وهي من مقـومات هذا الفن النثري. ومما تقدم نرى أطوار نضج مصطلح السيرة

وسموقه ودقته في التعبير واحتواءه للعديد من انواعها التى ظهرت لاسيما في العصر الحديث نتيجة تأثرها بالادب الغربي الذي اندرجت ضمنه، ويظهر لنا انّ ابن اسحاق قد حقق معنى السيرة لكن ابن هشام قد وضع المفهوم خلال رسمه لمنهجه لان القصد عنده واضح والذي يخرج عنه لاتتحقق لديه الغاية المطلوبة لهذا الفن، ومما كشفه البحث المؤثرات التى ادت الى تعدد التسميات الاصطلاحية المتمثلة بتعدد عنوانات السيرة وقد تحقق ذلك بعد عرض الدلالات اللغوية وصولاً الى تحقيق المعنى ومن ثم وضع المفهوم بعد تنقيته من الشوائب التى ربما تثير معالم الاشتباك مع النصوص النثرية الاخرى وتؤكدها وما الامثلة التى سيقت في البحث إلاّ نماذج توضيحية لتلك الاشكالية التي لازمته، والمصادر التى ورد ذكرها تدل على جذور هذا الفن في الادب العربي منذ قرون وكما يمكن دراسة هذه المصادر على وفق منهج السيرة الذي تم تحديده.

الهوامش

١ .سورة النساء جزء من الآية ١٠٣ .

٢ .المزهر في علوم اللغة ١/ ٢٣١، طبعة دار احياء الكتب العربية القاهرة.

٣ .الديوان رقم القصيدة(٥) البيت٤٩ ،طبعة آلوارد.

٤ .ينظر:علم الاد ب،الجزء الاول:٧-١٢ ،لويس شيخو الطبعة الثانية.

٥ .تاريخ الادب العربي-العصر الجاهلي ٧.

٦ .عن هذا التطور والتفرع وصولا الى نضجه ينظر المصدر السابق ٧ - ١٠.

٧ .لسان العرب:مادة سير.

٨ .سورة طه جزء من الاية ٢١ .

٩ .الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل،الزمخشري ٣/ ٤٥ دار الكتب العربية بيروت ٢٠٠٨.

١٠ .سورة القصص الآية ٣١ .

١١ .لسان العرب مادة:سير.

١٢ .ينظر: التعريفات،الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت ٣٧٨.

١٣ .تعد هذه من السير الحكائية او يطلق عليها بالسير الشعبية وهي تمثل انموذجاً لحل العقده التى تقابل القوى الغيبية التى تتحكم في البيئة التى لايمكن مواجهتها إلا بهذه الطريقة .

١٤ .ينظر: فن السيرة الشعبية دراسة فنية نقدية فاروق خورشيد ومحمد ذهبي ٢٤ وما بعدها.

١٥ . ينظر: شرح نقائض جرير والفرزدق ١٣٨ .

١٦ . ينظر: الفهرست ـ المقالة الثالثة الفن الاول .

١٧ .الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام،عبد

الله بن أحمد الخثعمي السهيلي،دار المعرفة ٢٢ .
١٨ . ابو بكر محمد بن اسحاق بن يسار المدني ولد في المدينة٨٥هجرية وتوفي في بغداد، ينظر: الاعلام:- ٢/ ٢٤ .
١٩ .ابو محمد عبد الملك بن ايوب الحميري البصري المؤرخ والعالم بالانساب واللغة ولد بالبصرة وتوفي ٢١٣هجرية ينظر: الاعلام ٢/ ٢١١ .
٢٠ .ينظر: معرفة علوم الحديث،الحاكم ١٣٨ .
٢١ .ينظر: لسان العرب مادة غزا.
٢٢ .فتح الباري ١٤/٦ .
٢٣ .ينظر: صحيح البخاري ـ مناقب الانصار ٧.
٢٤ .لسان العرب:مادة شهد.
٢٥ .الديوان:١٧ .
٢٦ .الصحاح: مادة نظم.
٢٧ .وينظر:الطبقات ابن الخياط،ابو عمرو خليفة بن خياط المتوفى ٢٤٠هجرية،تحقيق سهيل زكار،مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي دمشق ١٩٦٦م.
٢٨ .ينظر: طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي ابو عبد الله ٢٣١هجرية، تحقيق محمود شاكر، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٧٤م.
٢٩ .ينظر: طبقات الاطباء ابن ابي اصيبعة احمد بن القاسم المتوفي سنة ٦٦٨هجرية تحقيق نزار رضا مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥م. وطبقات الاطباء والحكماء ابن جلجل ١١٦ .
٣٠ . يعد عمارة بن علي الحكمي اليمني من ذوي الرتب السياسية ولم يعد من العلماء وألف كتاباً اسماه:- النكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية، ويمثل هذا الكتاب سيرته الذاتية وحياته السياسية ينظر: المنتقى من دراسات المستشرقين نشرها صلاح الدين المنجد، ١/١٨ـ٢١ بحث كارل بروكلمان.
٣١ .عن هذه التراجم ينظر:ـ الاعلان بالتوبيخ ، احمد السخاوي ٣٦٩ـ ٣٨٣ .
٣٢ .ينظر: تاريخ المدينة المنورة ابن شبه النمري البصري تحقيق حبيب محمود احمد،دار الفكر مطبعة قدس ٤٩ .
٣٣ .المغازي ، ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي ١٣٠ـ ٢٠٧هجرية تحقيق مارسن جونس،عالم الكتب ٨٦ .
٣٤ .ينظر: ما نشره صلاح الدين المنجد في: ـ المنتقى من دراسات المستشرقين ٢٣/٣/١ .
٣٥ . سورة النساء جزء من الآية ١٤٨ .
٣٦ .الفتح الباري،بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الكناني ٧٧٣ـ٨٥٢ هجرية.
٣٧ .ينظر: معجم الأدباء ١٥٣/٥ـ ١٥٤ .
٣٨ .المصدر السابق ١٥٣/١٨ .
٣٩ .المصدر السابق ٦/٨ـ ٨ .
٤٠ .بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار الفكر للطباعة والنشر ٥٩ .
٤١ .عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق د.عامر النجار، النهضة المصرية العامة للكتاب ٣٠ .
٤٢ . عيون الانباء في طبقات الاطباء ابن ابي اصيبعة ٣٠ .
٤٣ .المصدر السابق ٤٥٧ .
٤٤ . معجم الادباء١٢/ ١٢٤ـ ١٢٨ .
٤٥ .صنفها عبد الله بن بلقين بن باديس بن حيوس نشرها د. علي عمر،القاهرة مكتبة الثقافة ٢٠٠٦، ونشرها وحققها المستشرق ليفي بروفنسال تحت عنوان: مذكرات الامير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة، الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة ٢٠٠٨ .
٤٦ .المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال،نشره محمد اسماعيل حزين وشذا رائق عبد الله،موقع الفلسفة الاسلامية ٣٢٠ .
٤٧ .الشذرات ٤/ ٤٦ .
٤٨ .ذكر ابن طولون أنه ترجم لنفسه ينظر: الفلك المشحون.

٤٩ .معجم الأدباء ٢٠٨/٥ .

٥٠ .ينظر: المنتقـى من دراسـات المستشرقـين،بحث كارل بروكلمان٢ ١٨/١-٢١ .

٥١ .حققه ونشره د . عبد الكريم الاشتر،المكتب الاسلامي

٥٢ .معجم الادباء ١٧٥/٤ .

٥٣ .حققـه د. فالح حسين،مؤسسـة عبـد الحميد شـومان ٧٦،عمان الاردن ١٩٨٧م.

٥٤ .ربـط عدد غير قـليل من الباحـثين في السـيرة الذاتية الغربية التي ووصفوها بـالجريئة خلو المجتمع العربـي منها الى قساوة المجتمع وتمسكه بالتقاليد، وقد نـسوا الاثر الديني وتوجهه نحو الابـتعاد لكل ما يسـئ ويمهد للانحلال عن طريق الترويج للبـوح باللحـظات الخاصة والحميمية، وقـد ذكرنا هذا السبب انفاً، وربـطوا الابـداع بـهذه الجرأة، ينظر: د.مها فائق العطار:السـيرة الذاتية في الادب العربــي، مجلة الموقف الادبـي العدد٣١٣أيار١٩٩٧م اتحاد الكتاب العرب دمشـق ص١٣٤ ؛والسـيرة الذاتية:تعريب عبـدالله صولة ومحمد القاضي،بيت الحكمة ١٩٩٢م ص٢٩وما بعدها؛اما من الغرب فنذكر قـول جان جاك روسـو في اعترافاته" (ابـدأ الآن مشـروعاً لم يسبـق من قبـل..) ينظر: اعترافات جان جاك روسـو ترجمة محمود بـدر الدين خليل الشـركة العربـية للطباعة والنشر القاهرة الطبـعة الاولى ١٩٦١م ص١٥ .

(×)عن الكتاب والاعلام المذكورين او الذين سـيذكرون ينظر الاعلام للزركلي او بـالعودة الى مؤلفاتهم المذكورة في المتن.

٥٥ .ينظر:عندما تتكلم الذات ـالسـيرة الذاتية في الادب العربـي الحديث :د. محمد البـارودي،اتحاد الكتاب العرب، دمشق٦٣ .

٥٦ .المصدر السابق.

٥٧ .السيرة النبوية،ابن هشام ٤/١ .

٥٨ .من المصادر في هذا النوع ينظر:- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد الخثعمي السـهيلي المتوفى ٥٨١هجرية ٨٧، بـيروت دار المعرفة ١٩٧٧م.

ثبت المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١ .الإعتبار، مؤيد الدين، أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكلبي الشيزري المتوفى ٥٨٤هجرية، تحقيق د .عبد الكريم الاشتر المكتب الاسلامي.

٢ .إعترافات جان جاك روسو، ترجمة محمود بدر الدين خليل، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦١م.

٣ . الاعلام،خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ١٣١٣هجرية.

٤ . الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المتوفى ٩٠٢هجرية،تحقيق المستشرق فرانز روزنثال ترجمة التحقيق د.صالح أحمد العلي مؤسسة الرسالة،بيروت١٤٠٧هجرية /١٩٦٨م.

٥ . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،جلال الدين السيوطي،تحقيق محمد ابو الفضل دارالفكر الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

٦ .البرق الشامي، العماد الاصفهاني،عماد الدين محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين، مؤسسة عبد الحميد شومان،عمان الاردن ١٩٨٧م.

٧ . تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دارالمعارف الطبعة الثالثة.

٨ . تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة النمري البصري، تحقيق حبيب محمود أحمد، دار الفكر مطبعة القدس.

٩ . التبيان عن المحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، عبد الله بن بلقين، نشرها د.علي عمر، القاهرة مكتب الثقافة ٢٠٠٦م.

١٠ .التعريفات،الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت

١١ . الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة،علي بن جعفر، بن القطاع، تحقيق بشير البكوش دار الغرب الاسلامي الطبعة الاولى ٢٠٠٥م.

١٢ . ديوان حسان بن ثابت، عبد مهنا، دار الكتب العلمية ١٤١٤هجرية /١٩٩٤م.

١٣ . ديوان طرفة بن العبد تحقيق مهدي محمد المكتبة العلمية بيروت ٢٠٠٢م.

١٤ .الروض الانف في تفسير السيرة النبوية،عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي، دار المعرفة بيروت ١٩٧٧م.

١٥ . السيرة الذاتية، تعريب عبد الله حوله ومحمد القاضي، بيت الحكمة ١٩٩٢م.

١٦ . السيرة الذاتية في الادب العربي،مجلة الموقف الادبي العدد ٣١٣لسنة ١٩٩٧م اتحاد الكتاب العرب.

١٧ . السيرة الذاتية في الادب العربي الحديث، د. محمد الباوردي، اتحاد الكتاب العرب مؤسسة عبد الحميد شومان،عمان الاردن١٩٨٧م.

١٨ . شذرات الذهب في أخبار من ذهب،أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي، دار ابن كثير الطبعة الاولى ١٩٨٦م.

١٩ .شرح نقائض جرير والفرزدق، رواية اليزيدي عن السكري عن ابي عبيدة، تحقيق د.محمد ابراهيم ود. وليد محمود خالص. المجمع الثقافي،ابو ظبي ١٩٩٨م.

٢٠ .الصحاح، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفار عطاردار العلم للملايين بيروت، ١٩٩٠م.

٢١ . الصحاح،الجوهري،تحقيق أحمد عبد الغفار عطار دار العلم للملايين،بيروت ١٩٩٠م.

٢٢ . صحيح البخاري،محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري المتوفي ٢٥٦هجرية تقديم احمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي،دار ابن الهيثم ٢٠٠٤م.

٢٣ . الطبقات، ابن الخياط ابو عمرو خليفة العصفري

المتوفى ٢٤٠ هجرية تحقيق د.أكرم ضياء العمري،مطبعة العاني ١٣٨٧هجرية/ ١٩٦٧م.

٢٤ . طبقات الاطباء، ابن ابي اصيبعة، أحمد بن القاسم تحقيق نزار رضا،مكتبة الحياة بيروت ١٩٩٥م.

٢٥ . طبقات الاطباء والحكماء، ابن جلجل الاندلسي المتوفى ٣٧٧هجرية تحقيق فؤاد سيد مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥م.

٢٦ . طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي،تحقيق محمود شاكر الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٤م.

٢٧ . علم الادب، الجزء الاول، علم الانشاء والعروض، لويس شيخو مطبعة الاباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٧م.

٢٨ .عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق د.عامر النجار، النهضة المصرية العامة للكتاب.

٢٩ .فتح الباري بشرح صحيح البخاري،أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٣ هجرية، تحقيق عبد القار شيبة ، الطبعة الاولى ، دار الريان للتراث ١٤٠٧هجرية / ١٩٨٦م

٣٠ .الفلك المشحون في احوال محمد بن طولون المتوفى ٩٥٣هجرية مطبعة الترقي دمشق ١٣٤٨هجرية.

٣١ .الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ابن النديم محمد بن ابي يعقوب ، تحقيق أيمن فؤاد السيد،مؤسسة الفرقان ، لندن١٤٣٠هجرية/٢٠٠٩م.

٣٢ . الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار الكتب العربية بيروت.

٣٣ . لسان العرب،ابن منظور،طبعة دار الحديث،القاهرة ٢٠٠٣م.

٣٤ .مذكرات الامير عبد الله آخرملوك بني زيري بغرناطة ــ المسماة بكتاب التبيان ــ عبد الله بن بلقين بن باديس بن حَبُوس بن زيري، تحقيق ليفي بُروفنسَال،دار المعارف بمصر.

٣٥ .المزهر في علوم اللغة وانواعها،السيوطي، الناشر محمد سعيد الرافع، المكتبة الازهرية ١٣٢٥هجرية.

٣٦ .معجم الادباء، ياقوت الحموي ٥٧٤- ٦٢٦ هجرية، تحقيق د أحسان عباس دار الغرب الاسلامي.

٣٧ .معرفة علوم الحديث، الحاكم ابو عبد الله النيسابوري المتوفى ٤٠٥ هجرية تحقيق معظم حسين، دار الكتب العالمية بيروت.

٣٨ .المغازي، ابو عبدالله محمد بن عمر الواقدي المتوفى ٢٠٧هجرية، تحقيق مارسدن جونس،عالم الكتب للطباعة والنشر١٩٧٦م.

٣٩ .المنتقى من دراسات المستشرقين،نشرها صلاح الدين المنجد، بيروت.

٤٠ .المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال، ابوحامد الغزالي، تحقيق محمد اسماعيل وشذا رائق اعاد نشره موقع الفلسفة الاسلامية.

تناصُ الشعرِ الجاهليِّ مع القُرآنِ الكريمِ

أ. د.عبداللطيف حمودي الطائي
جامعة بغداد ــ كلية الآداب

المورد
العدد
الثالث
السنة
٢٠١٥

الموارد الثقافية للشاعر العربي قبل الإسلام؛ كثيرة ومتنوعة؛ تنبع من منابع متعددة؛ منها ما هو معلومات عامة تمثلت في معارف البوادي؛ وثقافة الحواضر ، ومنها ما كان يتناقله أبناء الجزيرة العربية عن آبائهم وأجدادهم؛ جيلاً عن جيل من مكارم الأخلاق والمروءات؛ وأخبار الأسلاف؛ ولاسيما أخبار الأمم والأقوام والقبائل البائدة التي سكنت الجزيرة العربية قبل العرب؛ مثل أقوام نوح ، ولوط ، وتبع؛ وقبائل عاد، وثمود ، وإرم ، وطسم ، وجديس وغيرها فضلاً عمّا تأثروا به من ثقافات الأمم المجاورة لهم؛ مثل الفرس والروم والأقباط والأحباش ؛علاوة على ذلك ما ترشح عندهم من الثقافات الدينية التي كانت شائعة في الجزيرة العربية مثل الديانات الحنيفية ؛ وهي بقايا ديانة إبراهيم الخليل(عليه السلام) ؛ واليهودية ؛ والنصرانية؛ وغيرها من الديانات؛ لذلك تعددت موارد ثقافة الشاعر العربي الجاهلي ، وكان للثقافة الدينية دور مهم؛ ذلك لأنَّها مثلت المعين الأكبر؛ الذي رفد الشعراء بكثيرٍ من المفاهيم والمعلومات والأخبار التي أكدها القرآن الكريم عند نزوله؛ وكأنَّ الشاعر الجاهلي يُحاكي القرآن الكريم فيما يقول؛ وقد ظهر أثر تلك الثقافات الدينية في الشعر العربي الذي سبق الإسلام بصورة واضحة وجلية؛

ولو حذفنا أسماء الشعراء؛ وعرضنا شعرهم على القراء والنقاد لقالوا: هذا شعرٌ إسلاميٌّ؛ وليس لشعراء جاهليين؛ لذا فعندما نقرأ الشعر الجاهلي ونتعمق فيه؛ نجد كلَّ مكارم الأخلاق التي جاء بها الإسلام؛ قد تمثلت فيه؛ فضلاً عن تطابق كثير من المفاهيم والقيم التي جاءت في القرآن الكريم؛ مع ما قاله الشعراء الجاهليون؛ وهذا ما يُعرف اليوم بالتناص وهو [1]: (يمثل العلاقة بين نصين أو أكثر؛ وهي التي تؤثر في قراءة النص المتناص)؛ فيما عرفه الأستاذ محمد عناني [2]: بـ (تعالق النصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة)؛ وأضافت الدكتورة بشرى عبد عطية [3]: (إنَّ التناص بصورة عامة لا يقوم على مبدأ إلغاء الحدود الفاصلة بين النص والنصوص التي يُضمنها المبدع النص الجديد)؛ والتناص قد يكون متطابقاً تماماً بين نصين في لفظِ القولِ ومعناه؛ أو قريباً منه؛ وقد يكون تطابقاً في الأفكار؛ وهذا ما قالت به جوليا كرستيفا [4]: (ففي فضاءِ نصٍّ معين تتقاطع وتتنامى ملفوظات عديدة متقطعة من نصوص أخرى)؛ أما المستشرق رولان بارت فقد وصف التناص بقوله [5]: (النصوص الأخرى تترآى فيه لمستويات متفاوتة ... إذ تعترف فيها نصوص الثقافة السالفة والحالية؛ فكلُّ نصٍ ليسَ إلا نسيجاً جديداً من استشهاداتٍ سابقةٍ)؛ وعلماء العربية ومنذ القدم أدركوا ذلك وعرفوه؛ فهذا أبو عمرو إبن العلاء شيخ رواة البصرة؛ وأحد القراء السبعة؛ يُجيبُ حينما سُئِلْ [6]: (أرأيتَ الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ؛ لم يلقَ واحدٌ منهما صاحبهُ ولم يسمعْ شعرهُ ؟ قال: تلك عقولُ رجالٍ توافتْ على ألسنتهم) ومثال ذلك ما جاء في مطلع معلقتي امرئ القيس؛ وطرفة بن العبد؛ فقد قال امرؤ القيس [7] :

وقوفاً بها صَحبي عليَّ مطيهُم
يقولونَ لا تهلكْ أسىً وتجملِ

وقال طرفة بن العبد [8]:

وقوفاً بها صَحبي عليَّ مطيهُم
يقولونَ لا تهلكْ أسىً وتجلدِ

ألا ترى أنَّ البيتين متفقان لفظاً ومعنىً باستثناء الحرفين الأخيرين من القافية؛ علماً أنَّ طرفة لم يلتق امرأ القيس؛ ولم يروِ شعره . فيما كانَ جوابُ المتنبي عن السؤال نفسهِ جواباً دقيقاً حينَ قال [9]:(الشعرُ جادةٌ؛ وربما وقعَ الحافرُ على موضعِ الحافرِ)؛ أي وقعَ أثرُ القدمِ على أثرِ قدمِ من سبقه؛ وهذا يعني أنَّ الشعر طريق يسلكه الشعراءُ كافة؛ ولا ضيرَ أنْ يقع قدمي على موضع قدم من سبقني في السير على هذا الطريق؛ لذا فكلُّ شاعر يدلو بدلوه فيغترف منه ما يشاء؛ وقد يتفقان في القول لفظاً ومعنى ؛ وقد يختلفان بعض الشيء؛ ويسمى هذا اللون من التناص بالموارده [10] أي توارد الخواطر بحيث يقول كل منهما القولَ نفسه ولا يعلم بأنَّ الآخر قد قاله ؛ وربما يأتي حرفياً؛ أو بتغييرٍ جزئي لا يؤثر على المعنى العام .

ولنا في هذا البحث البسيط وقفة مع بعض المفاهيم والقيم التي جاءت في الشعر الجاهلي متواردة ومتناصة مع ما جاء في القرآن الكريم؛ ومنها ما يأتي:

١ - قال حاتم الطائي [11] :

أمَا والذي لا يعلمُ الغيبَ غيرُهُ
ويُحيي العظامَ البيضَ وهيَ رَميمُ

عندما ندقق النظر في قول حاتِم الطائي؛ سيتأكد

لنا بما لا يقبل الشك أنَّ الرجلَ لم يكنْ مشركاً؛ ولا وثنياً؛ بل كان من الموحدين الأحناف الذين يؤمنون بالله وحده؛ لا شريك له ، والأحنافُ هم بقايا دين نبي الله إبراهيم الخليل (عليه السلام)؛ وهم يؤمنون بأنَّه لا يعلم الغيبَ إلا الله وحده؛ وأنَّهُ هو وحدهُ يُحيي ويُميت ؛ شأنهم في ذلك شأنُ أصحابِ الديانات السماوية الأخرى؛ والقرآن الكريم أكدَ هذا التناص في علم الغيب مع ما قاله حاتِم الطائي ؛ وصدَّقهُ في قوله تعالى [١٢]: { عالمُ الغيْبِ فلا يُظهرُ على غيبهِ أحداً }؛ وقوله تعالى [١٣]: { وعندهُ مفاتحَ الغيبِ لا يعلمُها إلا هُوَ }؛ أي لا يعلمها إلا الله؛ ولكن اللافت للنظر هو الشطر الثاني من قول حاتِم الطائي الذي يتناص مع القرآن الكريم؛ ويتطابق معه تماماً؛ فبعد أنْ نحذفَ كلمة ((البيض)) من الشطر؛ يصبحُ آية كريمة[١٤]:{ .. قالَ منْ يُحيي العظامَ وهيَ رَميمٌ }؛ فذاك التطابق المطلق يؤكد أنَّ العربَ يعرفون الديانات السماوية ويؤمنُ بها كثيرٌ منهم؛ وحاتِم نفسهُ يقسمُ بالله قسماً جازماً، وكأنَّهُ مسلمٌ؛ سمعَ القرآنَ الكريم وآمنَ به؛ علماً أنَّ حاتِم الطائي مات قبل الاسلام بأكثر من سبعين عاماً تقريباً؛وهذا زُهير بن أبي سلمى شاعرُ الحكمةِ والسلام؛ وهو الآخر لم يدرك الإسلام؛ يؤكد صحة ما قالهُ حاتِم الطائي؛ ويؤمن به؛ وذلك بعدَ ما مرَّ زُهيرٌ على شجرةِ عِضاةٍ مُخضرةٍ؛ وكان قد رآها قبل ذلك يابسةً ؛ فخاطبها قائلاً[١٥]: (لولا أنْ تسبُني العربُ؛ لآمنتُ أنَّ الذي أحياكِ بعدَ يَبْسٍ؛ سَيُحْيي العظامَ وهيَ رميمٌ)؛ والسين التي جاءت في(سيُحْيي) هي لما يُستقبل من الزمان؛ سواءً كان قريباً أو بعيداً؛ ومنها نفهم أنَّ زُهيرَ بن أبي سلمى يؤمنُ بالبعثِ والنشور وإحياء الموتى والحساب؛ ومصداق ذلك قوله :

يُؤخرْ فيُوضعْ في كتابٍ فيُدخرْ
ليومِ الحسابِ أوْ يُعجلْ فينقمِ

وبذلك وجدنا حاتِم الطائي؛ ومن بعده زُهير بن أبي سلمى يؤمنان بأنَّ الله سبحانه وتعالى؛ يُحيي الموتى يوم الحساب؛ وقد أكد زُهير هذه الرؤية مرة أخرى في قوله مخاطباً بنيه[١٦]:(لولا أنْ تفندون؛ لسجدتُ للذي يُحيي الأرضَ بعد موتِها)؛ وسوف نقف على تفصيل الشاهد الشعري لاحقاً في موضعه إنْ شاء الله في شعر زُهير؛ وما تقدم يُمثل معتقد الموحدين من الأحناف واليهود والنصارى؛وأما المشركون من الوثنيين فكانوا يعبدون الأصنام والأوثان؛ولا يقرون بعبادة الله الواحد الأحد؛ ولا يؤمنون بالبعث والحياة الأخرى؛ فوصفهم الله سبحانه وتعالى في قوله[١٧]: { إنَّ هؤُلاءِ ليقولُون إنْ هِيَ إلا مَوْتَتُنا الأُولى وَمَا نَحْنُ بمُنشَرين}؛ وكذلك قال[١٨]:{ما هِيَ إلا حياتُنا الدُّنيا نموتُ ونحيا ومَا يُهلكُنا إلا الدَّهرُ ...} .

٢ - قال حاتم بن عبدالله الطائي[١٩] :

كلوا الآنَ من رزقِ الإلهِ وأيسروا
فإنَّ على الرحمانِ رزقكُم غدا

يخاطب حاتم الطائي قومه ويطلب منهم أن يأكلوا مما رزقهم الله؛ والرزق الرباني يحوِّل الإنسان من حالة العسر إلى حالة اليسر؛ أي من حالة الفقر وسوء الحال إلى الغنى؛ وأنَّ أرزاق العباد هي بيد الله الرحمن؛ ونلحظ هنا أن حاتم استخدم صفة الرحمن مع الرزق؛ وأراد أنْ يشعر قومه بأنَّ الأرزاق هي هبة ورحمة من الله الرحمن الرحيم؛ وهو الذي يحوِّلُ عسر اليوم غداً إلى يسر من خلال الرزق ؛ وقول حاتم هذا يتناص ويتعالق مع القرآن الكريم في قوله تعالى [٢٠]: { كلوا

وأشربوا من رزق الله } .

٣ - قال الأعشى[٢١] :

طريفٌ وجبارٌ أصولُهُ
عليه أبابيلٌ من الطيرِ تنعبُ

هذا البيت من قصيدةٍ هجا بها الأعشى الحارثَ بن وعلة ، ودعا عليهِ بسوءِ العاقبة؛ كما حدث لابرهة وجنوده؛حينما جمعَ كيدهُ؛وجاء ليجتاح مكة المكرمة؛ ويستبيحَ ديارها؛ ويهدمَ الكعبة المشرفة؛ رمز توحد العرب على الرغم من جاهليتهم؛فردَّ الله سبحانه وتعالى كيدهم إلى نحورِهم؛ وجعلهم أشلاءَ ممزقة مبعثرة؛ ليكونَوا طعاماً للضواري والجوارح ؛ بعد أنْ سلط عليهم طيرَ الأبابيل؛ التي أبادتهم عن بكرةِ أبيهم؛ ولم تغادر منهم أحداً؛ وجعلتهم خبراً بعد عين؛ والنعيبُ هو صوتُ الغراب؛ والعربُ تتشاءم من سماعه؛ وهذا المعتقد ارتبط عند الأعشى مع ذكر طير الأبابيل؛ وهي الطيور التي دمرتْ جيش أبرهة الحبشي حينما أصبح على مشارف مكة المكرمة؛ ليدخلها؛ ليهدم بيت الله الحرام والكعبة المشرفة؛فهاجمته تلك الطيور؛ وأخذت ترميهم بحجارةٍ ناريةٍ تحرقهم ؛ فجعلتهم كالعصف المأكول: وقد أكد القرآن الكريم هذا التعالق في سورة الفيل في قوله تعالى[٢٢]:{ وأرسلَ عليهِمْ طيراً أبابيلَ * ترميهِمْ بحجارةٍ من سجيلٍ * فجعلهُمْ كعصفٍ مأكولٍ } وهذا يعني أنَّ الأعشى والعرب بصورة عامة؛ يعرفون قصة هلاك أبرهة الحبشي وجيشه بطير الأبابيل؛ فالأعشى يؤكد أنَّ مَنْ يتمادى في الظلم والطغيان سيكون مصيره مثل مصير أبرهة وجيشه ؛لأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يرضى بالظلم؛ فهو يُمهل ولا يَهمل وعلى الإنسان أنْ يأخذ العبرة من قصة أبرهة .

٤ - قال الأعشى في وصيته لابنهِ بصير[٢٣] :

وربّكَ لا تشركْ به إنَّ الشركَ
يحط من الخيراتِ تلكَ البواقيا
بلْ اللهُ فاعبدْ لا شريكَ لوجهه
يكنْ لكَ فيما تكدحُ اليومَ راعِيا

نفهم من خلال البيتين أنَّ الأعشى رجل موحد يؤمن بأنَّ اللهَ وحدهُ لا شريك لهُ؛ على افتراض أنَّ الأعشى يُدين بالنصرانية؛ فيوصي ابنه بصير بتوحيدالله وعدم الشِركَ بهِ؛ لأنَّ من يُشرك بالله سيتعرض للعقاب الالهي إنْ آجلاً أم عاجلاً؛ ومن تلك العقوبات حبس الخيرات؛ أما إذا كان الإنسانُ موحداً عابداً مخلصاً لله؛ ولا يعبد الأوثان والأصنام؛ سيجد الله حافظاً له من كل سوء، وأنَّ الله سيُوسعُ عليه رزقه؛وهذا المعنى يتناص مع وصية لقمان الحكيم لابنه وهو يعظهُ؛ والتي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى[٢٤]: { وإذْ قالَ لقمانُ لابنهِ وهوَ يعظهُ يا بنيَ لا تشركْ باللهِ إنَّ الشركَ لظلمٌ عظيمٌ}؛ فمن البيتين نفهم أنَّ الأعشى في وصيته يؤكد على تنزيه الله وعدم الشرك به؛وعند ذلك سيكون اللهُ لك حصناً حصيناً ويحميك من الشر .

٥ - وقال الأعشى أيضاً في وصيته لابنه بصير[٢٥] :

وإياكَ والميْتاتِ لا تقربَنّها
كفى بكلامِ اللهِ عنْ ذاكَ ناهيا

يوصي الأعشى ابنه بعدم أكل لحوم الحيوانات الميتة لأنَّ الله سبحانه وتعالى قد حرمها؛وعليه الابتعاد عنها وعدم تناولها؛ وذلك امتثالٌ لأمر الله سبحانه وتعالى؛ وهذا يعني أنَّ الديانات السماوية كافة؛ والتي سبقت الإسلام كانت تحرم أكل اللحوم الميتة؛ أما في الإسلام

فقد أكد الله سبحانه وتعالى تحريمها في القرآن الكريم؛ في قوله تعالى[٢٦]:{ حُرمَتْ عليكمُ الميتةُ والدمُ ولحـمُ الخنزيرِ وما أهلَّ لغيرِ اللهِ بهِ والمنخنقةُ والموقـوذةُ والمترديةُ والنطيحةُ وما أكلَ السبُعُ..}؛ وما وصى الأعشى به ابنه يتناص مع الآية الكريمة السابقة من حيث الفكر والمضمون .

٦ - قال الأعشى[٢٧]:

لوْ أُطعِموا المَنَّ والسَّلوَى مَكانَهُمُ
مـا أبْصَرَ النـَّـاسُ طعْماً فيهـمُ نـجِعَـا

هذا البيت من القصيدة التي مدح فيها الأعشـى هوذةُ بن علي رئيس بني حنيفة من قبيلة بـكر بـن وائل؛ وذلك بعد توسطهِ لفكاك أسرى قبيلة تميم الذين كانوا محبوسين في سجن المشقر باليمامة؛ وذلك بعد استيلائهم على قافلة تجارية فارسية متجهة إلى اليمن؛ وهؤلاء الأسرى وكما يصفهم الأعشى مرعوبـون؛ يسيطر عليهم الخوف والهلع؛ وينتابـهم الفزع خوفاً من مصيرهم المجهول؛ الذي سيؤول بهم حـتماً إلى الموت ، لذلك لو أُطعِمَ هؤلاء الأسرى المنَّ والسلوى؛ وهو أمان من الله سبحـانه وتعالى؛ أنزله على قـوم موسى(ع) في قوله[٢٨]:{...وظللنا عليهمُ الغمامَ وأنزلنا عليهُمُ المَنَّ والسَلوَى} ، ما اطمأنوا أبداً؛ فوجوههم تدل على ذلك؛ وقد استجاب حاكم اليمامة لطلب هوذة فأطلق سراح مائة أسـير؛ منهم الشـاعر المعروف ربيعة بن مقروم الضّبي؛ فالتناص واضح بـين الآية الكريمة والبـيت الشـعري مـن خلال مفردتي المنِّ والسلوى .

٧ - قال أبو قلابة الطابخي الهُذلي[٢٩]:

ولا تقولنَّ لشـيءٍ سـوفَ أفعلَـهُ
حـتى تبـينَ مـا يُمْنِي لـكَ المَـاني

أبو قلابة شاعر جاهلي من قبيلة هـُذيل يخاطب قومه ويقول لهم: إذا عزمتم على القيام بـأمرٍ ما؛ فلا تستعجلوا حتى يتبينَ لكم الأمر بوضوح؛ وأنَّ الأمور معقودة بمشيئة الله سبحانه وتعالى وحده؛ والماني هو الله عزَّ وجل؛ والشطر الأول من البيت يتناص روحاً ومعنى مع القرآن الكريم في قول الله تعالى [٣٠] :{ ولا تقولنَّ لشيءٍ إنّي فاعلٌ ذلكَ غداً ؟ إلا أنْ يشاءَ اللهُ...}؛ نلحظ هنا أنَّ فكرة الشاعر قد تطابقت تماماً مع ما أراده الله سبحانه وتعالى؛فيما يتناص الشطر الثاني مع قوله تعالى[٣١]:{ وَمَا تشاءُون إلا أنْ يشـاءُ اللهُ ... }؛ ذلك لأنَّ الأمور قد تتغير؛ فلا يستطيع الإنسان الوفاء بـما عزم القيام به؛ وعند ذلك تضيع كلمته؛ وتذهب أدراج الرياح ،وهنا على المتكلم أنْ لا يستعجل الأمور؛ حتى تتضح له بصورة جلية ؛ لأنـَّها مرتبطة بمشـيئة الله وتوفيقه .

٨ - قال زهير بن أبي سلمى[٣٢] :

فلا تكتمنَّ اللهَ ما في نفوسـكم
لـيَخفى ومهما يُكتـمِ اللهُ يعلـمِ
يُؤخرْ فيُوضعْ في كتابٍ فيُدخـرْ
ليومِ الحسـابِ أوْ يُعجلْ فينقـمِ

زُهير بن أبي سلمى معروفٌ عنه أنَّهُ شاعرُ الحكمة والسلام؛ وهو من الشعراء الموحدين الأحناف؛ ولو لم نعرف أنَّ زهيراً مات قبل الإسلام؛ لقلنا أنَّ الشـعرَ لشاعرٍ إسـلامي؛ وذلك من خلال الألفاظ التي جاءت في البيتين؛ فما قاله زُهير يتناص مع قوله تعالى [٣٣]: { وإنْ تجهرْ بالقولِ فأنـَّهُ يعلمُ السرَّ وأخفى }؛ وكذلك يتناص مع قول رسول الله في الحديث الشـريف:(إذا

يخفى عليكَ المرءُ ينبئكَ فعلهُ)؛ هذا ما يتعلق بالبيت الأول ،أما ما جاء في البيت الثاني فأنَّه يتعالق مع قوله تعالى[٣٤]: { إنا نَحنُ نُحيي المَوتى ونكتُبُ ما قدمُوا وآثارهُم وكلَّ شَيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مبينٍ} وأما فيما يتعلق بالعقوبات الأخروية والدنيوية فقد وردت في عدد كبيرمن الآيات الكريمة؛تمثلت في العقوبات التي طالت الأمم التي سبقت العرب والإسلام مثل:قوم عادٍ وثمود ولوط وفرعون وهامان وغيرهم ممن طالتهم تلك العقوبات .

٩ – قال السموأل (٣٥):

وأتاني اليقينُ أنّي إذا مُـ
ـتُ وإنْ رَمَّ أعظمي مبعوثُ

السموأل شاعر يهودي يسكن في تيماء بالحصن الأبلق الذي بناهُ النبي سليمان بن داود (ع)؛ وورثه السموأل عن آبائه؛لأنَّهُ من سلالة سليمان بن داود(ع)؛ وبالمحصلة النهائية هورجل موحد يؤمن بأنَّ الله واحد لا شريك له،وهو ممن يقرأ التوراة ويطبق تعاليمها؛ وهو بذلك يؤمن إيماناً مطلقاً بالبعث والنشوربعد الموت وأنَّ الناس كافة سوف يُعْرضَون على الله يوم القيامة للحساب؛ لينال كلُّ واحدٍ منهم جزاءَهُ الذي يستحق؛ بما قدمت يداه لنفسه من عمل في دار الدُنيا؛و(مبعوت لغة في مبعوث)ولا عجب بعد ذلك من تناص هذه الأفكار وغيرها من العقائد الدينية اليهودية التي جاءت في التوراة على لسان السموأل؛ والتوراة كتابٌ سماوي؛ أنزله الله على النبي موسى (ع)؛ وجاء القرآن الكريم مصدقاً لما جاء في التوراة ؛ فالقرآن الكريم يعضد ويؤكد ما قاله الشاعر وذلك في قوله تعالى[٣٦]: { وأنَّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأنَّ الله يبعثُ من في القبور}.

١٠ ـ قال أمية بن أبي الصلت [٣٧]:

والشهرُ بين هلالهِ ومحاقهِ
أجلٌ لعلمِ الناس كيف يعددُ

لا نقصَ فيهِ غيرَ أنَّ خبيئَهُ
قمرٌ وساهورٌ يُسَلُّ ويُغمدُ

المقصود بالأجل الذي ورد في الشعر هو الشهر؛ والساهور هو الغلاف الذي يحيط بالقمر؛ بلْ هو القمر بجزأيهِ المضئ والمظلم؛ وكلنا يلحظ القمر في أيامه الأولى عندما يكون هلالاً؛ نرى جزءاً منه أسود غير مضيء والجزء الآخر مضيئاً يُسمى هلالاً: والهلال بمرور الأيام يكبر شيئاً فشيئاً، حتى يغطي الساهور كله فيكون بدراً؛ وذلك في منتصف الشهر القمري؛ ومن ثَمَ يبدأ بالنقص شيئاً فشيئاً حتى يختفي تماماً؛ وذلك في اليوم الأخير من الشهر القمري؛ ويسمى ذلك اليوم بالمحاق ؛ ومنه يولد هلال الشهر القمري اللاحق؛ والشهر القمري كما هو معروف ثلاثون يوماً ؛ يبدأ من المحاق وينتهي به؛ ويستغرق خروج القمر كليا من الساهور خمسة عشر يوماً ليصبح بدرا؛ وذات المدة يستغرقها في دخوله المحاق؛ وأدوار القمر مع الساهور؛تطرق إليها القرآن الكريم في قوله تعالى[٣٨]: { والقمرَ قدرناهُ منازلَ حتى عادَ كالعرجونِ القديمِ }؛ وهذا تناص تام مع ما جاء في القرآن الكريم؛ وكذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى علم الإنسان حساب الشهور والسنين من خلال القمر وأدواره؛ إذ أنَّ كل أدوار القمر من المحاق والى المحاق تمثل شهراً واحداً؛ وكلُّ إثني عشر شهر تمثل سنة ؛ جاء ذلك في قوله تعالى[٣٩]:

{ ... والقمر نوراً وقدره منازلَ لتعلموا عددَ السـنينَ والحساب ...}؛ وهذا تناص وتعالق آخر بين القرآن الكريم والنص الشعري.

١١ – وقال أمية بن أبي الصلت [٤٠] :

فقلتَ لهُ: يا اذهبْ وهارونَ فادعوا
إلى اللهِ فِرْعَوْنَ الذي كانَ طاغيا

المتكلم هو الله سبحانهُ وتعالى؛والمخاطب هو النبي موسى بن عمران؛وأخوهُ هارون(عليهما السلام) أمر الله سبحانه وتعالى موسى أنْ يصطحب أخاه؛ ويذهبا الى فرعون الذي تجبر وطغى؛ ويبـلغاه رسـالة الله سبحانه وتعالى؛ ويدعواه إلى سبيل الرشاد والحـكم بالحق والعدل بين الرعية ولا يظلم بني اسرائيل؛ من قبـل أنْ يأتيه يومٌ لا مرد له من الله؛ وعندئذ لا ينفعه الندم وعض الأنامل؛ فيكون خشبة أو حجارة في نار جهنم؛ يصلاها مذموماً مدحوراً ؛ وهذا القـول جاء متناصاً ومتطابقاً مع ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى[٤١]:{اذهبْ أنتَ وأخوكَ بآياتي ولا تنيا في ذكري؟ اذهبا الى فرعونَ أنـَّهُ طغى} .

١٢ – قال أمية بن أبي الصلت [٤٢] :

عـند ذي العرشِ يعرضـونَ عـليه
يعلـمُ الجهـرَ والكـلامَ الخفيـا

الشاعر يخاطب قومه ويقـول لهم: إنَّ كلَّ ما خلق الله سبحانه وتعالى من إنسٍ وجنٍ وملائكة يعرضون عليه يوم القيامة؛ وأنَّ اللهَ محيطٌ بعلم كل شيء؛ ولو أسررتم شيئاً ما في نفوسكم؛ ولم تبوحوا به لأحـد؛ فأنَّ الله يعلمه وسيحاسبكم عليه يوم القيامة؛ والشطر الثاني من البيت يتناص مع ما جاء في قوله تعالى[٤٣]: { سنقرئكَ فلا تنسى إلا ما شـاءَ اللهُ أنـَّهُ يعلمُ الجهرَ وما يخفى}؛ وكذلك يتناص مع قوله تعالى[٤٤]:{ يومئذٍ تعرضونَ عليهِ لا تخفى منكمْ خافية} .

١٣ – قال أمية بن أبي الصلت [٤٥] :

ربِّ كُـلاً حتمتـهُ واردَ النار....
كتابـاً حـتمهُ مقـضيا

الشاعر يؤمن بأنَّ كلَّ ما خلق الله سبحانه وتعالى لابدَّ أنْ يعرض على النار؛ وليس هناك استثناءٌ لأحد؛ والعرض على النار لا يعني بـالضرورة عقوبـة أو الدخول فيها ؛ وإنما الإطلاع والمعرفة ؛ والوصـول إليها والإشراف عليها لا الدخول فيها ؛ وما قال بـه الشاعر يتعالق ويتناص مع ما جاء في القرآن الكريم في قـوله تعالى [٤٦]: { وإنْ منكمْ إلا واردُها كانَ على ربكَ حتماً مقضِياً } .

١٤ – قال أمية بن أبي الصلت [٤٧] :

يومَ نـأتيـهِ مثـلَ مـا قـالَ فـرداً
لـمْ يـذرْ فيـهِ رشـداً وغـويـا

يقول الشاعر في يوم الحشـر عندما تأتي الناس إلى عرصات القيامة لا يأتون زُمراً؛ بـل يأتون أفراداً ليس لهم مال ولا أولاد ولا أنصار؛ وكلٌ منهم سيكون مشغولاً بنفسه؛ لا يهمه أمرُ غيرهِ؛ ويحشـر الملوك إلى جوار السوقة كما وعد الله بذلك؛ ولن يتخلف عن ذلك العرض كائن من يكون؛ فكل ما خلق الله سبحانه وتعالى يأتي فرداً مثلما ولدته أمه فرداً؛ وهذا الكـلام يتناص مع قوله تعالى [٤٨]: { وكلهم آتيه يوم القـيامة فرداً }.

١٥ – قال أمية بن أبي الصلت [٤٩] :

ألا كلُّ شيءٍ هالكٌ غيرَ ربنا
ولله ميراثُ الذي كان فانيا

ما قاله الشاعر أمية بن أبي الصلت هو من الأفكار التي جاءت في القرآن الكريم والكتب السماوية كافة؛ فالشطر الأول منه يتناص مع قوله تعالى في الآية الكريمة [٥٠]: { لا إلهَ إلا هُوَ كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَهُ}؛ الشاعر يقول كل ما خلق الله لابد أنْ يهلك ولا يبقى غير الله ليرث الأرضَ والسمواتِ ومن عليهما؛ والمقصود بالفانيا الأرض والسماء؛ وهذا التناص جاء حرفياً متطابقاً مع الآية الكريمة؛ ولكن بتقديم بعض الألفاظ على بعضها ؛ فيما يتناص الشطر الثاني مع قوله تعالى[٥١]:{ ولله ميراثُ السمواتِ والأرض واللهُ بما تعملونَ خبير }؛ أي أنَّ الله بعد الصيحة الأولى التي تميت الخلائق كافة؛ يبقى هو الوارث الوحيد فيرث كل ما خلق؛ لأنه هو من خلق الخلائق فالملك يومئذ لله وحده .

١٦ - قال أميةَ بن أبي الصلت[٥٢] :

دعا ابنه نوحٌ ألا اركبْ فإنني
دعوتكَ لما أقبلَ الماءُ طاغيا
فقالَ سأرقى فوق أعيطِ حالقٍ
فقال له: لستَ الغدية ناجيا

هذه النتفة تمثل تسجيلاً للحوار الذي جرى بين النبي نوح (عليه السلام) وابنه كنعان وقيل يام [٥٣]؛ وذلك بعد أنْ أرسلت السماءُ المطر مدراراً؛ وأخذ الماء يغمرُ كلَّ شيء؛ نادى نوحٌ (ع) ابنه بعاطفة الأبوة مشفقاً عليه من الغرق أنْ اركبْ معنا في السفينة؛ ولكنَّ الكفر والضلال أبيا أنْ يفارقاه ؛ فأجاب بأنَّهُ سيرتقي الجبل المجاور لهم ؛ ليكون في مأمنٍ من الغرق؛ ولكن الله سبحانه وتعالى آلى على نفسه أنْ يُغرق الكافرين كافة؛ فيموتوا جميعاً غرقى والى جهنم وبئس المصير؛ وما جاء في القرآن الكريم هو قوله تعالى [٥٤]: { وهي تجري بهم في موجٍ كالجبالِ؛ ونادى نوحٌ ابنهُ ؛ وكانَ في معزلٍ؛ يا بنيُ اركبْ معنا ولا تكنْ معَ الكافرينَ ؟ قالَ سآوي إلى جبلٍ يعصمُني منَ الماءِ؛ قالَ لا عاصمَ اليومَ من أمرِ اللهِ إلا من رحِمْ؛ وحالَ بينهما الموجُ فكانَ من المغرقينَ}؛ يتناص مع قول الشاعر أُمية .

١٧ - قال النابغةَ الذبياني[٥٥] :

والمُؤَمِنُ العائذاتِ الطيرِ تمسحُها
ركبانُ مكةَ بينَ الغَيلِ والسعدِ

المُؤَمِنُ هو الله جلَّ جلاله،والعائذات هي الطيور التي تلجأ إلى مكة بحثاً عن الطعام؛ فقد أمنها الله سبحانه وتعالى؛ وحرم صيدها وتهييجها فتخاف؛ فيصيبها الرعب؛ وركبان مكة؛ هم الحجيج الذين يقصدون مكة لزيارة البيت الحرام؛ لأداء مناسك الحج والعمرة؛ والتحريم هنا يخص المُحرِمُون الذين عقدوا النية على الحج أو العمرة؛ وقد حدد النابغة الذبياني المنطقة المحرمة بين(الغَيل والسعد)وهي منطقة محصورة بين مكة المكرمة ومِنى ؛ وهما أجمتان معروفتان عند الحجيج؛ وهذه المنطقة المحرمة متعارف عليها عند العرب وزوار بيت الله الحرام؛ وجاء الإسلام فأكدها؛ وما قال به النابغة يتناص مع القرآن في قوله تعالى[٥٦]: { يا أيُها الذينَ امَنُوا لا تَقتُلُوا الصَّيْدَ وأَنتُمْ حُرُمٌ ... } .

١٨ - قال النابغةَ الذبياني[٥٧] :

إلا سليمانَ إذْ قالَ الإلهُ لهُ
قمْ في البريةِ احددها عنِ الفندِ

وخيسَ الجنَّ إني قد أذنتُ لهم
يبنونَ تدمرَ بالصفاحِ والعمدِ

سليمان هو نبي الله ابن النبي داود كان نبياً وملكاً أعطاه ملكاً لم يعطهِ لغيره من المخلوقات؛ إذ كان كل شيء في الوجود مسخراً في خدمته؛وعندما عزم على بناء مدينة تدمر سخر الله سبحانه وتعالى له الجنَّ يبنونها بالأحجار العريضة والسواري من الرخام؛ هذا يتناص مع ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى(٥٨) { ... وَمِنَ الجنِّ منْ يعملُ بينَ يديهِ بإذنِ ربهِ ... } .

١٩ - قالت الخنساء تحرض بني سُليم وعامراً على غطفان لقتلهم أخاها معاوية(٥٩) :

لا شيءَ يبقى غيرَ وجهِ مليكنا
ولستُ أرى حياً على الدَّهرِ خالداً

معاوية بن الشريد السُلمي أخو الخنساء غير الشقيق قتله حرملة بن هاشم؛ ولما رأت الخنساء بطءَ قومِها في طلب ثأر أخيها؛قالت تحرضهم وتحضهم وتحرض معهم حلفائهم من بني عامر لأخذ ثأر معاوية من قبيلة غطفان؛ فالخنساء تقول: كلّ مخلوق لابد أنْ تطالهُ يدُ الموت مهما طال عُمُرُهُ؛ والاستثناء الوحيد هو مليكنا؛وأرادت بذلك الله سبحانه وتعالى؛وما قالته الخنساء يتناص مع القرآن الكريم في قوله تعالى (٦٠): {كُلُّ منْ عليها فانٍ ؟وَيَبقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإكرامِ} والمليك هو الله سبحانه وتعالى(٦١):{ في مقعد صدق عند مليك مقتدر } .

٢٠ - وقالت الخنساء ترثي أخاها صخراً(٦٢) :

ألا ليت أمّي لم تلدني سويةً
وكنتُ تراباً بين أيدي القوابلِ

تتمنى الخنساء لو أنها وُلِدَتْ ميتة؛ ولم تشهد مقتل أخيها صخر؛ وتتمنى لو أنها كانت تراباً عندما ولدتها أمُّها؛ ولا يتمنى الإنسان مثل هذه الأماني؛ إلا عندما يكون في موقفٍ لا يحسدُ عليه؛لا يغيظ عدواً؛ ولا يسرُّ صديقاً؛ وهذه الأمنية تتناص مع أماني الكفار يوم القيامة؛حين يستلمون كتبهم في شمائلهم ويساقون إلى جهنم زُمراً؛ وقد صور القرآن الكريم أمنيتهم هذه في قوله تعالى(٦٣):{ ويقولُ الكافرُ: يا ليتني كُنتُ تُراباً } ذلك لأن الله سبحانه وتعالى سيجعل المخلوقات كافة؛ والتي لا تعرض في عرصات القيامة تراباً ومنها البهائم والجراثيم؛ فالكافر يتمنى لو كان بهيمة أو جرثومة؛ ولا يرى خِزيَ العذاب؛وكذلك تمنت الخنساء لو أنَّها كانت تراباً؛ ولم تشهد مقتل أخيها صخر .

٢١ - قال الربيع بن زياد(٦٤) :

قولُ ولم أملكْ لنفس نصيحةً
أرى ما ترى واللهُ بالغيبِ أعلمُ

الربيعُ بن زياد العبسي يعلم علم اليقين أنه لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى شأنه شأن عامة الموحدين من الأحناف والنصارى واليهود؛ وشعره هذا يتعالق مع القرآن الكريم في قوله تعالى(٦٥): { وعندهُ مفاتحَ الغيبِ لا يعلمُها إلا هُوَ } .

٢٢ - قال عبيد بن الأبرص(٦٦) :

حلفتُ باللهِ إنَّ اللهَ ذو نِعَمِ
لمن يشاءُ وذو عفوٍ وتصفاحِ

يقسم عبيد بن الأبرص قسماً جازماً أن الخير العميم والنعم التي لا تنفد؛ هي بيد الله سبحانه وتعالى وحده؛ فهو يهب لمن يشاء؛ ويمنع عمّن يشاء؛ وفي الوقت نفسه هو عفو غفور؛ يعفو عمّن يشاء من عباده؛ ويتجاوز عن سيئاتهم وهذا المعنى يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم ويتعالق معه في قوله تعالى(٦٧): { واللهُ يرزقُ من يشاء بغير حساب ... } .

٢٣ - قال عمرو بن كلثوم التغلبي(٦٨) :

بضربٍ تشخصُ الأبصارُ منهُ
وطعنٍ مثلِ إفراغِ الدلاءِ

يؤكد عمرو أنَّ ضربات قومه في التصدي لأعدائهم في الهجوم والدفاع عن حمى القبيلة تشخص من شدتها الأبصار خوفاً ورعباً؛ ولا تشخص الأبصار إلا عند الذهول من رهبة الموقف؛ فأعداؤهم شخصت أبصارهم من شدة القتال وقسوته؛ أما طعنات رماحهم فهي تشبه دلاء البئر المملوءة بالماء عندما تفرغ ما فيها من ماء بسرعة كبيرة؛ وهذا المعنى يتعالق مع قوله تعالى(٦٩):{ شاخصةٌ أبصارُ الذينَ كفروا}؛ أي أن المشركين والمنافقين سيذهلون يوم القيامة من هول المحشر وشدته؛ فتشخص أبصارهم من الرعب .

٢٤ - قال إياس بن مالك الطائي(٧٠) :

كلا ثعلبَيْنا طامعٌ بغنيمةٍ
وقدْ قدَرَ الرحمنُ ما هوَ قادرُ

يقول إياس بن مالك إنَّ الأمورَ كافة؛ تجري بمشيئة الله وحده؛ وهو الرحمن الذي قدر الأقدار على خلقه؛ وما ذهب إليه إياس يتناص مع قوله تعالى(٧١):{ إنَّ اللهَ بالغُ أمرهُ وقدْ جعلَ لكلِّ شيءٍ قدراً } .

٢٥ - قال قيس بن جُروَة الطائي(٧٢) :

فلا تهزئي منا ولا تتعجبي
فلستُ أرى فيما قضى اللهُ لي بَدا

يؤكد قيس بن جروة أنَّ الانسان في حياته مُسير وغير مُخير؛ولو كان الأمر بيده لاختار لنفسه الأفضل ولكن الأمر ليس بيده؛بل بيد الله سبحانه وتعالى وحده وهذا الكلام يتعالق مع قوله تعالى(٧٣):{ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أنْ يكون لهم الخيرة من أمرهم }، فالإنسان ومهما عمل جاهداً فلن يستطيع أنْ يفر مما كتب الله له؛ وما عليه إلا القبول بما قدر الله سبحانه وتعالى له .

٢٦ - قال خُباب بن عَدي الطائي(٧٤) :

وأرمي بنفسي في فروجٍ كثيرةٍ
وليسَ لأمرٍ حمهُ اللهُ صارفُ

يقول خباب يضع الانسان نفسه في مآزق مهلكة كثيرة ومتعددة؛ لأسباب مختلفة ومتنوعة؛ ومع ذلك يكتب الله له السلامة فيخرج منها سالماً معافى؛ ذلك لانَّ أمر الله سبحانه قدرٌ مقدرٌ؛ فهو وحده يرمي به من يريد من عباده أو يصرفه عمن يريد؛ لهُ الأمر من قبل ومن بعد؛ وهذا النوع من التفكير والرؤية يتناص مع قوله تعالى ويتعالق معه (٧٥): { فيصيبُ بهِ منْ يشاءُ ويصرفهُ عمنْ يشاءُ }.

٢٧ - قال خفاف بن عبدالله الطائي(٧٦):

أرهبُ اليومَ إنْ أتت عليَ
صيحةٌ مثلَ صيحةِ الأحقافِ

خفاف رجل موحد يخاف الله سبحانه؛ ويخشى على نفسه من أنْ يعاقبه الله إذا ما تمادى في الغي والعصيان؛ فهو ينذر نفسه من سوء العاقبة؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل ؛ وقد يُسْمِعُهُ الله صيحةً مثل صيحةِ أهل الأحقاف؛وهم قومُ عادٍ لما عتوا وعصوا أمر ربهم ؛ ولجوا في تمردهم وعصيانهم وطغيانهم؛ فأخذتهم الصيحة وأصبحوا جاثمين في ديارهم لا حراك لهم؛ فأصبحوا خبراً بعد عين؛ وهذا الإيمان يتطابق بل يتناص مع قوله تعالى(٧٧) :{ واذكر

أخا عادٍ إذ أنذرَ قومَهُ بالأحقافِ ... } وكانت نتيجة الإنذار أنْ أخذتهم الصيحة في قوله تعالى[78]: { فأخذتهم الصيحةُ بالحق...}أي عاقبهم الله على سوء أعمالهم؛ فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر .

٢٨ – قال ملحان الطائي[79] :

وأبيضُ مجتابٌ إذ الليلُ جنَّهُ
رعى حذرَ النارِ النجومَ الطوالعا
إذا استثقل الأقوامُ نوماً رأيتهُ
حذارَ عقابِ اللهِ؛ للهِ ضارعا

يقول ملحان على الموحد لله أنْ يرتدي ثوباً أبيض غير مدنس بالآثام والذنوب؛ويتضرع إلى الله في جوف الليل ؛ والناس نيام؛ ليدرأ عن نفسه حر نار جهنم؛ فالناس غافلون يغطون في نوم عميق لا يشعرون بما يجري حولهم من فرط الإنغماس في حب الدنيا ولهوها؛ وهو مسهدٌ حذرٌ من عقاب الله؛ فهو خائف مرعوب يدعو الله ويتضرع إليه؛ لكي يجنبه شرَّ ذلك المشهد؛ وهذه الرؤية التوحيدية تتطابق وتتناص مع القران الكريم في عدة آيات منها قوله تعالى:[80]:{ وَمِنَ الليلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَة ...}؛ وقوله تعالى [81]: {واذكُرْ رَبَّكَ في نَفْسِكَ تَضَرُّعَاً وخيفة..}؛ وقوله تعالى [82]: { ادعُوا ربَّكُمْ تضَرُّعاً وَخُفْيَة ...} .

٢٩ – وقال كعب بن زهير[83] :

كلُ ابن أنثى وإنْ طالتْ سلامتهُ
يوماً على آلةِ الحدباءِ محمولُ

عندما أهدر النبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) دم كعب بن زهير بعد أنْ هجا رسول الله والإسلام؛ ضاقت عليه الدنيا بما رحبت؛ فأين سيولي وجهه؛ فالقتل سيطلبه إنْ عاجلاً أم آجلاً؛ لأنه كان يعرف يقيناً أنَّ النبي إذا ظفر به سيقتله فيموت؛ وإن لم يظفر به؛ فسيأتي عليه يوما سيموت فيه؛ وفي كلا الحالين هو ميت لا محالة؛ وبدلا من أنْ يعيش ما بقيَ من عمره خائفا يترقب؛ عليه أنْ يتخذ قراراً حاسماً يقرر فيه مصيره؛ فقرر الذهاب إلى المدينة وطلب العفو من رسول الله ؛ ومن ثم الدخول تحت راية الإسلام ليحقن دمه؛ فنظم قصيدة البردة وقدم بها إلى المدينة؛ فأنشدها بين يدي رسول الله؛ وكانت قصيدة البردة تضم بين جوانحها بيتاً يشمُّ منه رائحة تقول: كلُّ ابن ذكر وأنثى مهما امتد به العمر وعاش؛ فلابدَّ أنْ يطاله الموت في يومٍ ما ويحمل على الأعواد إلى مثواه الأخير؛ وهذا الكلام يتعالق مع قوله تعالى ويتناص مع قوله تعالى [84]: { كلُّ من عليها فانٍ ويبقى وجه ربكَ ذو الجلال والإكرام } .

الخاتمة:

بعد الاطلاع على عدد من الأبيات الشعرية التي قيلت في العصر الجاهلي التي تناصت وتعالقت مع القرآن الكريم؛ وجدنا الشعراء الجاهليين الذين تناص شعرهم مع القرآن الكريم؛ كانوا من الموحدين؛ فضلاً عن أنَّ الشعراء الجاهليين والعرب بصورة عامة كانوا مطلعين على الديانات السماوية الحنيفية واليهودية والنصرانية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية؛ بل كان عدد كبير منهم على اليهودية مثل السموأل؛ كما كان الأعشى الكبير وأمية بن أبي الصلت على النصرانية؛ لذلك لا نستغرب أنْ وجدنا مفاهيم وقيماً

وتعاليم إسلامية مبثوثة في أشــعارهم؛ وفي الوقــت نفســه ننفي عن العرب صفة الجهل التي عرف بــها عصرهم؛ فالجاهلية عند العرب قبل الإســلام؛ تعني جهلهم في الدين لا غير؛ لأنَّ سوادهم الأكبر كان يعبد الأصنام والأوثان؛ وهي حجارة لا تضر ولا تنفع؛ وآخر دعوانا أنْ الحمد لله وصلى الله على حبيبه المصطفى وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين وسلم تسليما كثيراً .

الهوامش

١–المصطلحات النقدية الحديثة: ٤٦.

٢–تحليل الخطاب الشعري: ١٢١.

٣–التناص الشعري في ديوان ابن الآبار: ٦٢ .

٤–علم النص: ٢١ .

٥–نظرية النص: ٩٦.

٦–العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢ /٢٨٩.

٧–المعلقات السبع برواية ابن الأنبا ري: ١٥.

٨–المصدر نفسه: ٢٩.

٩–العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٢٨٩.

١٠–المصدر نفسه والصفحة نفسها.

١١–ديوانه: ١٨٤.

١٢–سورة الجن: الآية ٢٦.

١٣–سورة الأنعام؛ الآية: ٥٩.

١٤–سورة يس: الآية ٧٨.

١٥–بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: ٢/٢٧٧ .

١٦–جمهرة أشعار العرب: ١ / ٧٠

١٧–سورة الدخان؛ الآيتان: ٣٤–٣٥.

١٨–سورة الجاثية؛ الآية: ٢٤.

١٩–ديوانه: ؟.

٢٠–سورة البقرة؛ الآية: ٦٠.

٢١–ديوانه: الآية ٣١.

٢٢–سورة الفيل الآيات: ٣– ٥.

٢٣–ديوانه: ١٩.

٢٤–سورة لقمان: الآية: ١٣.

٢٥–ديوانه: ١٩٨.

٢٦–سورة المائدة: الآية ٣ .

٢٧–ديوانه: ١٠٨.

٢٨–سورة الأعراف: الآية ١٦٠.

٢٩– شرح أشعار الهذليين: ٢/ ٧١٣.

٣٠– سورة الكهف: الآيتان: ٢٣–٢٤.

٣١– سورة الإنسان؛ الآية: ٣٠.

٣٢– ديوانه: ١٨.

٣٣– سورة طه :الآية ٧.

٣٤– سورة يس: الآية ١٢.

٣٥– ديوانه: ٨١.

٣٦– سورة الحج: الآية٧ .

٣٧– ديوانه: ١٨٤.

٣٨– سورة يس: الآية ٣٩.

٣٩– سورة يونس: الآية ٥.

٤٠– ديوانه: ٣٩٦.

٤١ – سورة طه: الآيتان ٤٢-٤٣.

٤٢ – ديوانه: ٣١٣- ٣١٤.

٤٣ – سورة الأعلى الآية: ٧.

٤٤ – سورة الحاقة؛ الآية: ١٨.

٤٥ – ديوانه: ٣١٤.

٤٦ – سورة مريم الآية: ٧١.

٤٧ – ديوانه: ٣١٤.

٤٨ – سورة مريم:٩٥.

٤٩ – ديوانه:٣١٦.

٥٠ – سورة القصص الآية: ٨٨.

٥١ – سورة آل عمران الآية:١٢٨.

٥٢ – ديوانه: ٣١٨.

٥٣ – مجمع البيان: ٥ / ٢١١.

٥٤ – سورة هود الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

٥٥ – ديوانه :١٤.

٥٦ – سورة المائدة: ٩٥.

٥٧ – شرح الأشعار الستة الجاهلية: ٣٤٢ - ٣٤٣.

٥٨ – سورة البقرة الآية: ١٠٢.

٥٩ – الخنساء: ٣٧.

٦٠ – سورة الرحمن الآيتان: ٢٦ – ٢٧.

٦١ – سورة القمر؛ الآية: ٥٥. ٦٢ – الخنساء: ١٢٢.

٦٣ – سورة النبأ الآية: ٤٠. ٦٤ – شعره: ٣٩٨.

٦٥ – سورة الأنعام؛ الآية: ٥٩. ٦٦ – ديوانه:٤٩.

٦٧ – ورة آل عمران الآية: ٣٧؛ وسورة النور الآية:٣٨.

٦٨ – ديوانه: ٢٠.

٦٩ – سورة الرحمن الآية: ٢٦.

٧٠ – شعر طيَء: ١/ ٢١٨.

٧١ – سورة الطلاق:٣.

٧٢ – شعر طيَء: ٢/ ٥٥٠.

٧٣ – سورة الأحزاب الآية:٣٦.

٧٤ –شعر طيَء: ٢/ ٥٦٧.

٧٥ –سورة النور الآية:٤٣.

٧٦ – شعر طيَء: ٥٨٦.

٧٧ – سورة الأحقاف: ٢١.

٧٨ – سورة المؤمنون الآية: ٤٣.

٧٩ – شعر طيَء: ٢ /٦٩٢؛ وملحان هو ابن خال عدي بن حاتِم لأنَهُ ابن أخ ماوية زوج حاتِم الطائي؛ ينظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٣٨.

٨٠ – سورة الإسراء الآية: ٧٩.

٨١ – سورة الأعراف الآية: ٢٠٥.

٨٢ – سورة الأعراف الآية: ٥٥.

٨٣ – ديوان كعب بن زهير : ٢٠.

٨٤ – سورة الرحمن الآية ٢٦ :

المصادر

- القرآن الكريم.

- أمية بن أبي الصلت: حياته وشعره – دراسة وتحقيق د. بهجة عبدالغفور الحديثي؛ ط٢؛ طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة؛بغداد؛ ١٩٩١م.

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: محمود شكري الآلوسي؛ شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري؛ ط٣؛ (د.ت؛ د.م).

-تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) — محمد مفتاح؛ المركز الثقافي العربي؛ ط٣؛ الدار البيضاء؛١٩٩٢م .

-التناص الشعري في ديوان ابن الآبار الأندلسي؛ د، بشرى عبد عطية؛ مجلة المجمع العلمي العراقي ؛المجلد٥٨ ؛ الجزء الثاني؛ بغداد؛لسنة ١٤٣٢هـ- ٢٠١١ م .

-ثمار القلوب في المضاف والمنسوب — للثعالبي(ت٤٢٩هـ)؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم؛ دار المعارف بمصر؛ (د. ت) .

-جمهرة أشعار العرب — لأبي زيد القرشي؛ شرحه وقدم له علي فاعور؛ ط١؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ ١٩٨٦م .

-الخنساء — شرح ديوان الخنساء مع أهم أخبارها - شرح وتقديم إسماعيل اليوسف؛ منشورات دار الكتاب العربي؛ دمشق — سوريا د.ت . .

-ديوان الأعشى — شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ،١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

-ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره — صنعة صالح بن مدرك الطائي ، رواية هشام بن محمد الكلبي ، دراسة وتحقيق د ٠ عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د ٠ ت .

-ديوان عبيد بن الأبرص — دار صادر؛ دار بيروت؛ ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

-ديوان كعب بن زهير — برواية أبي سعيد السكري؛ مراجعة نخبة من الأدباء؛ دار الفكر للجميع؛ بيروت؛ ١٩٦٨م .

-ديوانا عروة بن الورد والسموأل — دار صادر؛ بيروت؛ د.ت .

- ديوان النابغة الذبياني شرح وتقديم عباس عبد الساتر، منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العالمية،ط١ ،بيروت، ٢٠٠٠م.

-شرح الأشعار الستة الجاهلية — للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي؛ تحقيق ناصيف سليمان عواد؛ الجمهورية العراقية؛ وزارة الثقافة والفنون؛ ١٩٧٩م؛ بغداد .

-شرح أشعار الهُذليين — صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت٢٧٥هـ)؛ حققه عبد الستار أحمد فراج؛ وأحمد محمود شاكر؛ مكتبة دار العروبة؛ مطبعة المدني؛ القاهرة؛ ١٩٦٥م .

-شرح ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي — شرح وتحقيق د.رحاب عكاوي؛ دار الفكر العربي ؛ط ١ ؛ بيروت؛ ١٩٩٦م .

-شعر الربيع بن زياد — تحقيق د. عادل البياتي؛ مجلة كلية الآداب؛ المجلد الأول؛ العدد: ١٤ ؛ لسنة ١٩٧م .

-شعر زهير بن أبي سلمى — صنعة الأعلم الشنتمري؛ تحقيق د. فخرالدين قباوة؛ منشورات دار الآفاق الجديدة؛ ط٣ ؛ بيروت؛ ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

-شعر طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام — جمع وتحقيق ودراسة د.وفاء فهمي السنديوني؛دار العلوم للطباعة والنشر؛ ط١ ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م؛ الرياض .

-علم النص — جوليا كرستيفا؛ ترجمة فريد الزاهي؛ دار توبقال للنشر؛ (د.ت؛ د. م) .

-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده — لابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)؛ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد؛ دار الجيل؛ ط٤؛ بيروت ؛١٩٧٢م .

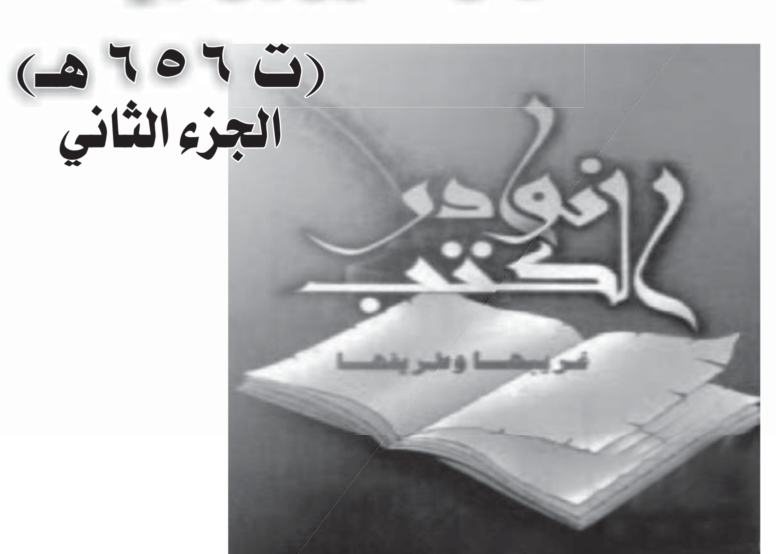
-مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم — للطبرسي؛ وضع حواشيه وخرج آياته وشواهده ابراهيم شمس الدين؛ منشورات دار الكتب العلمية؛ ط١؛ بيروت — لبنان ؛ ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

-المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم إنكليزي وعربي)؛ د.محمد عناني؛ الشركة المصرية العالمية للنشر ؛ ط٢؛ القاهرة؛ ١٩٩٧م .

-المعلقات السبع — برواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري؛ إعداد ومراجعة عبدالعزيز محمد جمعة، الكويت ؛ ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .

-نظرية النص — رولان بارت؛ مجلة الفكر العربي والعالمي؛ نت.

ديوان
موفق الدين بن أبي الحديد المدائني
(ت ٦٥٦ هـ)
الجزء الثاني



د. عباس هاني الجراخ
التربية الاساسية / بابل

المورد العدد الثالث لسنة ٢٠١٥

[٢١]

قال موفق الدين: [الكامل]

١- لو يعلمون كما علمتُ لَمَا لَحَوا
في حُبِّهِ، ولأقْصَرُوا إقْصَارَا

٢- هَلاَّ أحَدِّثُكُمْ بِسِرٍّ لطيفَةٍ
دَقَّتْ إلى أنْ فَاتَتِ الأبصَارَا

٣- حاذَتْ صِقالَ خُدودِهِ أصداغُهُ
فتمثَّلَتْ للناظِرِينَ عِذَارَا

التخريج:

قلائد الجمان (المخطوط) ٥/ ٣٠٤، (المطبوع) ٥/ ٣٦٧، ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٨، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٢٦، فوات الوفيات ١/ ١٥٤، عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٥- ١٦٦ عقود الجمان ٦٣أ، سرور الصبا والشمول ٢٢٥ب.

التعليقُ:

٣- فوات الوفيات: "جادت".

[٢٢]

كتبَ موفقُ الدين إلى أخيهِ عبد الحميد لمّا صنَّف كتاب

(المثل السائر): (السريع)

١- المثـلُ السَّائـرُ يـا سيِّدي
صنَّفـتَ فيـهِ الفَلَـكَ الـدَّائِـرا

٢- لكـن هـذا فلـكٌ دائـرٌ
أصبحـتَ فيـهِ المثـلَ السَّائِـرَا

التخريج:

بغية الطلب ٣/ ١٢١٤ ،وفيات الأعيان ٥/ ٣٩٢ ،ذيل مرآة الزمان ١ /٦٥ ،الوافي بالوفيات ٨/ ٢٢٦، ١٨ /٧٧ نصرة الثائر ٤٤، فوات الوفيات ١/ ١٥٥،٢/٢٥٩ ، عيون التواريخ ٢٠/ ١١٤ ،عقود الجمان ٦٣ أ، المنهل الصافي ٧/ ١٥٠.

التعليقُ:

٢. بغية الطلب، البدر السافر: "تصير فيهِ".

[٢٣]

قال يمدح الخليفة المستعصم بـالله عند عودتهِ الى بغداد من واسط سنة ٦٤٥هـ: (الكامل)

١- عادتْ لعودَتِكَ الحيَاةُ إلى الورَى
وَتمتَعَتْ تلكَ النَّواظِرُ بالـكَرَى

٢- وتحقَّقَ المَثلُ الـذِي نطَقُوا بـهِ:
عند التصبُّحِ يحمد القومُ السُّرَى

٣- اللهُ جـارُ خليفـةٍ مُستعصِمٍ
بـالله أنَى سارَ أو أنـى سَرَى

٤- يا سَيِّدَ الخُلفَاءِ يـا مَنْ عَدلُهُ
أحيا القُرى، ونوالُهُ سَنَّ القِرَى

٥- أثرَى بِجُودِكَ كُلُّ حيٍّ ناطقٍ
وهمَى فَروَى منْ سَحَائِبِهِ الـثرَى

٦- مَـا أنتَ إلاّ الغَـيثُ روَّى بُقعَةً
وسَرَى إلى أخـرَى فَجَادَ وَأكْثرَا

التخريج:

العسجد المسبوك ٥٥٣.

التعليقُ:

٢. يشيرُ إلى المثل المشهورِ: "عند الصباح يحمد القوم السرى". ويُضرب في حصول الراحة بعد التعب والعناء. مجمع الأمثال ٢ /٣١٨، فرائد الخرائد ٣٥٠-٣٥١، المستقصى ٢/ ١٦٨، زهر الأكم ١/ ٢٥٢.

٤. القِرَى: إطعام الضيف.

[٢٤]

قال: (الكامل)

١- يا هاجِري لمّا رأى شَغَفِي بـهِ
مـا كانَ حقُّ مُـتـيّـمٍ أنْ يُهْجَرا

٢- إنَّ الذي خلَقَ الغَرامَ هو الذي
خَلَقَ السُّلُوَّ فـلا يَغُرُّكَ ما ترى

التخريج:

قلائد الجمان (المخطوط) ٥ /٣٠٤ ب (المطبوع) ٥/ ٣٦٧ ذيل مرآة الزمان ١/ ١١٠، مسالك الأبصار ١٢ /٣٢٤ عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٦.

التعليقُ:

١. عيون التواريخ: "حقّ مُحبِّكم".

٢. عيون التواريخ: "ما جرى".

[٢٥]

قال: (السريع)

١- على ليالـي حلبٍ بَعدنـا
منِّـي سـلامٌ رائِـحٌ بـاكِـرُ

٢-وكيف أنسى حاضراً زارني
فيها، وقد طاب لنا الخاطرُ

التخريج: ذيل مرأة الزمان ١/١٠١.

[٢٦]

قال: (الطويل)

١-فديتك ما لي عنكَ يا قاتلي صَبر
وما مَرضي إلاّ فراقُكَ والهَجرُ
٢-يطولُ زماني بالتفكّرِ والأسَى
وكمْ جلَبَ الأحزانَ للعاشقِ الذِّكْرُ
٣-نهاري من بعدِ الأحبَّةِ ما لـهُ
أصيلٌ، وليلي بعدهُمْ ما لـهُ فَجرُ
٤-ولَمَّا التقينا ساعة سَمحتْ بِهَا
ظروفُ الليالي، واستلذَّ بِهَا العُمْرُ
٥-تذكَّرتِ الأيَّامُ سالفَ غدرِهَا
فهبَّتْ رياحُ الغربِ،وانحبَسَ القَطرُ
٦-وكدَّرتِ العيشَ الذي كانَ بيننا
وأيّ نعيمٍ لا يكدرهُ الدَّهرُ

التخريج: معجم شيوخ الدمياطي ١/٤٠٥ .

[٢٧]

في سنة ٦٥٤هـ تقلَّد إسماعيل بن الحسن بن المختار (*) نقابة الطالبيين، فقال موفق الدين القاسم في ذلكَ من قصيدةٍ: (الكامل)

١-إنَّ النقابةَ لمْ تزلْ في بيتكُمْ
تختارُ كُفؤاً من بني المُختارِ
٢-آمَتْ، وليس على المَناصب عِدَّةٌ
فَسَما لها ذو سُؤددٍ وفَخارِ
٣-زالتْ بإسماعيل عنها وَحشَةٌ
لِفراقِ صاحبِها العزيزِ الجارِ
٤-لفراقِ ذي الشّرفَينِ والرّجُلِ الذي
جَمعَ السِّيادةَ منْ تقى وفَخارِ
٥-فالحمدُ لله المُثبِّتِ أمرَها،
أنتمْ لها سَكَنٌ ودارُ قَرارِ
٦-عزمَاتُ داود، وأينَ كمثله؟
هُو صَانها من وَصمةٍ أو عَارِ

التخريج: العسجد المسبوك ٦٠٤.

التعليقُ:

(*) توفي سنة ٦٣٥هـ. الحوادث ٣٢٨، العسجد المسبوك ٦١٢.

٢. في الأصل: "أأمت"، وشكَّ فيها المحقِّقُ، ولم يعرف صوابها، والصحيحُ ما أثبتناهُ. فالناسخ يرسم الهمزة الممدودة همزتين، فهي (آمت)، من: الأيِّم، وهي المرأة التي لا زوج لها.

[٢٨]

نزلت حمامة على رأس القاضي عبدِ الرَّحمن اللمغانيّ (*)، وبقيَتْ زَمَنًا طويلاً، فقال موفقُ الدين القاسم ارتجالاً (الكامل)

١-قد قيلَ في وَصفِ النَّبيِّ وصَحبه
في ما سمعناهُ مِنَ الأخبارِ:
٢-كانوا إذا ما الطَّيرُ فوقَ رُؤوسهمْ،
فالآنَ شُوهِدَ ذاكَ بالأبصَارِ
٣-في مجلسِ المَولى الوَزيرِ مُؤيَّدِ الـ
ـدينِ الحنيفِ وناصرِ الأنصارِ

التخريج: الحوادث ٢٦٦.

التعليقُ:

(*) أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد السلام الحنفي. ولد سنة ٥٦٤هـ، وحصل على منصب أقضى القضاة

سنة ٦٣٣هـ. توفي سنة ٦٤٩هـ. تاريخ الإسلام ١٤/٦٢٠، العسجد المسبوك ٤٧٢، الحوادث ١١٣، عقد الجمان ١/٥٦، المنهل الصافي ٧/١٨٤.

[٢٩]

لمَّا فُتِحَتْ إربل سنة ٦٣٠هـ، قال أبو المعالي موفق الدين قصيدة، أوَّلها: (البسيط)

١- ما يثبتِ المُلْكُ بينَ الخوفِ والخَطَرِ
حتى يقامُ ويُسقى من دَمِ البَشَرِ

٢- لكل شيءٍ طريقٌ يُستفادُ بـه
وليسَ للعزِّ غيرُ الصَّارمِ الذَّكَرِ

منها:

٣- ما فتح أربل عن بَخْتٍ لذي دعَةٍ
ولا اتفاقًا كبعضِ النصرِ والظَّفَرِ

٤- لكنه كانَ قَصد القَادرينَ وأفـ
ـعَال المطيعين عن قَصدٍ وعَن فِكَرِ

٥- فليسمحِ الأشعريَّ اليوم لي فَأن
في فتحِ إربل لا ألوي على القَدَرِ

التخريج: الحوادث ٧٢، العسجد المسبوك ٤٥٤.

التعليقُ:

٣. العسجد المسبوك: "إلاَّ اتفاقًا".

٤. العسجد المسبوك: "كان كسب".

٥. الأشعريُّ: أبو الحسن علي بن إسماعيل، تُوفِّيَ نحو سنة ٣٣٣هـ، وإليهِ تُنسب الأشعريَّة. وفيات الأعيان ٥/٤٤٦، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٥٩.

[٣٠]

لمَّا فُتحت المدرسة المستنصرية سنة ٦٣١هـ قال أبو المعالي: [الكامل]

١- ما مُثّلَ الفلكُ العظيمُ لِمُبصرٍ
في الأرضِ قبل إيالةِ المُستنصرِ

٢- هذا بناءٌ مُعربٌ عن قُدرة
رُفِعَت قَوَاعِدُهُ بفعلِ مُظهرِ

٣- حَسَدَت به الأرضَ السَّماءُ، ولمْ يزلْ
حَسَدُ الفضائلِ في طباعِ العُنصُرِ

٤- أنظُرْ تجِدْ نظْمَ الثُّريَّا في ذرى
شُرُفاته، وضياء نورِ المشتري

٥- ضَحِكَ الزَّمانُ، وذاكَ بعدَ عُبُوسه
ورأى الصَّوابَ، وذاكَ بعد تحيُّرِ

٦- فالأفقُ بينَ مُذهَّبٍ ومُفضَّض
والجوُّ بين مُكوفرٍ ومُعنبَرِ

٧- والأرضُ حاسرةُ القناعِ كأنَّها
خَودٌ تبرَّجُ في رداءٍ أخضَرِ

٨- تزهو بِمَا عمرَ الخليفةُ فوقها
علمًا لأحكام البشيرِ المُنذرِ

٩- بالجانبِ الشَّرقيِّ بالشَّاطِي الذي
هو طورُ سينا كُلِّ صاحبِ منيرِ

منها:

١٠- ما حقُّ دجلة أن تفوهَ بلفظةٍ
قهرت، وأيُّ مُساجِلٍ لمْ يُقهَرِ؟

١١- غلبَ العطاءَ الماءُ فيها، وانثنى
سدًّا يفوقُ صناعةَ الإسكندرِ

١٢- إنْ أصبحَتْ بَحرًا فإنَّ بَنانَهُ
بإفاضَةِ المعروفِ خمسةُ أبحُرِ

١٣- وَضَعَ الإمامُ بها أساسَ بَنائه
والموجُ بينَ مُجمجِمٍ ومُزمجِرِ

١٤- قصراً ومدرسةً لِمَنْ طلبَ الغِنى
أو رامَ شأواً والعالمِ المُتبحِّرِ

١٥- هيَ جنةُ الفردوسِ يجري تحتها
مِن ماءِ دجلة ماءُ نهرِ الكوثرِ

١٦- حصباؤها درّ النّظام، وتربُها
مِسكُ الجذوبِ، وطينُها كالعنبَرِ

١٧- أضحَى سليمانُ الزّمانِ وأهلهُ
مُستخدمًا فيها بجنةِ عبقرِ

١٨- لَبِسَ الغبيُّ بها شَهامةَ ماهرٍ
وغدا المُقلُّ مُزاحمًا للمُكثرِ

١٩- لمْ تخلُ مِنْ حَبرٍ وشيخٍ فاضلٍ
يروي الحديثَ، وساجدٍ ومُعفّرِ

٢٠- قد كانتِ الفُقراءُ قبلَ بنائها
في كُلِّ قُطرٍ واحدٍ لمْ يُذكرِ

٢١- فِرَقًا يشقُّ على المريدِ طِلابُها
في الشّرعِ والمطلوبِ كالمُتعذّرِ

٢٢- فاليوم قد جُمِعَتْ أمورُ الدِّين في
أرجائِها، وأزيلَ عذرُ المقصرِ

التخريج: الحوادث ٨٣ - ٨٤.

التعليقُ:

٦- مكوفر: فيه الكافور، معنبر: فيهِ طِيبُ العنبر.

٢٠- في البيت وما بعدهُ إشارة اجتماع المذاهب الأربعة في هذه المدرسة.

٢١- في الأصل: "فرقى"، وهي هنا خبرٌ للفعل الناقص في البيت السابق.

[٣١]

(البسيط)

قال القاسم بن هبة الله بن أبي الحديد الشاهد المعدل جوابَ مكاتبة:

١- إني وأيامكَ اللأتي أعزّ بها
ومن يقيني في علياكَ مَحذوري

٢- قبِلتُ موقعَ ما أجريتَ منْ قلمٍ
عالٍ وأصبحتُ في أثوابِ مَسرُورِ

٣- كأنما كُنتُ مُوسَى حينَ فاجأهُ
خطُّ الإلهِ على الألواحِ في الطُورِ

[٣٢]

وقال يمدح تاج الدين محمد بن الحسن الأرمويّ:

(الكامل)

١- لو كان ينفعُ عاشقًا تذكارهُ
لَخَبتْ منَ القلبِ المُعنَّى نارُهُ

٢- زمنَ الحِمَى لا جادَ غيرُ حماكَ لي
دمعٌ، ولا بلَّ الثرى مدرارُهُ

٣- أينَ الشُموسُ المُشرقاتُ لدَى الضُحَى
حُسنًا، وهُنَّ منَ الدُّجى أقمارُهُ؟

٤- النّاسياتُ نفوسَهنَّ، وإنما
أودى بهنَّ منَ الشّبابِ خُمارُهُ

٥- لا غروَ أنْ حنَّ الغريبُ صَبابةً
وتزايدتْ لفراقِها أوطارُهُ

٦- مُتقسّمُ الأحشاءِ، لا أوطانُهُ
هذي البلادُ، ولا الدِّيارُ ديارُهُ

٧- ومُهفهفٍ كالغُصنِ تعطفُهُ الصَّبا
وسنانَ، أسكرَ طرفَهُ خَمّارُهُ

٨- يا مُسعدي علامةً في حُبِّهِ
جهلاً، وفي إسعادهِ إقصارُهُ

٩- لو لمْ أجدْ عذرًا صحيحًا في الهوى
لَوَفَى بعُذري في هواهُ عِذارُهُ

١٠- وجهٌ لو أضلّتنا مجوسُ زمانِهِ
سَجَدتْ لهُ لمّا أضاءَتْ نارُهُ

١١ـوقوامُ غُصنٍ ما تعرَّضَ عاشقٌ
إلاَّ رأى أنَّ الصُّدودَ شِعارُهُ
١٢ـعرَفَتْ لَواحظُكَ المريضةُ مَقتلي
وقتيلُ لَحظِكَ ليسَ يُطلبُ ثارُهُ
١٣ـفكأنَّ تاجَ الدِّينِ أودعَ عندهَا
حَمْلَ الغُيوبِ، فإنها أسرارُهُ
١٤ـيا ابنَ الحُسينِ لقد بَنَيتَ لِفارسٍ
مجدًا يُنيفُ على النُّجومِ نجارُهُ

التخريج:

قلائد الجمان (المخطوط) ٥ /٣٠٢ ؛(المطبوع)٥/ ٣٦٣ – ٣٦٤.

التعليقُ:

١٠ ــ في المطبوع:"وجهٌ لواحظنا"،وهو خلاف المخطوط والمعنى المراد.

السين

[٣٣]

وقال يمدح تاج الدين محمد بن الحسن الأرمويّ: (البسيط)

١- أردد لثامك حتى يستر اللعسُ
وقِفْ ليبعدَ عن أعطافِكَ المَيَسُ
٢ـإنِّي أغارُ على حُسْنٍ حبيتَ بِهِ
أصابةَ العينِ، إنَّ العينَ تختلسُ
٣ـيا غاصبَ الخشفِ أوصافًا مُكمَلَةً
لم يبقِ للخشفِ إلا السوق والخنسُ
٤ـوفاضحَ البدرِ، إنَّ البدرَ مقتبسٌ
منَ التي هيَ في خدَّيكَ تقتبِسُ
٥ـمعدلُ الخلقِ لا طولٌ ولا قِصَرٌ
مُكمَلُ الخَلقِ، لا هينٌ ولا شَرِسُ
٦ـيُصحِّني حُبُهُ طَورًا ويُمرضُني
فكم أبلُ منَ البَلوى وأنتكسُ
٧ـحَموهُ عن كُلِّ ما يَشفي العَليلَ بِهِ
حتى على طيفهِ من شَكْلِهِ حَرَسُ
٨ـقد كنت أبصرُ صُبحًا في مَحبَّتِه
فَعادَ وَهوَ بِعَيني كلَّهُ غلسُ
٩ـما لي وللحبِّ يلهو القلبُ عن مدحٍ
أوصافُها فُصُحٌ، أضدادُها خُرسُ
١٠ـكيف الذهولُ وتاجُ الدِّينِ خيرُ فتًى
خيرُ المَديحِ بِخَيرِ النَّاسِ يُلتمَسُ
١١ـحَبرٌ تفيضُ بهِ نفسٌ بِهمَّتِها
لم يبقَ للشَّرِّ لا روحٌ ولا نفَسُ
١٢ـنورٌ تلقَّتهُ نفسٌ منكَ طاهرةٌ
لولاه لم يبدُ فينا ذلك القبسُ
١٣ـشاركْتَ في الروحِ عيسى ما استبد بها
كلاكما في البرايا روحُهُ قُدُسُ
١٤ـحكمتَ في العالمِ العلوي عن نظرٍ
صافٍ منَ الشَّكِّ ما في فكرِهِ دنسُ
١٥ـولو رأى منك جالينوس معجزةً
ما قال في الكلِّ إنَّ الأمرَ مُلتبسُ
١٦ـوكاد يؤمن بقراطُ الحكيم بما
يُلقَى إليه، ولا يرتابُ برقلسُ
١٧ـوحومةٍ مزجت شكًّا جوانبُها
فَما دَرَى الحبرُ فيها كيفَ يَنغَمِسُ
١٨ـأعيا الخَواطرَ فيها حادثٌ جللٌ
واستعبدَ النطقَ في أرجائها الخرسُ
١٩ـحتى إذا جاءَ تاجُ الدينِ فرَّجَها
يغضى البيادقَ مهمَا عدَّتِ الفرَسُ

التخريج:

قلائد الجمان (المخطوط) ٥/ ٣٠٣، (المطبوع) ٥/ ٣٦٤ – ٣٦٥ ، ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٨ – ١٠٩، عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٦.

- شذرات الذهب:(١– ٥، ٧– ٨).
- سرور الصبا والشمول ١١٦ ب.
- مسالك الأبصار ١٢/ ٣٢٤: (٦ فقط).

التعليقُ:

١ــ شذرات الذهب: " استر لثامك ".

الأعطافُ، عِطفا الرجلِ: جانباه عن يمين وشمال.

اللعسُ: لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلاً.

الميسُ: التبخترُ.

٣ــ عيون التواريخ: "حببت"، تصحيف.

الخشف: ولد الظبية.

٦ــ مسالك الأبصار: " وينكسني، فكم أصحُّ ".

أبلَّ: شفي من مرضه، وعكسه: انتكسَ.

٨ــ الغلس: ظلمة آخر الليل.

١٦ــ بقراط: الطبيب الفيلسوف. عاش نحو تسعين عامًا. تاريخ الحكماء ١٩٠ – ١٩٤.

برقلس: حكيم يوناني يقولُ بالدَّهرِ. تاريخ الحكماء ٨٩.

[٣٤]

قال: (البسيط)

١ـ للّـه مجلسُ لَهْوِباتَ يجمعُنَا
مـعَ الصَّبَا بيـنَ آصَالٍ وأغـلاسِ

٢ـ يسعَى النَّديمُ فيُبطي الكأسُ في يده
عن شُربها فيحثُّ الكأسَ بالكاسِ

٣ـ كأنَّ إبريقنا قد حارَ حين رأى
مَصارعَ الترك بينَ الوردِ والآسِ

٤ـ فَمَدَّ إحدى يديه فعلَ مُنزعجٍ
منها، وردَّ اليدَ الأخرَى على الرَّاسِ

التخريج: البدر السافر ٢/ ٥٤ أ.

العين

[٣٥]

قال في غُلامٍ عجزَ عن استيفاء جَذبِ القوسِ: (الكامل)

١ــ ظبيٌ يُعاني شدَّةً في جذبه
سِيَةَ الحنيَّةِ، مُغرِقًا في نزعِهِ

٢ــ فكأنَّها شكوى هواهُ مُحرَّمٌ
أبدًا عليه أنْ يلمَّ بِسَمعِهِ

التخريج: معجم شيوخ الدمياطي ١/ ١٩٤ أ.

الكاف

[٣٦]

قال: (الكامل)

أمَّا الذَّكيُّ فحظُّهُ كخيالِه
متقلقلٌ، مُتغيِّرٌ، لا يُملَكُ

وسعادةُ البلهاءِ مثلُ طباعِهمْ
بلهاءُ لا تمشي ولا تتحرَّكُ

التخريج: الدرُّ الفريد ٢/ ٢٦٧.

[٣٧]

قال يمدحُ المستنصر بالله (*) لمَّا ضربَ الدراهم الفضيَّةَ بدلاً من الذَّهبيَّة سنة ٦٣٢هـ: (الخفيف)

١. لا عدِمْنا جميلَ رأيكَ فينا
أنتَ باعدتنا عن التطفيفِ

٢. ورسمتَ اللجينَ حتى ألفنا
هُ، وما كانَ قبلُ بالمألوفِ

٣. ليس للجمع كان منعكَ للصر
فِ، ولكن للعدل والتعريفِ

التخريج:

المختار من تاريخ ابن الجزريّ ١٥٨، تاريخ الاسلام ١٤/ ١١، العسجد المسبوك ٤٦٥، التذكرة المنهاجية ٨/ ٥ ب، تاريخ الخلفاء ٥٤٦، سمط النجوم العوالي ٣/ ٥١٤.

التعليقُ:

(*)هو:منصور بن محمد. وُلِد سنة ٥٨٨هـ، وخلافته من سنة ٦٢٣هـ إلى وفاته سنة ٦٤٠هـ. الحوادث ١٨٥ – ١٨٧، الفخري ٢٤٠ – ٢٤٢.

١. التطفيف: النقص في المكيال.

٢. اللجين: الفضَّة.

٣. النقود والمكاييل: "صنعك"، تحريف.

[٣٨]

قال: (السريع)

١ـ قد كنتُ - قد أفلحَ - أتلو، وقد
بُدِّلَت منها سُورةُ الكَهْفِ:

٢ـ ما الضبعةُ العرجاءُ صَيدي،
ولا أَصيدُ غيرَ الرِّيمِ والخَشْفِ

٣ـ ولا بطونُ السُّفنِ شرطي، ولا
أركبُ غيرَ الظَّهْرِ والرِّدْفِ

٤ـ والخلفُ لا القُدَّامُ من مَذْهَبي
وإنْ مَشَى حالي إلى الخلفِ

التخريج:

البدر السافر(فوزي)(عايش) ١/رقم ٧٧.

البدر السافر(فوزي) ١ / ١٩٤، عدا الاخير

التعليقُ:

١ـ البدر السافر (فوزي):" قد كنت قد أتلو وقد"، تحريف.

[٣٩]

قال: (السريع)

ما بالهُ يجفو، وفي صُدغه
واوٌ، ووضْعُ الواوِ للعَطفِ

ما عندهُ عُذرٌ، ولكنَّهُ
مُغالطًا نصبًا على الظرفِ

التخريج: المرج النضر ٢٩ ب.

القاف

[٤٠]

قال: (الطويل)

١- أبى اللهُ أنْ أنساكُمُ، أنتمُ الحيَا
وإنْ جَحدتْ دارٌ، وطالَ فِراقُ

٢ـ إذا ذكرتْ لي أيَّامُكُمْ هزَّني لها
تذكُّرُ محذوفٍ حَشاهُ يُشاقُ

٣ـ فإنْ كانَ تركي للرَّسائلِ عندكُمْ
خلافًا، ففي طيِّ الضَّميرِ وِفاقُ

٤ـ وقد توجزُ الأقوالُ، وهي مَوَدَّةٌ
وقد تبسطُ الأقوالُ، وهي نفاقُ

التخريج: معجم شيوخ الدمياطي ١/ ٤٠٥.

[٤١]

قال: (الطويل)

أغارُ إذا ما الرَّكبُ أذكَوا عيُونهُم
إلى البارقِ النَّجديِّ بالغَوْرِ أو شاقُوا

التخريج: الدرُّ الفريد ٢/ ١٧٣.

[٤٢]

قال: (الكامل)

١. إنِّي هجرتُك غيرةً لا سلوةً
وصَدَدتُ عنكَ، وعِندِيَ الأشواقُ

٢. وكذا العزيزُ تحطُّهُ أيدي الهوَى
شَغَفًا، وترفعُ قدرهُ الأخلاقُ

٢. بينَ التعزُّزِ والتذلُّلِ موقفٌ
يدري بهِ وبحالهِ العُشَّاقُ

التخريج: الدر الفريد ٣/ ٩٧.

[٤٣]

خرجَ صدر الدين عليّ بن النيَّار سنة ٦٤٤هـ

معتمدًا على يدِ فرّاش، فلمّا رفع يـدَهُ عنـهُ زلـقَ الفرَّاشُ، فقال موفق الدين: (المنسرح)

١ - مَـولايَ شيـخَ الشُيُـوخِ دُمتَ لنـا
مُكمَّـلَ الخلـقِ فـاضـلاً خُـلـقَا

٢ - بِـالأمـسِ لَمّـا مَشيتَ مُعتمِـدًا
حَـيـثُ خَشِـيتَ المـاءَ والـلَّثقَا

٣ - كُـنتَ عِمادَ الـذي اعتَمَدتَ على
يـديـهِ، حـتى تجـاوزَ الطُرُقَـا

٤ - دليـلُ هـذا ولا خفـاءَ بـهِ،
أنـكَ لـمّـا تركـتـهُ زلـقَـا

٥ - وهكـذا كـلُ مَـنْ رفعتَ يـدًا
عنـهُ وخلَّيـتهُ أصـابَ شَقَـا

التخريج: الحوادث ٢٥٢.

التعليقُ:

٢ـ اللثقُ: النَّدَى.

٥ـ شقا: شقاء، وحُذِفتِ الهمزةُ للضرورة.

[٤٤]

قال موفق الدين: (البسيط)

١ - أسعِدْ بديـرِ سَعِيـدٍ أيُهـا السَّاقي
وامزِجْ وخُذْ وأعطِني مِن غيرِ إشـفَاقِ

٢ - مِنْ خَندَريسٍ كـأنّي حينَ أشْرَبُهـا
ملسـوعُ هَـمٍّ تحَسَّى كـأسَ درياقِ

٣ - نـارٌ ولكنهـا للمـاءِ عـاشقـةٌ
تزدادُ مـن وصلـه ضوءًا بـإشـراقِ

٤ - شُجَّـتْ فـألبستِ الساقي بصبغتِهـا
ثوبـاً، وألبسـنيه ذلـك الساقـي

٥ - تجري الكؤوسُ فـلا تجري محادثةٌ
مـعَ الـذي زادَ في همـي وأشواقـي

٦ - لم أقضِ في عمري الماضي هوى حلبٍ
يا ليتَ شعري فهل أقضيه في الباقي؟

٧ - وذي قـوامٍ تثنّى فـي غلائلـهِ
مثلَ القـضيبِ تثنّى بـينَ أوراقِ

٨ - نظمتُ مـن غزلٍ في حسنِ صورتـهِ
عقـداً تقـومُ بـهِ الدنيا على سـاقِ

٩ - يا عقربَ الصَدغِ في الخدِّ الأسيلِ أمَا
لِمَـنْ لبستِ شفاءً منـكَ أوراقـي؟

التخريج:

قلائد الجمان (المخطوط) ٥ /٣٠٢أ، (المطبوع) ٥/ ٣٦٣، ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٥.

عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٣: (ما عدا ٤).

التعليقُ:

١. دير سعيد: يقع غرب الموصل، قـريب من دجلة. معجم البلدان ٥/ ٥١٥، ولم يرد في كتاب (الديارات).

٢. الخندريس: من أسماء الخمر.

الدرياق: مادة تدخل الجسم بـكميّات متزايدة تدريجيًا من المواد السامَّة، كي تكسبهُ مناعة ضِدَّ السـموم. تكملة المعاجم العربية ٨/ ٥٧.

٤. شُجَّتْ: مُزِجَتْ.

٧. الغلائل: جمع غلالة، وهو ثوب مُفرط في الشفوف والشفافية. المعجم المفصَّل بأسماء الملابس ٢٦١.

٩. اللسبُ: اللدغ. عيون التواريخ: "لسعت".

[٤٥]

قال موفق الدين: (الكامل)

قمـرٌ عـدمتُ عواذلـي في عشقـهِ
بـل ما عدمتُ تزاحـمَ العُشّاقِ

يبـدو فـتسبقهُ العـيُونُ، وإنهـا
مأمـورةٌ بالـغضِّ والإطـراقِ

عينـايَ قـد شهِدَا بعِشقكَ إنمَـا
لـكَ أنْ تقـولَ: هُمَـا مِنَ الفُسَّاقِ

التخريج :

ذيل مرآة الزمان ١ /١٠٧،الوافي بالوفيات ٨/ ٢٢٦، فوات الوفيات١/ ١٥٥، عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٥، عقود الجمان ٩٣ أ.

التعليقُ:

الوافي بالوفيات، عيون التواريخ: "في حبِّهِ".

فوات الوفيات: "بالغمضِ".

[٤٦]

قال موفق الدين: (البسيط)

١ - أفدي الذي زارني والخوف يقلقه
يمشي ويكمن في العطفات والطرقِ

٢ - قَبَّلتُ أطرافَ كفَّيه على ثقةٍ
بالأمنِ منهُ وخديهِ على فَرَقِ

٣ - وكان في أخريات السُكْرِ مضطربا
إذا أرادَ انتظامَ اللفظِ لمْ يطقِ

٤ - لله ما أحسنَ الصهباءَ مُنعمةً
عليَّ، إذ علَّمَتهُ طيبةَ الخُلُقِ

٥ - أهدَتْ إليهِ سُرُورًا نلتُ مُعظمَهُ
كالفعلِ يَنصِبُ مفعولينِ في نسَقِ

التخريج:

ذيل مرآة الزمان١/ ١٤٨،عيون التواريخ٢٠/١٦٦-١٦٧،البدر السافر ٢/ ٥٤ أ، المرج النضر ٣٥ ب.

اللام

[٤٧]

لمَّا فُتِحَتْ دار الكتب التي أنشأها الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي(*) سنة ٦٤٤هـ قال موفق الدين:

(المتقارب)

١- رأيتُ الخزانةَ قد زُيِّنتْ
بِكُتْبٍ لها المنظرُ الهائلُ

٢- عُقولُ الشيوخِ بها أُلِّفتْ
و(محصولُه) ذاك و(الحاصلُ)

٣- ولمَّا مثلتُ بها قائمًا
وأعجبني الفضلُ والفاضلُ

٤- تمَثَّلتُ أسماءَها منكُمُ
على النقلِ ما كذبَ الناقلُ

٥- بها (مجمعُ البحرِ) لكنَّهُ
منَ الجودِ ليسَ لهُ ساحلُ

٦- وفيها (المُهذَّبِ) من فضلكُمْ
و(مُغنٍ) ولكنَّهُ نائلُ

٧- وفيها (الوسيط) بما نرتجيه
وفيها (النهايةُ) و(الكاملُ)

٨- وإنْ كانَ أعوزها (شاملٌ)
فقد زانها جُودُكَ الشَّاملُ

٩- وإنْ كان قد فاتها فائتٌ
أبو الفضلِ في علمهِ كاملُ

التخريج: الحوادث ٢٥١.

التعليقُ:

(*)أبو طالب محمد بن أحمد العلقميّ. كان عالمًا فاضلاً أديبًا. صار وزيرًا سنة ٦٤٣هـ. ذيل مرآة الزمان ١/ ٨٥ - ٨٩، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٦٢، تلخيص مجمع الآداب ٤ ١/ ٣٠٦، الحوادث ٣٤٦ - ٣٥٦، الفخري ٢٤٦.

٢. المحصول: (المحصولُ في الفقه) لفخر الدين الرازي(ت ٦٠٦هـ)، أما (الحاصل) فلعلَّهُ للأرمويّ.

٦. المهذب في الفقه: لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، و (المغني) لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة العدويّ الجمّاعيلي المشهور بابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ).

٧. -الوسيط: للغزالي (ت ٥٠٥هـ)، و (النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) و (الكامل في التاريخ) فلأخيه عز الدين (ت ٦٣٠هـ).

٨. الشامل: كتاب للفقيه الشافعيّ أبي نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد الصباغ (ت ٤٧٧هـ).

٩. أبو الفضل: كنية الوزير ابن العلقمي.

[٤٨]

قال: (مجزوء الكامل)

شوقي إليكَ لذاتِهِ
والى سِواكَ مُعَلَّلُ

والحُسنُ بالتشكيلِ إذ
هُوَ في قِوامكَ أكمَلُ

والعشقُ شكلٌ ثالثٌ
وهو شاكلٌ لي أوّلُ

التخريج: معجم شيوخ الدمياطي ١/٤٠٥.

[٤٩]

قال: (مخلّع البسيط)

أستغفرُ اللهَ مِن ذنوبِ
قد هدَّني ثقلها الثقيلُ

وليس لي صالحٌ كثيرٌ
وليسَ لي صالحٌ قليلُ

ما لي سوى أصل حسنُ ظنّي
وانّه بالرِّضا كفيلُ

التخريج: جزء فيه أحاديث عوال ٢١٤ أ.

[٥٠]

قال يَرثِي عضدَ الدَّولةِ المباركَ بنَ رئيس الرؤساء ابن المسلمة (*): (الكامل)

١- أنظُر إلى العلياءِ كيفَ تزولُ
ومراتبِ الأحوالِ كيفَ تحولُ

٢- واعلمْ بأنَّ الدَّهرَ ليسَ بحافظٍ
عَهْدًا، ولا هو للأنامِ خليلُ

٣- مات الذي كُنَّا نعيشُ بفضلهِ
ولَسَوفَ يتلو الفاضلَ المفضولُ

٤- قُلْ للكواكبِ ما أردتِ فحاولي
لم يبقَ في الدُّنيا عليكِ دليلُ

٥- ذهبَ الذي رَصَدَ النُّجُومَ رياضةً
فأطاعهُ التسييرُ والتعديلُ

٦- لو كان بطليموسُ في أيّامِهِ
لَغدا وناظرُ فكرتِيهِ كليلُ

٧- جمَعَ الرُّوايةَ والدِّرايةَ فاستوى
في وَصْفِهِ المنقولُ والمعقولُ

٨- فيهِ أسانيدُ الحديثِ صحيحةٌ
وبهِ استُفيدَ الجرحُ والتعديلُ

٩- وإليهِ ساقَ الناس علم حقائقِ
أدّى إليهِ الوضعُ والتشكيلُ

١٠- علمُ البراهينُ التي بنتاجها
يتفاوتُ الموضوعُ والمحمولُ

١١- والهندسيَّاتُ التي بنتاجها
يُستنبطُ المعلومُ والمجهولُ

١٢- وقَضَى على مَزجِ العناصرِ حُكمهُ
فأجابَهُ التصعيدُ والتحليلُ

١٤- وافَى بهِ النَّسَبُ العريقُ إلى العُلا
وسَما بنفسٍ حبلها موصولُ

١٤ـ فالمنزلُ الأدنى بهِ في وَحشَةٍ
والمنزلُ الأعلى بهِ مأهولُ

التخريج: الحوادث ٢٦٣ – ٢٦٤.

المختار من تاريخ ابن الجزريّ ٢١٠ – ٢١١:(١، ٣، ٦، ٧، ٨).

التعليقُ:

(*)ابن المسلمة: له اهتمام بالهندسة والرياضيات. عمل داره رباطًا للصوفيَّة.تُوفِّيَ سنة ٦٤٥هـ. ترجمته في: الجامع المختصر ٩/ ٢٦٤ – ٢٦٥، تلخيص مجمع الآداب ١٤ /٦٣٨، العسجد المسبوك ٥٦.

١.المختار من تاريخ ابن الجزريّ: "أنظر إلى العلماء ..ومن أنت للأحوال".

٦. بطليموس: عالم، لهُ كتاب (المجسطي) في عمل الآلات النجوميَّة. أخبار العلماء ٧٨.

١٢.التصعيد: شبيه التقطير إلاَّ انه أكثر ما يستعمل في الأشياء اليابسة. مفاتيح العلوم ١٤٩.

[٥١]

قال موفق الدين ارتجالاً يخاطب الوزير ابن العلقمي، وقد أنفذ له المستعصمُ بغلةً سنة ٦٤٩هـ:(الكامل)

هُنِّئتَ يا خيرَ المُلوكِ ببَغلَةٍ
مِن مالكٍ مُتفضِّلٍ مُتطوِّلِ

جاءَ البَشيرُ بها اليكَ كأنما
جبريلُ جاءَ مُحمَّدًا بالدلدلِ

أختُ الحِصَانِ، وهكذا رُتَبُ العُلا
تأتي مُكمِّلَةً لِخيرِ مُكمِّلِ

التخريج: الحوادث ٣٠٢، العسجد المسبوك ٥٨٢.

التعليقُ:

٢. الدلدل: بغلة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٣. الحوادث: "بغير".

[٥٢]

قال:(الكامل)

اللَومُ فيكَ لَجَاجَةٌ مِنْ عَاشِقٍ
وافَى يُخَادِعُني بلفظِ العَاذِلِ

ما كُنتُ مَجهولاً لديه فلمْ أقُلْ:
أمِطِ اللثامَ عَنِ العِذَارِ السَّائِلِ

التخريج:

قلائد الجمان(المخطوط)٥/ ٣٠٣أ،(المطبوع)٥/ ٣٦٦، ذيل مرآة الزمان ١/ ١١٠.

[٥٣]

قال وهو بدير ميخائيل (*) بالموصل: (البسيط)

١ــ كُلُّ الورَى فيكَ حُسَّادي وعُذَّالي
يا فَاقِدَ المِثلِ ما العُشَّاقُ أمثالي

٢ــ بكايَ وَقفٌ عليكُمْ بَعدَ فُرقَتِكُمْ
لا للوقوفِ على رَبْعٍ وأطلالِ

٣ــ رضا العواذل سخطي في هواكَ وفي
وفاقِهِمُ خُلفُ أغراضي وآمالي

٤ــ يا ساكني دير ميخائيل لي قمرٌ
لكنَّهُ بَشَرٌ في شَكْلِ تِمثالِ

٥ــ قريبُ دارٍ بَعيدٌ في مَطالبه
غريبُ حُسْنٍ وألحانٍ وأقوالِ

٦ــ سكرتُ من صوته لَمَّا أشارَ به
ما لستُ أسكَرُ من صَهباء جريالِ

٧ــ ما رمتُ أمسكُ نفسي عندَ رُؤيَتِه
إلاَّ تغيَّرتُ مِنْ حَالٍ إلى حَالِ

٨ــ يا ليلتي بفناء الدير لستُ كَمَنْ
يقولُ: يا ليلتي بالشَّيحِ والضَّالِ

٩ــ قد صرتُ أنشدُ بيتًا صارَ لي مَثلاً
لــولا وصالُكَ لمْ يَخطُرْ على بَالـي:

١٠ ــ لو اشتريتُ بِعُمري ساعةً سَلَفَتْ
مِن عيشَتي مَعَكُمْ مَا كانَ بِالغَالِي

التخريج:

قلائد الجمان (المخطوط) ٥/ ٣٠٣ أ، (المطبوع) ٥/ ٣٦٤ ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٥، عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٣ -١٦٤.

-المختار من تاريخ ابن الجزري ٢٤٩-٢٨٤ : (٤ – ٨).

-تاريخ الإسلام ١٤/ ٨٣٤: (٤ – ٧).

التعليقُ:

(*) دير ميخائيل: يقع في الموصل. معجم البلدان ٥/ ٥٠٠، ولم يرد في كتاب (الديارات).

٢. الرَّبع: الدار أو المحلَّة. الأطلال: ما شَخصَ من الآثار.

٤. المختار من تاريخ ابن الجزري: "بي قمر".

تاريخ الإسلام: "في زيٍّ".

٦. تاريخ الإسلام: "سكرتُ من صوته عند السماع له".

٨. الشيح والضال: من النباتات، لها رائحة طيِّبة.

[٥٤]

كتبَ إلى صديقٍ له استعملَ خاتمًا: (المتقارب)

يمينُــك تبغـضُ أموالهـا
وتهــوَى شبــا القَلْــب الذابــلِ

فكيف استقر بهــا خاتــمٌ
علــى كثــرة الجــودِ والــنَّائِـلِ؟

لقد كاد يغرق في بحرهـا
ولــكنه كــان في الساحــلِ

أراني جُبِلتُ علــى حُبِّكُــمْ
(وتأبَى الطِّبَاعُ على الناقــلِ)

وقلتُ لِمَنْ كــانَ لــي عاذلاً:
(إلامَ طمــاعيةُ الـعَاذِلِ)؟

التخريج: ذيل مرآة الزمان ١/ ١٤٥-١٤٦.

التعليقُ:

١. العجز مضمَّن، وهو للمتنبي، وصدرهُ: "يُرادُ من القلبِ نسيانكمْ".

٢ العجز مضمَّن، وهو صدر بيت للمتنبي، وعجزهُ: "ولا رأيَ في الحُبِّ للعاقل". وهذان الشطران هما مطلع القصيدة، وما قبلهما البيت التالي. يُنظر: ديوان أبي الطيب المتنبي ٢٥٨ –٢٥٩.

[٥٥]

لمَّا سُبِقَ النقيبُ الطاهر قطب الدين بن الأقساسيّ قال موفق الدين: (الكامل)

١ــ سُبقَ النقيبُ مِن البلادِ بأسرِهَا
جبــليَها وجنوبِــها وشمالها

٢ــ لا واسطٌ أجدَتْ عليــه، وإنمـا
ضَرَّتــهُ بلــدةُ إربــلِ بجبالهــا

٣ــ والموصلُ الحدباءُ مــاتَ حمامهُ
فيهــا مــع الـغرباءِ في أطلالها

٤ــ تلكَ الحمائمُ ما بِحَشْو قُلوبهــا
شَــوقٌ إلى دارِ الــنَّقيب وحـالهَـا

٥ــ إنّي لأعذرهَــا وقــد ولَّــتْ إلى
سنجار، تكلبُ خُمسها من مائهَا

٦ــ لم تلقَ في سطحِ النَّقيبِ غذاءَهَا
أبــدًا سِــوَى إتــوارةِ بِــزْلالِهَـــا

٧ــ كم هذه الخلوات إنّي خـائفٌ
مــن بردِهَا وزكــامِها وسُعالهَــا

٨ــ ما كان يغلطُ طائرٌ لكَ مــرَّةً
فيجــيءُ عاشـرهــا لَــدَى إرســالها

٩ــ الـلهُ أكــبرُ إنَّ هــذي عــبرةٌ
لــم يقــتدرْ أحـــدٌ علـى أمثالهـــا

١٠ــ لـو صوَّرَ اللهُ البروقَ حمـائمًـا
لــكَ، لم تــرَ الإيمـاضُ في أفعالهـــا

١١ــ وسواكَ لو حمل الدَّجاجَ مسابقًا
سَــبَقَتكَ طـائــرةٌ علــى إرســـالها

التخريج: الحوادث ٢٥٣ – ٢٥٤.

التعليقُ:

٦. الإتوارة: إناءٌ من صفر او حجارة.

الميم

[٥٦]

قــال يرثي الفقــيه علي بــن يحــيَى المخرَّميّ(*): (الطويل)

١ــ ومن نكدِ الأيَّامِ، وهـي مُسيئـةٌ
بقــايـا الرزايــا، واخــترامُ المُخــرَّمِ

٢ــ مضَى طاهرًا كالنَّجمِ خفَّ مسيرُهُ
منــافُ ســريعًــا مــن ثـلاثةِ أنـجمِ

٣ــ فيا راكبًا يطوي الفجـاجَ، وقصـدهُ
زيــارةُ أجــداثِ الحُســينِ المــعظَّمِ

٤ــ تحمَّل على وجدي وشوقي رسالةً
وعــرِّج علــى تلــكَ الدِّيــارِ وســلِّمِ

٥ــ وقُــلْ كمالٌ للذي بَعدُ مــا حَلَتْ
حياتي، ولمْ أدركْ سكونًا لأعظُمِي

٦ــ ولا راقَ لــي شَمُّ النَّسيمِ، وقــد سَرَى
ولا سَــاغَ بَردُ المَــاءِ بعدكَ فِــي فَمِــي

٧ــ هيَ الحسرةُ الأولَى، وأحسستُ أنني
أمــوتُ بهــا، إذْ لا سلــوَ لِمُغـــرَمِ

التخريج: المختار من تاريخ ابن الجزري ٢١٤ – ٢١٥.

التعليقُ:

(*) أبو الحسن جمال الدين البــغدادي المخرَّمي. تُوُفِّيَ شابًا سنة ٦٤٦هــ. الحوادث ٢٨٠، تاريخ الإســلام ١٤/ ٥٥٣.

١ــ في الأصل: "يكد للأنام".

٢ــ في الأصل: "معنى ظاهرًا... تلته".

٣ــ في الأصل: "تطوي".

٤ــ في الأصل: "تحمل عن".

٥ــ في الأصل: "بعدك"، والكاف زائدة.

النون

[٥٧]

قال: (الكامل)

لو عادَ وَصلُكَ لي لَمَا عادَ الزَّمَنْ
واحَسرتَا مَضَتِ الشَّبيبةُ والسَّكَنْ

لم ألــقَ إلاَّ مَــنْ يَــذمُّ زمانــهُ
قبلَ المَمَــاتِ، فهــذهِ الدُّنيا لِمَنْ؟

التخريج: ذيل مرآة الزمان ١/ ١١٠، عيــون التواريــخ ٢٠/ ١٦٧، البدر السافر ٢/ ٥٤ ب.

التعليقُ:

١ــ عيون التواريخ: "ما عاد".

[٥٨]

قال: (الخفيف)

معقلُ الحُسْنِ في محياكَ لا يطـ
ــمَعُ فيــهِ، والثغرُ ثغرٌ مُحصَّنْ

قد حماه عن الوصول اليه
حاجب مقفل وصدغ مزرفنْ

التخريج: ذيل مرآة الزمان ١/ ١١٠.

التعليقُ:

٢. مزرفن؛الزرفين : حلقة الباب. الألفاظ الفارسية المعربة ٧٨.

[٥٩]

قال: (الخفيف)

١ـ مرحباً بالخيال إذ زارَ وهنًا
وشفى لوعةَ المُحِبِّ المُعنّى

٢ـ وقضى حاجةً فسرَّ وسرَّى
همَّ القلب عن لبانا ولبنى

٣ـ كلما قلتُ: قد تسلَّيتُ عنهُ
عادني طيفُهُ، وعَنَّ فغنّى

٤ـ شادنٌ لو بدا يُفاخرُ بدرًا
أخجلَ البدرَ بالملاحةِ حُسنا

٥ـ وإذا ما انثنى رأيت كثيباً
تحتَ بندِ القَبَا يُحمِّلُ غُصنا

٦ـ تركَ الرُمحَ والحُسامَ، وأبدى
سيفَ لحظٍ، وهزَّ بالقدِّ لدنا

٧ـ ليلةَ الدَّيرِ حيثُ نسمعُ لحنًا
حسنَ النَّظمِ ما يُقاربُ لَحنا

٨ـ سَعِدَتْ ليلةٌ رأيتُ بها الشَّمـ
ـسَ، وجُنحُ الظّلامِ ينجابُ عنّا

٩ـ بين صرعى مَحَاجرٍ وعُيُونٍ
باتَ يُحييهُم إذا ما تغنّى

١٠ـ أيُّها الشَّمسُ مَن يقُلْ فيكَ معنًى
لمْ يُصِبْ فيك، أنتَ كُلُّكَ معنى

١١ـ قد تمنَّتْ جوارحُ النَّاس طُرًّا
أنها صُيِّرتْ لأجلِكَ أذنا

التخريج: قلائد الجمان (المخطوط) ٥/ ٣٠٢ (المطبوع) ٥/ ٣٦٥ – ٣٦٦، ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٦، عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٤ – ١٦٥.

التعليقُ:

٢. الوهنُ: نصف الليل أو نحوهُ. المعنَّى: الحبيس، يقال عنّاه إذا حبسه حبسًا طويلاً.

٥. ذيل مرآة الزمان: "تسرُّ وسرَّى".

٦. القبا: القباء، وهو ثوب طويل مقوَّر في موضع الرقبة، يشبه بعضَ ملابس الأرمن. المعجم المفصَّل بأسماء الملابس ٢٨٥.

٦. اللدن: اللّيِّن.

[٦٠]

قال: (الطويل)

وأنسيتُ منه الوعد بالوصل ضَلّةً
وقد كان منّا قبل ذلك ما كانا

عناق ورشف من ثنايا كأنها
أقاحي الرُّبا غضًّا من الطلِّ ريَّانا

ولا عجبٌ إنّي نسيتُ وعودَهُ
فشمُّ الأقاحي يورثُ المرءَ نسيانا

التخريج: جزء فيه أحاديث عوال ٢١٣ ب.

[٦١]

قال: (مخلَّع البسيط)

١ـ حُبُّ الصِّبا للأديبِ دِينٌ
وفيه تستحسَنُ المُجُونُ

٢ـ ما اخترعَ النّاسُ فيه فنًّا
إلا ولي فوقَهُ فُنُونُ

٣ـ القصدُ ألا يكون أنثى
ولا أُبالي بِمَنْ يكونُ

التخريج: البدر السافر ١/ ١٩٣.

[٦٢]

قال موفق الدين بن أبي الحديد: (الكامل)

زعم ابنُ سينا في عقودِ كلامه
أنَّ المُحِبَّ دواؤهُ الألحانُ

ووصال غيرُ حبيبه مِنْ جنسه
والماءُ والصَّهباءُ والبُستانُ

فَصَحبتُ غيركَ للتداوي سَاعةً
وأعانني المَقدُورُ والإمكانُ

فَازدادَ بي شَوقي إليكَ، وشَفَّني
شَغَفي، وَثَارت نحوكَ الأشجَانُ

فعلمتُ أنَّ العِشقَ داءٌ مُفرطٌ
بقراطُ فيه كلامهُ هذيانُ

التخريج: منيةُ المُحبِّين وبغيةُ العاشقين ١١٥.

[٦٣]

قال أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد يرثي ابنة للخليفة المستعصم بالله سنة ٦٤٧هـ: (الكامل)

يا ذاهبًا عَظُمَتْ مَكَانَتُهُ
عَنْ أنْ أُسمِّيهِ، وأنْ أُكني

بكتِ السَّماءُ عليكَ مِنْ وَلَهٍ
لما فجعتَ الأرضَ بالحُزْنِ

مِنْ جَنَّةِ الدُّنيَا رَحَلتَ إلى
ما تشتهي مِن جَنتي عَدْنِ

التخريج: العسجد المسبوك ٥٧٣.

[٦٤]

قال: (البسيط)

١- قالوا: على خدِّهِ خالٌ، فقلتُ لهم:
تخفى الحقائقُ في عقلِ المَجَانينِ

٢- تكوينُ مُقلته صَادٌ، وحَاجِبُهُ
نونُ المِثَالِ، وهذا نقطةُ النونِ

التخريج: قلائد الجمان (المخطوط) ٥/ ٣٠٤، (المطبوع) ٥/ ٣٦٦.

[٦٥]

لمَّا أوقفت السيدة باب بشير(*) دارَ القرآن(**) ببغداد في شعبان سنة ٦٥٢هـ قال أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد: (الكامل)

١- مَنْ ذا رأى فَصْلَ الرَّبيعِ وزهره
ورياضه في العشرِ مِن تشرينِ؟

٢- خِلَعًا مُكملة يُقارن وَشْيُهَا
ما جاءَ مِن مصرٍ ومِن جيرونِ

٣- سبعون تشريفًا وما أحصيتُها
ولربَّما زادَتْ على السبعينِ

٤- كَرَمٌ يزيدُ على البحارِ مَديدُهَا
وعلى حَيًا داني الرَّبابِ هَتُونِ

التخريج: العسجد المسبوك ٦٠٣.

التعليقُ:

(*)باب بشير: هي والدة الأمير محمد بن الخليفة المستعصم. توفيت سنة ٦٥٢هـ. الحوادث ٣١٩.

(**)دار القرآن: كانت هذه الدارُ تقع على شاطئ دجلة بغربي بغداد. الحوادث ٣١٩.

١. جيرون: سقيفة مستطيلة عند باب دمشق. معجم البلدان ٢/ ١٦٠.

٢. الحيا: المطر. الرباب: السحاب الأبيض، وقيل هو السحاب المرئي. الهتون: الهاطل.

الهاء

[٦٦]

قال في سنة ٦٤٦هـ لمَّا اشتدَّ البردُ وكاد يتجمَّد

الماء: (الوافر)

١ــ أتى فصلُ الرَّبيعِ، وكانَ فصلاً
بــهِ جَمَدَتْ مــن البردِ المياهُ

٢ــ تشابهتِ البُرُوجُ، وليس بدعًــا
فبــينَ الجَدْيِ والحَملِ اشتباهُ

التخريج: الحوادث ٢٧٨.

المنسوبُ

[١]

بعث الناصرُ صلاح الدين يوسف (*) سنة ٦٥٤هــ إلى المستعصم بالله رسولاً معه فردةٌ ركابٍ كبيرة تعود للنبيِّ (ص)، فقال موفق الدين ارتجالاً: (الكامل)

١- لــو كنتُ في زمَــنِ النَّبيِّ مُحَمَّد
مِن آلــهِ، أو كنتُ من أصحَابهِ

٢- مَــا رامَ قلبي غَــيرَ لثم ركَــابِــهِ
شَرَفًا، فقَد أدركْتُ لثمَ رِكَابِهِ

التخريج: لهُ في: الحوادث ٣٤٤، العسجد المسبوك ٦١٤.

*لابن الخازن (ت ٦٧٤هــ) في: العسجد المسبــوك ٦٢٤.

التعليقُ:

(*) يوسف بن محمد بــن غازي، ولد سنة ٦٢٧هــ بقلعة حلب، استقــلَّ بالحــكم. قــتله هولاكو سنة ٦٥٨هــ. ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٢ /١٤٠، العبر ٥/ ٢٥٦، عيون التواريخ ٢٠/ ٢٥٧، شذرات الذهب ٥/ ٢٩٩.

١ــ العسجد المسبوك: "النهي"، تحريف.

٢ــ العسجد المسبوك: "وقد بَلَغت".

[٢]

قال موفق الدين بن أبي الحديد: (البسيط)

١ــ بيتٌ مِــن الشِّعرِ في تشبيــهِ وجنتِــهِ
لــمَّا أحــاطَ بِــهِ سَطرٌ منَ الشَّعَرِ

٢ــ كالظلِّ في النور، أو كالشمس عارضها
خط من الغيمِ، أو كالمحوِ في القمَرِ

التخريج: لهُ في: قــــلائد الجمان (المخطوط) ٥ / ٣٠٥ ب (المطبـــوع) ٥ /٣٦٦، ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٨، مسالك الأبصار ١٢ /٣٢٤، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٢٦، فوات الوفيات ١/ ١٥٤، عقود الجمان ٣٠٤ ب، سرور الصبا والشمول ٢٢٦ أ.

*لمحمد بن عمر بن أبي الفتوح بــن المره (ت بــعد ٦٢٠هــ)، في: تاريخ إربل ١/ ٨٠٣.

التعليقُ:

١ــ مسالك الأبصار: "أبدتْ من الشــعر في تشبــيه وجنتها".

تاريخ إربل: "من النغرِ".

٢ــ تاريخ إربل: "جون من الغيم".

[٣]

قال: (الخفيف)

١ــ قَــد بَــدَا مَــا تسرُّ فيما تقتولُ
إنمَا أنــتَ عَاشِقٌ لا عَذولُ

٢ــ رابــني منــكَ فــي مَــلامِكَ تكثيـ
ـرٌ لصبري، ببــعضهِ تقــليلُ

٣ــ وحــديثٌ مُلجلجٌ فيــهِ للقلــ
ــبِ علــى السِّرِّ آيــةٌ ودَليــلُ

٤ـ يا رعى الله شادنًا أمْسَت الأضـ
ـدادُ فيه للحــينِ وهي شكُولُ

٥ـ قسمَ البَدرِ بيننـا، فلـهُ النُّـو
رُ، وعنـدي مَحَاقُـهُ والذّبـولُ

٦ـ إنمَـا أنـتَ مُهْجَتي واتّخَـاذي
بَـدلاً عَـن حشاشَتي مُستحِيلُ

التخريج:

مسالك الأبصار (أبو ظبي) ١٢/ ٣٢٥.

* لأخيه عز الدين، في: عقود الجمان ٣/ ٢٥٢.

[٤]

قال القاسم بن هبة الله: (السريع)

١ـ مَنْ مُنصفي مِنْ عَاذلٍ جَاهلٍ
يَخُونُ بِاللَّومِ لِمَنْ لا يَخُونْ

٢ـ إنْ قُلتُ: مَا نصحُكَ إلاَّ أذَى
قَالَ: وَمَا عِشْـقُكَ إلاَّ جُنُونْ

التخريج:

مُستوفى الدواوين ٣/٢٦.

* لشرف الدين عبد العزيزبن محمد بن عبد المحسن الأنصاري (ت ٦٦٢هـ)، في: مسالك الآبصار ٨/١٦٣، وأخل بهما ديوانه.

هوامش الجزء الثاني

(٢١) شعره، القطعة ٥٢.

(٢٢) شعره، القطعة ١٥.

(٢٣) شعره، القطعة ٦.

(٢٤) العسجد المسبوك ٦٤١.

(٢٥) ترجمتهُ في: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٣٠، البداية والنهاية ١٧/ ٢٥٧، شذرات الذهب ٥/ ٢٠٦.

(٢٦) ترجمته في: الذيل على الروضتين ٢٠٣، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٥٦، العبر ٥/ ٢٤٠، عيون التواريخ ٢٠/ ٢١٦، النجوم الزاهرة ٧/ ٧٠، شذرات الذهب ٥/ ٢٨٩.

(٢٧) عيون التواريخ ٢٠/ ١٥٦.

(٢٨) العسجد المسبوك ٦٤١.

(٢٩) بغية الطلب ٣/ ١٢١٤.

(٣٠) المدرسة النظاميَّة، نسبةً إلى مؤسسها الوزير نظام الملك السلجوقي، افتتِحت سنة ٤٥٩هـ، واختصَّت بالمذهب الشافعيّ.

(٣١) قلائد الجمان ٥/ ٣٠١، ذيل مرآة الزمان ١/ ١١١ عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٧، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٢٦.

(٣٢) نهر الملك: كورة واسعة ببغداد. نعجم البلدان ٥/ ٣٢٤.

(٣٣) مدرسة دار الذهب: يقال لها أيضًا (المدرسة الفخرية)، وهي من مدارس الشافعيَّة، تقع في الجانب الشرقي من بغداد، أنشأها فخر الدولة الحسن بن هبة الله الكرمانيّ (ت ٥٨٧هـ)

(٣٤) كان وكيلاً للمستنصر العبَاسيّ الذي قرَّبه واختص به، فلما أفضت إليه الخلافة أقره على وكالته، وصار أستاذ الدار، ثمَّ ولي نيابة الوزارة، وكانت الأمور كلها بيده. ترجمتهُ في: قلائد الجُمان ١/ ٢٤٩، نزهة الأنام في تاريخ

الإسلام ١٥٥ ، سِير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٨ ، مرآة الزمان ٨/ ٧٤٧، الوافي بالوفيات ٨/٦٤ ، فوات الوفيات ٣/ ٢٥٤ العسجد المسبوك ٨/ ٦٤ ، الحوادث ٢٢٢ .

(٣٥) يُنظر : صبح الأعشى ٣/ ٥٦٣ .

(٣٦) قلائد الجمان (المخطوط) ٥/ ٣٠١ ب ؛ (المطبوع) ٥/ ٣٦٢ .

(٣٧) شرف الدين أحمد بن محمد بن ابي الوفاء بن الخطاب الربعي الموصليّ . وُلد في الموصل ، وانتقل الى الشام ، واختلف الى ملوكها الأيوبيين ، وحظي كثيرًا عند حاكم الموصل الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ ، ولبس زي الجند ، وتوجه معه إلى بلاد العجم للاجتماع بهولاكو، فمرض ومات في الطريق سنة ٦٥٦هـ . ترجمته في : فوات الوفيات ١ /١٤٣، الوافي بالوفيات ٨/ ١٠٢ ، النجوم الزاهرة ٥ /٢٧٤ ، شذرات الذهب ٥/ ٢٧٤ ، الأعلام ١/ ٢١٩ .

(٣٨) قلائد الجمان (المخطوط) ٥/ ٢٠٨ أ ، ولم يردا في شعره .

(٣٩) محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن الحورانيَ ، اشتهرَ بهجائهِ للناسِ ، فنفاه صلاح الدين من دمشق ، فذهب إلى العراق والجزيرة وأذربيجان وغيرها. وعاد إلى دمشق ومدح الملك العادل وتقرب منه. وتوُفيَ فيها سنة ٦٣٠هـ . وفيات الأعيان ٥ /١٤ ، العبر ٥/ ١٢٢، تاريخ الإسلام ١٣/ ٩٣٩ ، الأعلام ٧/ ١٢٥ .

(٤٠) نصر الله بن محمد بن محمد بن الأثير الجزريَ . ولي الوزارة للملك الأفضل بن صلاح الدين في دمشق ، وكتب الإنشاء لصاحب الموصل محمود بن مسعود، فبعثه رسولًا في أواخر أيامه إلى الخليفة، فمات ببغداد سنة ٦٣٧هـ . وفيات الأعيان ٥/ ٣٨٩، العبر ٥/ ١٥٦، الوافي بالوفيات ٧/ ٣٤، شذرات الذهب ٧/ ٣٢٨ ، الأعلام ٨/ ٣٨ .

(٤١) أخلَّ بهما ديوانه ، وهما في : مسالك الأبصار (أبو ظبي) ١٢/ ٢٧٠ ، (بيروت) ١٢/ ٢٤١ .

(٤٢) تلخيص مجمع الآداب ١٤/ ١٩٠، تاريخ الأدب العربي في العراق ١/ ٣٠٥ .

(٤٣) أبو عبد الله مُحَمَّد بْن مُحَمَّد بْن حسن، الفَيْلَسُوف العالم . ترجمتهُ في : تاريخ الإسلام ١٥/ ٢٥٢ ، الحوادث ٤١٦ ، شذرات الذهب ٥/ ٣٣٩ – ٣٤٠ .

(٤٤) ترجمته في : تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٥٨ ، البداية والنهاية ١٧/ ٥٢٢ ، الحوادث ٤٢٢ ، شذرات الذهب ٥/ ٣٤٣ .

(٤٥) يُنظر عنها : معجم البلدان ٣ /٢٨٩ ، وقد وردَ ذكرها مكانًا لدفنه في : معجم شيوخ الدمياطي ١/ ٤٠٥ ب البدر السافر ١/ ١٩٣ ، والعسجد المسبوك ٦٤١ .وهي اليوم في الرصافة ، شمال شرق مركز مدينة بغداد .

(٤٦) في : سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٧٥ أنّهُ مات في واسط .

(٤٧) الحوادث ٣٦٥ .

وجاء في : ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٤ ، تاريخ الإسلام ١٤ /٨٣٤، شذرات الذهب ٥/ ٢٨١ أنَ ذلك في شهر رجب .

وفي عقد الجمان ١/ ١٦٤ أنها كانت سنة ٦٥٥هـ !

(٤٨) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٢ ، البدر السافر ٢/ ٥٤ ب .

(٤٩) عاش عزّ الدين بعد أخيه موفق الدين أربعة عشر يومًا . الحوادث ٣٦٦ .

وورد في : العذيق النضيد ٦٦ أنّه مات بعده بأسبوع .

وأخطأ العبادي في كتابه : ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين ٧١ – ٧٢ بقوله إنّهُ مات قبل موفق الدين !

فهذه الأبيات وحدها تنفي ذلك !

(٥٠) الوافي بالوفيات ٨/ ٢٢٥ .

(٥١) قال عباس العزاوي : " لم تذكر لهُ مؤلَّفات تعينُ ماهيَّة أدبه " . تاريخ الأدب العربي في العراق ١/ ٢٥١ .

(٥٢) قلائد الجمان (المخطوط) ٥ /٣٠٢أ ؛ (المطبوع) ٥/ ٣٦٢،ذيل مرآة الزمان١ /١١١، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٢٦ سلّم الوصول إلى طبقات الفحول ١/ ٢٦١ ، وفيه (الاحكام). واكتفى د. أحمد الرَبيعي بذِكر هذا الكتاب فقط من المصدرَين الأخيرين ، وأكَّد أنَّهُ لم يعثر على غيرِهِ . يُنظر : العذيق النضيد ٦٢ .

(٥٣) ورد اسمه في : كشف الظنون ١٧٣٠ ، هدية العارفين ١/ ٩٦ :(أحكام الجدل والمناظرة على اصطلاح الخراسانيين والعراقيين) .

(٥٤) تلخيص مجمع الآداب ٥/ ٤٦٣ ، البدر السافر ١/ ١٩٣.

(٥٥) قلائد الجمان ٥/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

(٥٦) بغية الطلب ٣/ ١٢١٤.

(٥٧) البدر السافر (عايش) ١/رقم ٧٧.

(٥٨) مسالك الأبصار (أبو ظبي) ١٢/ ٣٢٤ .

وقال د. أحمد الربيعيَ : " لم نعثر على شيء من إنشاء موفق الدين أبي المعالي" ، العذيق النضيد ٦٢ .

(٥٩) الوافي بالوفيات ٨/ ٢٢٥ .

(٦٠) موقف البشر تحت سلطان القدر ٣٦ .

(٦١) معجم شيوخ الدمياطي ٤٠٦ .

(٦٢) مسند أحمد ٤/ ٢٥٦٩ .

(٦٣) ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٤ ، ويُنظر : الوافي بالوفيات ٨/ ٢٢٥ ، عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٣ .

(٦٤) العسجد المسبوك ٦٤١ .

(٦٥) تاج الدين أبو المكارم محمد بن نصر بن يحيى الهاشمي العلوي ، نائب الخليفة بإربل كان من رجال الدهرِ عقلاً ورأيًا وهيبة وعزمًا وجودًا وسؤددًا ، قتله هلاكو . ترجمته في : عيون التواريخ ٢٠/ ٢٠٣ – ٢٠٤ ، الحوادث ٣٦٦ ، شذرات الذهب ٥/ ٢٨٤ .

(٦٦) كتب لمتولي إربل ابن صلايا ثم خدم ببغداد في ديوان الإنشاء أيام علاء الدين الجويني صاحب الديوان . توفيَ في دمشق ، وخلف تركةً عظيمةً بدّدَها ابنهُ فيما بعد . من مصنّفاته : " المقامات الأربع " و "رسالة الطيف "، و"كشف الغمّة في معرفةِ الأئمّة" . ترجمته في : فوات الوفيات ٣/ ٥٧ – ٦٠ ، عقود الجمان ٢١٩ ، البدر السافر ٢ /٢١ .

(٦٧) يوسف بن يوسف بن يوسف بن يوسف بن سلامة بن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن سليمان بن محمد الفأفاء الزينبي . كتب الإنشاء للملك الرحيم ، قتله المغول . ترجمته في : قلائد الجمان ١٠ /٣١٢ ، ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٨١ ، العبر ٥ /٢٦٢ ، مسالك الأبصار ١٦/ ١٢٢ ، فوات الوفيات ٤/ ٣٨٤ ، عيون التواريخ ٢٠/ ٢٧١ ، تاريخ الأدب العربي في العراق ١/ ٢٤٢ ، ومقدمة شعره بتحقيقنا .

(٦٨) التذكرة الفخرية ١٠٣ .

(٦٩) شعره ، القطعة ٤٤ .

(٧٠) شعره ، القطعة ٥٣ .

(٧١) تاريخ مختصر الدول ٤٢٢ .

(٧٢) بغية الطلب ٣/ ١٢١٤ .

(٧٣) شعره ، القطعة ٢٠ .

(٧٤) شعره ، القطعة ١٥ .

(٧٥) الشعر العربي في العراق ١٨٠ .

(٧٦) شعره ، القطعة ٢ .

(٧٧) شعره ، القطعة ٦٦ .

(٧٨) شعره ، القطعة ١٦ .

(٧٩) شعره ، القطعة ٤٧ .

(٨٠) شعره ، القطعة ٣٠ .

(٨١) شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبي ٢٧ .

(٨٢) شعره ، القطع : ٢ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٥٠ .

(٨٣) الوافي بالوفيات ٨/ ٢٢٦ .

(٨٤) شعره ، القطعة ١ .

(٨٥) شعره ، القطعة ٦٠ .

(٨٦) شعره ، القطعة ٣٠ .

(٨٧) شعره ، القطعة ٢٦ .

(٨٨) ديوان المتنبي .

(٨٩) تلخيص مجمع الآداب ٥/ ٤٦٣ ، البدر السافر ١/ ١٩٣.

(٩٠) قال د. أحمد الربيعيّ في كتابه : العذيق النضيد ٦٢ أنّ الدمياطي كان يحفظ شعر أستاذه موفق الدين بن أبي الحديد.

قلتُ : هذا وَهْمٌ منهُ ، فلم يكن الدمياطي يحفظ شعر الشاعر ، بل التقى ان اجتمع به ، وأورد بعضَ شعره ، وأثبتَ ذلك في : معجم شيوخه ١/ ٤٠٥ ، كما فعل مع عشراتٍ غيره.

(٩١) ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٧ .

(٩٢) هذا الخلطُ واضحٌ في كتابهِ ، وقد نبَّهنا إلى بعضهِ . يُنظر : نظرات في عيون التراث ٥٢ –٥٣ ، ومقالنا في مجلة معهد المخطوطات العربيَّة ، مج ٥٥ ، ج ٢ ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م ، ص ٢٣٥ ـ٢٣٦ .

(٩٣) لمْ يصدر منه سوى الجزء التاسع الذي حقَّقهُ المرحوم مصطفى جواد ، ببغداد ، ١٩٣٤م ، وأعاد تحقيقهُ د. بشار عواد معروف في بيروت.

(٩٤) ذكر د. أحمد الربيعيّ في كتابه : العذيق النضيد ٦٢ – الصادر عام ١٩٨٧م - أنّه جَمع ما وجده من شعر الشاعر في عملٍ سمَّاهُ (سلوانة العميد) ، لكنَّ عمله لم يصدر حتى الآن ، ومن خلال الكتب التي أثبتها فقد رأينا أنّه فاتتهُ مصادر أُخرى ضمَّتْ أخبارًا وشعرًا لهُ.

(٩٥) خاصَّةً ما جاء في ج ١ من (البدر السافر) للأدفويّ ، وما فعلهُ ناشره من اضطرابات كثيرة في إثبات النصّ وضبطه واختصاره!، ورجعنا أيضًا إلى تحقيق الأستاذ محمد عايش الذي تفضَّل فبعث لنا بترجمة الشاعر ، و(المختار من تاريخ ابن الجزريّ) للذهبيّ.

المصادر والمراجع

المخطوطة:

* البدر السافر في أنس المسافر : جعفر بن ثعلب بن جعفر بن عليّ الأدفويّ (ت ٧٤٩هـ) ، ج ٢ ، مكتبة الفاتح باستانبول ، رقم ٤٢٠١ .

*تذكرة شهاب الدين الحجازي : أحمد بن محمد المعروف بالشهاب الحجازيّ (ت ٨٧٥هـ) ، مكتبة لايبزك رقم ٢٤٠ جزء فيه أحاديث عوال من الموافقات : محمد بن عبد المؤمن الدمياطي (ت ٧٠٥هـ) ، المكتبة الظاهرية ، ضمن مجموع ، رقم الفيلم ٥١٠ .

*الدرُ الفريد وبيت القصيد : محمد بن أيدمر (ت ٧١٠هـ)، أشرفَ على طباعته مصوراً د. فؤاد سزكين ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، فرانكفورت ، ١٩٨٨ – ١٩٨٩م.

*ديوان سيف الدين المشد (ت ٦٥٦هـ) ، دراسة وتحقيق وتذييل عباس هاني الجراخ ، جامعة بابل - كلية التربية ، ٢٠٠٠م.

*سرور الصبا والشمول ومرور الصبا والمشمول : عبد الحيّ بن عليّ بن محمد الطالويّ الخال الدمشقيّ (ت ١١١٧هـ) ، مكتبة برلين ، رقم ٣٠٩٩ .

*عقود الجمان ؛ ذيل وفيات الأعيان: محمد بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، مكتبة الفاتح باستانبول ، رقم ٤٤٣٤ .

*المرج النظر والإرج العطر : الشريف الأسيوطي ، الدار العراقية للمخطوطات ، رقم ٦٢٠٧ .

*معجم شيوخ الدمياطي : شرف الدين الدمياطي (ت ٧٠٥هـ) ، دار الكتب الوطنية في تونس ، رقم ١٢٩١٠ .

*منيةُ المُحبّين وبغيةُ العاشقين : مرعي بن يُوسُف الكرميّ الحنبليّ (ت ١٠٣٣هـ) ، تحقيق د. عباس هاني الجراخ .

المطبوعة:

*الأعلام : خير الدين الزركلي (ت ١٣٧٦هـ)، دار العلم للملايين ، ط٤ ، بيروت ١٩٧٩م.

*الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة : عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاريّ الحلبيّ ، المعروف بابن شدّاد (ت ٦٨٤هـ) ، تحقيق يحيى عبارة ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩١م .

*أعيان الشيعة : السيد محسن العاملي (ت ١٣٧١هـ) ، مطبعة الإنصاف ، بيروت ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م .

*الألفاظ الفارسية المعربة : أدي شير (ت ١٩١٥م) ، دار العرب البستاني ، القاهرة ،١٩٨٧م-١٩٨٨م.

*الانواء في مواسم العرب : ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٧٧م .

*البدر السافر عن أنس المسافر : جعفر بن ثعلب بن جعفر

بن عليّ الأدفويّ (ت ٧٤٩هـ) ، دراسة وتحقيق محمد فتحي محمد فوزي ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

*بغية الطلب في تاريخ حلب : كمال الدين عُمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، المعروف ابن العديم (ت ٦٦٠هـ) ، تحقيق د. سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٨٨م.

*بغية الوعاة : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

*تاريخ الأدب العربي في العراق : عباس العزاوي ، المجمع العلمي العراقيّ ، بغداد ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .

*تاريخ إربل : شرف الدين المبارك بن احمد المعروف بابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق سامي الصقّار ، دار الرشيد للنشر، بغداد ، ١٩٨٠م .

*تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام محمد بن أحمد بن عثمان : الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق د. بشار عواد المعروف، دار الغرب الاسلامي/ ٢٠٠٠م .

*تاريخ الحكماء : جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ) ، تحقيق جوليو سليبرت ، ليبزج ، ١٩٠٣م .

*تاريخ الخلفاء : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٦م.

*تاريخ مختصر الدول : غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي ابن العبري (ت ٦٨٥هـ) ، بيروت ، ١٨٩٠م.

*تاريخ مساجد بغداد وآثارها : محمود شكري الآلوسي ، تهذيب محمد بهجت الأثري ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٤٦م .

*تذكرة ابن العديم :كمال الدين بن ابي جرادة (ت ٦٦٠هـ) ، عُنيَ بتحقيقهِ إبراهيم صالح ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ٢٠١٠م .

*التذكرة الفخرية : بهاء الدين عليّ بن عيسَى الاربليّ (ت ٦٩٢هـ) ، تحقيق د. نوري القيسي ود. حاتم صالح الضامن ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

*تكملة المعاجم العربية : رينهات دوزي (ت ١٨٨٣م) ، نقلهُ إلى العربية د. محمد سليم النعيمي ١ – ٨ ، ١٩٧٨ - ١٩٩٧ .

*حُسنُ المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة : جلال الدين عبد الرحمن السيوطيّ (ت ٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٧-١٩٦٨م .

*الحوادث : مؤلّف مجهول من القرن الثامن الهجريّ، تحقيق د. بشار عواد معروف و د. عماد عبد السلام رؤوف ، بيروت، ١٩٩٧م.

*ديوان أبي الطيب المتنبي ، تحقيق د. عبد الوهاب عزّام ، القاهرة ، ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م.

*ذيل تاريخ بغداد : محب الدين محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن المعروف بابن النجار البغداديّ (ت ٦٤٣هـ) ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

*ذيل الروضتين : أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ) ، نشرهُ عزت العطار ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م.

*ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين : العبادي ، تحقيق وتعليق وتقديم د. أحمد عمر هاشم ود. محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينيّة ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

ذيل مرآة الزمان : موسى بن محمد اليونينيّ (ت ٧٢٦هـ)

تحقيق د. عباس هاني الجراخ، دار الكتب العلمية بيروت ، ٢٠١٣م.

*زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة : ركن الدين بيبرس المنصوريّ الدوادار (ت ٧٣٥هـ) ، تحقيق دونالد س . ريتشاردز ، بيروت ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

*زهر الأكم في الأمثال والحكم : الحسن بن مسعود اليُوسيّ (ت ١١٠٢هـ)، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الثقافة ،المغرب ، ١٩٨١م.

*سُلّم الوصول إلى طبقات الفحول : مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جلبي وبحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر الارناؤوط ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلاميّة ، استانبول ، ٢٠١٠م.

*سمط النجوم العوالي في أنباء الأواخر والتوالي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١هـ) ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٨م.

*سير أعلام النبلاء : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، أشرف على تحقيقِه وخرَّج أحاديثهُ شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

*شذراتُ الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحيّ بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥١هـ .

*الشعر العربي في العراق من مجيء السلاجقة حتى سقوط بغداد : عبد الكريم توفيق العبود ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

*صُبح الأعشَى في صناعة الإنشا : أحمد بن علي القلقشنديّ (ت ٨٢١هـ) ، شرحهُ وعلّقَ عليهِ وقابل نصوصَهُ محمد حُسين شمس الدين ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

*صلة التكملة لِوفيات النَّقَلة : أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني (ت ٦٩٥هـ) ، حقَّقهُ وضبط نصه وعلّق عليه د. بشّار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

*طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين بن عليّ بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ، و د. عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٣هـ.

*طبقات المفسِّرين : الداودي ، تحقيق عليّ محمد عمر، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٢م.

*طبقات النحويين واللغويين (المحمدون) : تقيّ الدين ابن قاضي شُهبة الأسديّ الشافعيّ (ت ٨٥١هـ) ، تحقيق د. محسن غيّاض ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٧٤م

*العبر في خبر مَنْ غبر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٣٨٦هـ.

*العذيق النضيد بمصادر ابن ابي الحديد:د. أحمد الربيعي، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

*العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك : إسماعيل بن العباس الغسّانيّ الملك الأشرف (ت ٨٠٣ هـ) ، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم ، دار البيان - دار التراث الإسلامي ، بغداد ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

*عقد الجُمان في تاريخ أهل الزمان : بدر الدين محمود العيني (ت ٨٥٥ هـ) ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيأة

المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.
*عيون التواريخ : محمد بـن شـاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، ج٢٠-٢١، ١٩٨٠م-١٩٨٤م. ج٢٢، تحقيق نبيلة عبد المنعم، بغداد، ١٩٩١م.
*الفخري في الآداب السلطانيّة : محمد بن عليّ بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى (ت ٧٠٩هـ)، مطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٣٤٠هـ.
*فرائد الخرائد في الامثال: يوسف بن طاهر الخويي (ت ٥٤٩هـ)، تحقيق د. عبد الرزاق حسين، النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية، الدمام، ١٩٩٦م.
*فوات الوفيات والذيل عليها : ابـن شـاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.
*في التراث العربي : د. مصطفى جواد، علّق عليه محمد جميل شلش وعبد الحميد العلوجي، بغداد، ١٩٧٩م.
*في نقد التحقيق: عباس هاني الجراخ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م.
*قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان : كمال الدين المبارك بن الشعار الموصليّ (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
*الكامل في التاريخ : ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، إدارة الطباعة المنيريّة، القاهرة، ١٣٥٣هـ.
*كشفُ الظنون عن أسامي الكتب والفنون : مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، المكتبة الإسلامية، تبريز، ١٣٧٨هـ.
*كنوز الذهب في تاريخ حلب : أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، موفق الدين، سبط ابن العجمي (ت ٨٨٤هـ)، دار القلم، حلب، ١٤١٧هـ.
*لسان العرب : ابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
*مجمع الأمثال : الميدانيّ (ت ٥١٨هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
*المختار من تاريخ ابن الجزري، اختيار شمس الدين الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق خضير عبّاس المنشداويّ، دار الكتاب العربيّ، ط ١، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
*مرآة الجنان وعبرة اليقظان : عبد الله بن أسعد اليافعيّ (ت ٧٦٨هـ)، دائرة المعارف الإسلامية، حيدر أباد، الهند، ١٣٣٨هـ.
*مسالك الابصار في ممالك الامصار، لشعاب الدين احمد بن يحيى بن فضل العمري (ت٧٤٩هـ)- تحقيق كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
*المستقصى في أمثال العرب : محمود بن عمر الزّمخشريّ (ت ٥٣٨هـ)، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدر أباد الدّكن، ١٩٦٢م.
*المستنصريات : عزّ الدين عبد الحميد ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٥٢م.
*مستوفي الدواوين : محمد بن عبد الله الأزهري (ت٨٨٧هـ)، تحقيق زينب القوصي ووفاء الأعصر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
*مسند أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مكتب البحوث بجمعية المكنز، جمعية المكنز الإسلامي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
*معجم المؤلفين: عمر رضا كحّالة، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

*مفاتيح العلوم : محمد بن يوسف الخوارزمي ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، د. ت .

*موقف البشر تحت سلطان القدر : مصطفى صبري ، دار البصائر ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .

*النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٦م .

*نزهة الأنام في تاريخ الإسلام: صارم الدين إبراهيم بن محمّد بن أيدمر العلائيّ الملقّب بابن دقماق (ت ٨٠٩هـ) ، دراسة وتحقيق د. سمير طباره ، المكتبة العصريّة ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

*نصرة الثائر على المثل السائر : خليل بن أيبك الصفديّ (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق محمد علي سلطاني ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٢م.

*نظرات نقدية في عيون التراث : د. عباس هاني الجراخ ، مؤسسة دار الصادق ، دار الرضوان ، عمّان ، ٢٠١٢م.

*النقود والمكاييل والموازين : محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، تحقيق د. رجاء محمود السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١م .

*نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري (ت ٧٣٣هـ) ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ .

*هدية العارفين ؛ أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

*الوافي بالوفيات : خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق مجموعة من الأساتذة المستشرقين والعرب ، جمعية المستشرقين الألمانية ، فرانز شتاينر ، اسطنبول وبيروت .

*وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أحمد بن محمد ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨م.

المجلات:

- التربية والعلم (كلية التربية ، جامعة الموصل) ، العدد ٢ ، ١٩٨٠م : ابن الحلاوي حياته وشعره، مع تحقيق ما وصل إلينا منه ، د. محمد قاسم مصطفى و د. عبد الوهاب محمد علي العدواني .

- الذخائر (بيروت) ، العدد ١٩ – ٢٠ ، ٢٠٠٤م : يوسف ابن زبلاق الموصلي (ت ٦٦٠هـ) حياته وشعره ، جمع وتحقيق ودراسة عباس هاني الجراخ .

- مجلة معهد المخطوطات العربيّة ، مج ٥٥ ، ج ٢ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م : نظرات نقدية في كتاب "مسالك الأبصار" ، د. عباس هاني الجراخ .

عرض كتاب

حركة الترجمة العربية واثرها على الحضارة الاوربية

سلمان احمد حسين
باحث / العراق

المورد
العدد
الثالث
السنة
٢٠١٥

اذا كانت الاقدار حكمت بان تبتلى الفلسفة الاغريقية بالنسيان التام فتصاب الانسانية جراء هذا النسيان بخسارة فادحة ، فان المصادفات قضت ان تبعث تلك العلوم والاداب من جديد فيجني العالم كله وراء ذلك الامر فوائد عظيمة لاحدود لها، ولاتقدر قيمتها لذا فان اوربا كلها ، بل العالم اجمعه مدينان بذلك الى حكمة علماء العصر العباسي الذين ازدهرت في عهدهم حركة الترجمة ذات الاهمية الكبيرة والنقطة الفاصلة في التاريخ لانها احيت حضارة ميتة لامم سادت في العصور والاحقاب التي كادت ان تنساها البشرية..

وما من شك في ان اعادة الحياة للعلوم والاداب والفلسفة الاغريقية تلك كانت من اجل الحوادث واعظمها شأناً في تاريخ العالم وكان لحكمة وحكماء العصر الاموي دور كبير وبارز مهدوا فيه الطريق لحركة الترجمة ايام العباسيين (التي امتدت من عام ٧٥٠ - ٩٠٠م)[1].

تمثل في عدم المساس بسوء بالمدارس الكبرى القائمة في الاسكندرية وبيروت ودمشق وانطاكية وحران ونصيبين وجنديسابور التي كانت تحتفظ بامهات الكتب المصطبغة بالصبغة الاغريقية في الفلسفة والاداب والعلوم، التي مهدت الطريق الى مايمكن المترجمين العرب وغيرهم من العثور على كتب كبار

العلماء والفلاسفة الاغريق...

ولعل حب الحياة وملذاتها عند سلاطين الامويين والعباسيين ورغبتهم في تاخير ساعة الموت هو الذي شجع امراء المؤمنين اولئك على الاستدانة العلمية المثمرة لكتب الاغريق في الطب والصيدلة والعلوم الرياضية الاخرى، بعد ان تاكد لهم قدرة الاطباء العرب والمسلمين على اشفاء المرضى من اسقامهم، فارسل المنصور والرشيد والمامون والمتوكل الرسل الى القسطنطينية وغيرها من المدن الاغريقية والى اباطرة الروم يطلبون منهم بالرغم من العداوة المستمرة بينهم ان يمدوهم بالكتب اليونانية القديمة وبتشجيع من الطبيب النسطوري حنين بن اسحاق الذي كان على رأس المترجمين في(بيت الحكمة)الذي أنشاه الرشيد في بغداد[٢] واقام فيه مرصداً فلكياً ومكتبة عامة كلفه مائتي الف دينار من دنانير ذلك الزمان، واقام فيه طائفة من المترجمين اجرى عليهم الارزاق من بيت المال، فترجمت العديد من الرسائل، والعديد من المؤلفات، وبفعل حركة الترجمة هذه نجت بعض مؤلفات جالينوس في الطب من الفناء،وترجم العديد من الكتب في الطبيعة والاخلاق لارسطو وكتب الجمهورية والقوانين لافلاطون وعهد ابقراط وكتاب الاربعة لبطليموس، كما ترجم الحجاج بن يوسف بن مطر المتوفي سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥م كتاب اقليدس في الهندسة المعروف بالاصول، وبهذه الطريقة وصل هذا الكتاب الى ايدي العرب والمسلمين فدرسه العلماء والفوا الكتب في هذا العلم ، وطوروه وادخلوا فيه اموراً جديدة لم تعرف من قبل ، فالف الكندي الرسائل المختلفة في تقسيم المثلث والمربع وفي قسمة الدائرة الى ثلاثة اقسام، وقد افاد مهندسو الري في العراق من دراساته عند قيامهم بحفر الاقنية والجداول بين دجلة والفرات. وكان حنين بن اسحاق يساعد اباه في الترجمة فنقل الى العربية من كتب ارسطو كتب الميتافيزيقيا والنفس كما نقل اليها شروح الاسكندر الافروديسي، وهو كتاب له اثر كبير في الفلسفة الاسلامية وعلى الفلاسفة المسلمين، كما ترجم يوحنا ابن ماسويه (مستشار الخليفة المعتصم) الذي كان يعرف عند الأوروبيين باسم (Messa) كتباً اغريقية عديدة اهمها الفصول، والسموم، وهذان الكتابان ترجما الى اللاتينية.وكتاب الكناش وهذا الكتاب ترجم الى اللاتينية ايضاً وطبع في البندقية سنة ١٤٩٧م. وكتاب نوادر الطب[٤].

وترجم ابو زيد حنين العبادي (رئيس اطباء بغداد، ورئيس بيت الحكمة) زمن الخليفة المامون عدداً غير قليل من الكتب الطبية الاغريقية ترجمة متقنة دقيقة، وكان المامون يدفع له ذهباً قدر ماتزن ترجماته.[٥]

ولان المامون اعتنق حركة الاعتزال، وجعلها مذهباً رسمياً للدولة، فانه عني بالفلسفة الاغريقية عناية كبيرة (فاوفد الوفود الى مختلف البلدان للبحث عن كتب الفلسفة وحملها الى بغداد ثم امر بترجمتها ودراستها للافادة من دعم حركة الاعتزال)[٦] وكاد ان يفلس بيت المال عندما اخذ يكافئ المترجمين بسخاء حين وصل الامر الى حد مكافأتهم لكتبهم المترجمة وزنها ذهباً، فكافأ حنين بن اسحاق على ترجمة كتبه من الاغريقية الى السريانية ثم الى العربية التي بلغت مائة رسالة من رسائل جالينوس، وتسعا وثلاثين رسالة اخرى وزنها ذهباً...

ولم يكد عام ٨٥٠ م ان يحل حتى كانت معظم الكتب اليونانية القديمة في علوم الرياضيات والفلك والطب قد ترجمت الى العربية، وعن طريق الترجمة الى العربية اطلق اسم المجسطي على كتاب بطليموس في الفلك، وبفضل تلك الترجمة ظهرت للعالم المقولات ٥ ،٦ ،٧من المخروطات لابو لونيوس البرجاوي وكتاب الحيل لهيرو الاسكندري، وكتاب الخصائص الالية للهواء والغازات لفليون البيزنطي، ولم يكد العرب يتركون كتاباً من كتب ارسطو وافلاطون الا ترجموه الى العربية، فكان لهذين الانتقالين العلمي والفلسفي اللذين اخرجا آراء الفلاسفة والعلماء الاغريق من سجونها في أقبية الكنائس والاديرة القديمة أمرٌ من اعظم الامور وحدثٌ من اعظم الحوادث واجلها شأناً في التاريخ ..

ولقد اقترنت رغبة الخلفاء العباسيين في اطالة اعمارهم (التي احدثت جدلاً فلسفياً كبيراً بين من استعانوا بالفلسفة والمنطق وبين خصومهم) برغبة ثانية لاتقل اهمية عن الاولى، بل ربما تتفوق عليها مما جعل لظى الترجمة يشتد سعيرها لسنين طوال ولايبرد، الا وهي شغفهم المطلق في تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب وفضة، بعد ان ادعت طائفة من اهل صناعة الكيمياء بجواز هذا الامر ، فقالوا كما ورد في كتاب (فهرست ابن النديم)– " وان هذا الامر كان قد حصل فعلاً بوحي من الله تعالى الى موسى بن عمران واخيه هارون ، وان الذي كان يتولى لهم ذلك الامر هو قارون". كما ورد ايضاً وفي نفس الكتاب " ان جماعة من الفلاسفة كما زعم الرازي (ومنهم فيثاغورس) كانوا يحاولون العمل بهذه الصنعة""[٧]

ولقد اثر اكتشاف الكتب الاغريقية وترجمتها وشرح فلسفتها في العرب والمسلمين تاثيراً كبيراً وبرز من اولئك المترجمين والفلاسفة ايام الدولة العباسية اضافة الى حنين بن اسحاق وابنه، فلاسفة وعلماء كبار في مختلف الاختصاصات امثال الفارابي والكندي وابن سينا والرازي وابن حيان والخوارزمي والبيروني وابن رشد وابن ماسويه وحنين العبادي وغيرهم..

ومانخص بالذكر هؤلاء الشراح والمترجمين(الذين ينبغي ان نقف طويلاً وباجلال امام ذكر اسمائهم) الا لانهم كانوا من اكبر علماء العرب والمسلمين ومن اكبر فلاسفتهم الذين درسوا اراء الفلاسفة الاغريق، وقاموا بترجمة افكارهم، وكان من اسس منهجيتهم التي اتبعوها تحري الدقة والتوسع في كل مانقلوه لنا منسوباً الى الاصل الذي اخذوا عنه، والا فالحقيقة اننا لانجد بما وصل الينا من علم واحد ممن اشتغلوا بترجمة الفلسفة الاغريقية الى العربية من العرب الا ومن محصوله العلمي نقل عن هذا أو ذاك من فلاسفة الاغريق او تعليقاً على رأيه ،او الاضافة عليه او اعتراضاً على فكرة.. وهؤلاء وغيرهم من العلماء والفلاسفة العرب والمسلمين هم الذين عرف منهم الاوربيون في ابتداء عصر نهضتهم علم الاغريق واسماء علمائهم فاستمروا يدرسون علومهم واراءهم وباللغة العربية زمناً طويلاً الى ان اهتدوا بعد ذلك الى كتب الاغريق في لغتهم ، ومعنى هذا ان المدنية العربية والحضارة الاسلامية حملتا في جوفهما الفلسفة اليونانية معزوة الى اصحابها حتى نقلتاها الى المدنية الاوربية، فكانتا بذلك جسرين عبرت عليها الحضارة الاغريقية المنسية، فكشفتا للاجيال

الاوربـــــية المندهشـــــة والمذهولة عن تراث الفكر الاغريقي الذي احسن الاوربيون استثماره فكان بداية نهضتهم الفكرية التي صيروها اساســاً لحــضارتهم المتنامية وماتبــــــعها من طفرات فكرية في التنوير الصناعي والتجاري اوصلهم الى ماهم عليه من خــط وحظ حضاريين متميزين.....

كما يعرف العالم ان فلاسفة العرب اولئك كانوا في حركة الترجمة هذه وفي ذلك النقــل العلمي مثلاً عالياً لصفات شــريفة ثلاث هي الصدق، والامانة، ودقــة التعبير في نزعتهم وتوجههم هذين في بحث وتقصي الحقائق المتعلقــة بــعلوم ومعارف الامم السابقــة لحضارتهم ومدنيتهم هاتين...

أما الصفة الاولى(الصدق) فتتلخص في ان الفلاســفة العرب والمسلمين لم ينتحلوا لانفسهم شيئاً ليس لهم، بل نقلوا الفلسفة الاغريقــية وعلومها معزوة في كل كلمة منها الى صاحبها ولم يدعوا لانفسهم الا الشيء الذي زادوه عليها، او اختلفوا في الراي مع الاغريق فيها..

واما الصفة الثانية (الامانة)، فانهم بذلوا جهداً كبيراً في تحري الدقة والتوسع في جميع مانقلوه حتى كانت الفلسفة الاغريقية وعلومها لاتعرف في اوروبــا في العصور الوســــطى وفي عصر النهضة الا في الكتب العربية ولم تدرس في كتبها اليونانية الا بعد ذلك..

واما الصفة الثالثة (دقة التعبير)، فتتمثل في التصوير الذي عبر بدقة عن الافكار الاغريقية في اوسع نطاق لها بما كانت تضمه تحت جوانحها من افكار وذكريات لتلك الافكار واصداء لها في قرونها الاولى، وماكانت تحويه من امال ومخاوف ورؤى غامضة وخفية، وما تنطوي عليه من رقة وخشوع ونزعات روحية وقوى تسري في نفوسها، وجدت لها في ذلك التصوير الدقيق متنفســا ادى المهمة ان لم يكن اكثر من اي تعبــــير اخلاصاً ودقة، فلا اقل من ان يكون اكثر منه ســهولة ويسراً!!

ولا اقول هذا الكلام الا لان ولادة ما قد حصلت عند غسيل المطر، وان موتاً كان سيتحقق عند حافة المقابر لطائفة كبيرة من الكتب القيمة القديمة التي نجلها الان (والتي كانت مهملة او ســجينة في مكتبــات الاديرة والكنائس الكبرى وعدد من المخطوطات الثمينة التي كادت ان تبلى في التراب او قطعت ليكتب عليها من لا يعرف قيمتها اشياء واموراً اقل شاناً مما كتب عليها) جرت عليها يد التحرير من ذلك الســجن المظلم ومن ذلك المحبس الرهيب على يد المترجمين العرب الكبار والشراح الفلاســفة العظام – فخرجت من محبســها وتخطت حــدود ســجونها، فتمدد عظم اثيرها خارج سلطة حدودها.!!

وللشيخ الرئيس ابن ســينا، ولابــن خلدون كتب عديدة في الفلسفة وفي اراء الفلاسفة الاغريق، ولابن رشد عشــرات الكتب فيها كذلك ايضا نقــلها بــعض تلاميذه فترجمت هي الاخرى الى العربــــــية ثم الى اللاتينية ومنها عرف الاوربيون في ابــتداء نهضتهم ارسطو واراءه، فاستمروا يدرســون فيها هذه الاراء زمناً طويلاً الى ان اهتدوا بعد ذلك الى كتب ارسطو في لغته حيث حصلت هنا ظاهرة انتقــال حــضارية ومنذ القرن الثاني عشــر الميلادي هي الثانية من نوعها. عندما بدأ الفلاسفة العرب والمســلمون يؤثرون في

التفكير الاوربي، حين دخل الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون والغزالي اوربا اللاتينية من نفس الابواب التي دخل منها افلاطون وارسطو وابقراط واقليدس وغيرهم الفكر العربي الاسلامي..

ومهما يكن من شيء فان مايسهم به الفكر الاسلامي والعربي من تبيعة غير مبدعة للاغريق وبشكل عام، ولارسطو بشكل خاص فهو ليس من الحقيقة في شيء، الا في ان هذا الفكر كان قد اعتمد اسلوب ارسطو في البحث، اما فيما عدا ذلك فانه افترق عنه، واحيانا عارضه مجترحاً سبيله وتحقيقاته، فكان بذلك اسلامياً في شكله ومحتواه، وكذلك في طريقة تناوله او معالجته ثم هو لم يكتف ان يصير الى احكام واستنتاجات تخالف او تعارض ما صار اليه ارسطو واليونان، وانما راح يطور اراء لرسطوا ذاتها، فيضيف مباحث الالفاظ الى منطقه ويهذب ويطور من طرائق الاستدلال والبحث العلمي عنده[٨]...

ومامن شك في ان العرب درسوا الكتب العلمية التي ترجموها في العراق دراسة جدية متوسلين بالشك العلمي المنهجي المؤدي الى التثبت من الاراء والفروض والنظريات ولم يستسلموا لمحتوياتها فاسقطوا مابطل عندهم وابقوا مايدته الشواهد والوقائع واختبرته التجربة مستفيدين من تطور مناهج البحث العلمي في العلوم العربية الاسلامية، ثم اضاف العلماء العرب في العراق الى هذه العلوم اضافات اصيلة من بنات افكارهم مما تحصل عندهم نتيجة بحوثهم العلمية التي قامت على المشاهدة والملاحظة للاشياء، والتجارب المختبرية، واستقراء الحالات والنظر فيها من اجل الوصول الى القوانين المنطقية الحاكمة لها[٩]...

ولعل الكندي افضل من نعتمد في التدليل على قولنا هذا، فلقد عارض ارسطو طاليس في الكثير مما ذهب اليه من اعتبارات واحكام، فكان الله مثلاً في رأي الكندي هو القوة المحركة للاشياء في حين انه في رأي ارسطو العلة الغائية التي تتحرك صوبها الاشياء والموجودات كلها[١٠].... كما اننا نلاحظ ان الرازي الذي وصل الى مرتبة رفيعة كعالم وممارس لصناعة الطب، وكان في سعة علمه وتمكنه من صناعة الطب وثقته بنفسه فيها انه انتقد بعض افكار جالينوس الطبيب الاغريقي المشهور، كذلك نرى ان عبد اللطيف البغدادي الذي كان من ابرز علماء القرنين السادس والسابع الهجريين والذي تمتاز مؤلفاته بالدسامة وعباراته بالرصانة ينتقد جالينوس في رايه عن الفك الاسفل للانسان، فاثبت انه قطعة واحدة وليس قطعتين كما قال جالينوس. كما كتب العلماء العرب ابحاثاً مستفيضة في البصريات (علم المناظر) وفندوا نظريات اليونان في هذا العلم[١١]، وما ان حل اواسط القرن الثالث الهجري حتى انتقلوا الى مرحلة الابداع فشعروا انهم قادرون على الابتكار والوصول الى مالم يصل اليه الاغريق اوغيرهم من قبلهم وتمثل ذلك بالدراسات العميقة والنظريات الجديدة التي ابدعها بنو موسى بن شاكر وقبلهم جابر بن حيان ، وما توصل اليه الكندي من نظريات تختلف عن معظم ماتوصل اليه ارسطوا والعلماء الاغريق الاخرون في ميدان الاثار العلوية (الميتاؤورولوجيا)[١٢].

ولست ادري ماكان سيحدث لو ان الحضارة العربية كانت غير امينة ولاصادقة، فنقلت مانقلته عن

فلاسفة الاغريق ولم تنسب علومهم اليهم، ولم تذكر اسماءهم البتة، بل ادعته لنفسها وصاغت تلك العلوم صياغة اخرى مبالغة منها في اخفاء المصادر التي اخذت عنها، فهل كانت الحضارة الحديثة تعرف اسماء وهويات فلاسفة ومفكري الاغريق كما نعرفهم ويعرفهم العالم الان؟، وهل كان العالم يعرف كل واحد منهم بارائه ام كان يجهلهم فلا يعرف عنهم وعن ارائهم تلك الامايذكر عن حكماء المدنيات القديمة؟

وهل كان من الجائز ان يعلم احد ماكان من الممكن ان يصيب كتبهم القديمة في هذا الزمن او في ذلك الزمان؟

لقد كان في حكم المؤكد ان تذهب الحوادث بجزء كبير منها، او بها كلها، كما ذهبت قبل ذلك بعلوم كثير من الامم الاخرى التي طواها الزمن بطياته، وداسها النسيان بخطواته، فانتصر عليها انتصار الشهرة على الموت، وانتصار الزمان على الشهرة...

وحسبنا انهم استطاعوا ان يخرجوا الى العالم فلسفة امة قامت بها وعليها قرون طويلة من الحضارة والثقافة وذروة مابلغه انسان ذلك العالم في ذلك الزمان وفي ذلك العصر، فاثمرت حركة الترجمة تلك عن حيوية مروعة اظهرت ماكان يمكن بلا ريب في عقول اولئك الاغريق وعلمائهم وفلاسفتهم الذين كانت تحيط بهم كل جوانب العنف والخرافات والحروب...

ترى هل كان من الممكن لفلاسفة غير فلاسفة حركة الترجمة العربية ان يحسوا وبذلك العمق وهذه القوة بكل صورة من صور الجمال، وبكل اية من ايات الفن، وبكل ومضة من ومضات الفلسفة لتلك الحضارة التي تفيض متاحف العالم الان بما لاتتسع لها من روائع ذلك العصر الملهم المحسوس والتي لولا اقلام الفلاسفة العرب والمسلمين التي فجرت بركان تلك الحضارة الثائر فأخرجت الى العالم اراء وعلوم فلاسفة تلك الحضارة الفذة لأَمست رمساً مطوياً في عالم النسيان.

!!!

المصادر

١. ول ديورانت / قصة الحضارة / الجزء الثالث عشر، ص ١٧٧.

٢. د. بشار عواد معروف / العراق في التاريخ/ ص ٤٧٤.

٣. د. بشار عواد معروف / العراق في التاريخ / ص ٤٨١.

٤. د. محمود الحاج قاسم محمد / مجلة المورد/ مجلد ٤٠ العدد١ لسنة ٢٠١٣م.

٥. المصدر ذاته.

٦. د. بشار عواد معروف العراق في التاريخ/ ص٤٧٥.

٧. فهرست ابن النديم.

٨. محمد مبارك/ كتاب الكندي /ص ٩٨ سنة ١٩٧١م.

٩. د. بشار عواد معروف العراق في التاريخ/ ص٤٧٧.

١٠. محمد مبارك / كتاب الكندي/ ص٩٨، ١٩٧١م.

١١. د. بشار عواد معروف / العراق في التاريخ/ ص٤٨١.

١٢. د. بشار عواد معروف / العراق في التاريخ، ص٤٨٢.



اخبار التراث العربي

اعـداد وتقديـم
حسن عريبي الخالدي

الاثار العلمية لابـن معصوم المدني (المتوفي سـنة ١١٢٠هــ)-عادل عباس النصراوي.الذخائر(بيروت) ح٢٩-٣٠،س٨(١٤٣٣هــ-٢٠١٢م)١٨٧-٢٢٢ص

* إبن ميثم البحراني حياته وآثاره (كان حـياً سـنة ٦٧٨هــ) وتليه رسائل تراثية وبحوث علمية - عبد الزهراء العويناتي ، مراجعة وتكميل مؤسسـة تراث (الشيعة)، قم (ايران) طبع مطبعة زيتون - مشـعر ، (١٤٣٥هــ-٢٠١٤م)-٥٦٤ص

اتباع السـنة عند المالكية وموقـفهم من منتقـصي الصحابة (مالكية الغرب الاسـلامي خلال القـرنين الثالث والرابع نموذجاً)- محمد العلمي.الصحابة الكرام في تراث المغاربة والاندلسـيين مج١(١٤٣١هــ-٢٠١٠م) ص٥٣٩-٥٧٩.

*أبو عمرو الشيباني وماروى وروي عنه من ملامح نقـدية - عبـد الامير كاظم عيسـى . مجلة جامعة الكوفة(الكوفة) ع١٥ (١٤٣٢هــ-٢٠١١م)٣٧-٥٦ص.

*اثر الرواية والاختيار في تشكل الشعر القديم- عبد الله بـن سـليم الرشـيد.العرب (الرياض) ج٣-٤.س٤٨(١٤٣٣هــ-٢٠١٢م)١٤٩-١٦٨.

*الاثر القراني في نهج البلاغة دراسـة في الشـكل والمضمون - عباس علي حسـين الفحـام طبـعة ، النجف الاشرف ، العتبة العلوية المقدسـة ، مكتبـة الروضة الحيدرية ،(١٤٣٢هــ-٢٠١١م)،٤٤٠ص

*اثر المقامات العربية في الادب الفارسي -د. عباس هاني الجراخ، الذخائر(بـيروت) ع٣٣-٣٤، س٩ (١٤٣٤هــ - ٢٠١٣م)(٣ــ١٢) ص.

*اجوبة وتقابيد في تفسير القـران العزيز - للعلامة

المحقق ابي عبد الله محـمد بـن الطيب بـن كيلان الفاسي (ت١٢٢٧هـ)دراسة وتحقـيق: الحسـن الوزاني ط١،الرباط، الرابطة المحمدية للعلماء،مركز الدراسات والابحاث واحـياء التراث، (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م) ، ٥٢٥ص سلسلة نوادر التفسير-١.

احسان عباس معالم وصلات- يوسـف بـكار، ط١، بيروت، دار صادر(١٤٣٣هـ -٢٠١٢م)،١٥٦ص.

*إحسان عباس وتحقيق الشعر يوسـف بـكار. في تحقيق التراث ونقده(١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)،٣٣-٧٩

*الاحكام التقـويمية في النحـو العربـي (دراسـة تحليلة)- نزار بنيان شمكلي الحميداوي ، ط بيروت ، دار الكتب العلمية ،(.... ٢٠١١م) ، ٢٥٤ص.

*الاحوال الادارية والاقتصادية في ضواحـي حـلب للمدة(٥٤١-٦٤٨هـ)/(١١٤٦-١٢٥٠م)- سناء عبد الرضا منهل الخزاعي رسالة ماجستير اداب في التاريخ الاسلامي ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ..(٢٠١٠)

*الاحوال الاقتصادية في خراسان(عصر السلاجقـة) (٤٨٥-٥٩٠هـ) / (١٠٩٢-١١٩٤م)- ايمـان محـمد زكي ، ط١ ،القـاهرة دار الافاق العربـية (١٤٣٥هـ -٢٠١٤م)، ٣٥٣ص.

اختلاف النظريات حول بناء مدينة المنصور المدورة وتصحيح اراء الباحثين والمستشرقين عنها -عادل البـكري . مجلة المجمع العلمي العراقـي (بـغداد) ج٤،مج٥٩(١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م) ١١٣ -١٥٤

*الادب الاسلامي للمغفور له الاستاذ د:صباح نوري المرزوك (١٩٥١-٢٠١٤م) عمان (الاردن) طبـع دار صفاء للنشـر والتوزيع(١٤٣٥هـ -٢٠١٤م)، ١٩٢ص.

*ادب الحلة -للاستاذ د. جواد احـمد علوش اخراج وتحقيق المرحوم الاستاذ د.صبـاح نوري المرزوك (١٩٥١ - ٢٠١٤م) ط١-بابل، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية ، جامعة بابـل ،(١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، ١٧٩ص .

*ادريس بـن اليمان اليابسـي (ت.٤٧٠هـ) حـياته وشعره -توثيق وتخريج ودراسـة د:محـمد عويد محمد الساير . الذخائر(بـيروت) ع٣١ -٣٢ ، س٨ (١٤٣٣هـ -٢٠١٢م) ٢٠٣ - ٢٢٠ص.

*الارجوزة المنطقية للشيخ الرئيس ابن سينا شـرح الشيخ عبد الحميد بن ابي الحـديد(٥٨٦-٦٥٦هـ) تقديم علي جواد محيي الدين الذخائر(بيروت) ع٢٩-٣٠،س٨(١٤٣٣هـ-٢٠١٢م) ٤٤-٨٦ ص.

*الإسـتدراك-د. عبـاس هاني الجراخ. الذخائر (بـيروت) ع٣٣-٤٣. س٩(١٤٣٤هـ -٢٠١٣م) ٢٨١-٢٩١ص.

*أسرة آل زين الخزاعية وما تبقـى من شـعرهم- محمد احمد شـهاب. الذخائر(بـيروت) ع٢٩-٣٠، س٨(١٤٣٣هـ -٢٠١٢م) ١٦٧ - ١٨٦.

*الاسرة الجوينية في زمن المغول-يمان محمد زكي، ط١، القـاهرة-دار الافاق العربـية،(١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م)،١٧٢ص.

كتاب اسفار الفصيح شـرح كتاب الفصيح في ضبـط الالفاظ وتقويم اللسان- لابي سهل محـمد بـن علي الهروي النحـوي (٣٧٢-٤٣٣، ١٨٣-١٠٤١) تح(؟) محمد عثمان، اشراف(؟) د: أميل يعقوب ط١، بـيروت، دار الكتب العلمية،(١٤٣٣هـ -٢٠١٢م)،

٣٥٠ص.

* أسماء سيوف العرب واسماء اصحابها في معاجم (تاج العروس) لمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)- المغفور له د:هاشم طه شلاش النعيمي (١٤٣١هـ -٢٠١٠م). الذخائر (بيروت) ع٣٣-٣٤، س٩ (١٤٣٤هـ -٢٠١٣م) ١٦٥ - ١٨٢ص.

*اسهام العراقيين المعاصرين في تحقيق التراث الشعري الاندلسي - محمد عويد محمد الساير. الذخائر (بيروت)، ع٣٣-٣٤،س٩ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م) ٣٠١-٣٠٧ ص.

*إشكالية ردة بني حنيفة -احمد محمد عبد المجيد. العرب (الرياض) ج٣-٤، س ٤٨(١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م) ١٦٩- ١٩٢ص.

*اصول الفكر البياني العربي ابن ابي الحديد نموذجا- حامد ناصر الظالمي ط١، بيروت، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلام، (١٤٣٤هـ -٢٠١٣م)، ٣٣٢ص

* اصول النقد والتحليل في الكتابة التاريخية (مجموعة مقالات) - مرتضى حسن النقيب، ط١، دمشق، دار صفحات للدراسات والنشر(١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، ١٥٨ص.

*اضواء على نشاة المذهب المالكي وانتشاره- الناجي لمين. مرآة التراث (الرباط) ع٢(١٤٣٣هـ -٢٠١٢م)

*اعادة كتابة التاريخ اسقاط الخلافة العباسية أنموذجاً-تاليف الاستاذ يوسف الهادي -عرض الشيخ العلامة د. كامل سلمان الجبوري. الذخائر (بيروت) ع٢٩-٣٠، س٨ (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م) ٢٨٦-٢٤٥ص.

*اعراب القران العظيم- المنسوب الى الزين الانصاري زين الدين ابي يحيي زكريا بن محمد بن احمد(٨٢٦- ٩٢٦هـ/ ١٤٢٣ - ١٥٢٠م) تح وتعليق د:موسى علي موسى مسعود، ط١، القاهرة ، دار النشر للجامعات، دار ابن حزم.(١٤٣١هـ - ٢٠١٠م) ،٥٧٦ص.

* الاعراب واثرهم في النحو واللغة دراسة وصفية حسين محيسن البكري. مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) ج٢ ، مج٥٩ (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م) ٧٥- ٩٨

* اعلام امراء البلاط المغولي دراسة في دورهم العسكري والسياسي والاداري والاقتصادي ٦٢٤- ٦٧٥هـ ، ١٢٢٧ - ١٢٧٤م -سعاد هادي حسن ارحيم الطائي، ط١، بغداد - دمشق ، دار ومكتبة عدنان - دار صفحات للنشر والتوزيع،..(١٤٣٥هـ -٢٠١٤م) ،٣٤٤ص

*الالفاظ الكتابية في علم العربية-تاليف: عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني (ت.٣٢٠هـ) ومعه منظومة تذكرة الحفاظ في بعض المترادف من الالفاظ نظم الشيخ سعيد بن سعد بن بنهان الحضرمي (ت ١٣٥٤هـ) تح :موفق صالح الشيخ ، ط١، دمشق ، مؤسسة الرسالة ناشرون ،(١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، ٤٤٠ص.

* امارة شيزرفي عصر بني منقذ ٤٧٤-٥٥٢ /١٠٨١- ١١٥٧- حجازي عبد المنعم عبد حفيظ ، ط١،القاهرة ، دار الافاق العربية (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م) ،٣٦٥ص

*الامارة الميزيدية الاسدية في الحلة دراسة في

احوالها السياسية والحضارية - عبد الجبار ناجي الياسري ، ط٢، قم (ايران) نشر مؤرخ هيكاري تخصصي تاريخ اسلام وايران(١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

* الامالة بين القراء والصرفيين - حامد مصطفى الخولي . مجلة كلية اللغة العربية (الزقازيق) ع١٠(...ـ...) ٣٤٩ -٤٢٣

*الامالي بجامع دمشق - للخطيب البغدادي ابي بكر احمد بن علي بن ثابت المحدث المؤرخ (١٣٩٢ - ٤٦٣/ ١٠٠٢ - ١٠٧١) ويليه جزء فيه التسمية ماورد به الخطيب دمشق من الكتب من روايته لمحمد بن احمد المالكي . الاندلسي تح وتعليق محمد بن ناصر العجمي، ط١ ، بيروت ، دار البشائر الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،(١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، ١٧٢ ص.

*الامام الرعيني الاندلسي وكتابه (الجامع لما في المصنفات الجوامع من اسماء الصحابة الاعلام اولي الفضائل الاحلام)، ومنهجه في الجمع والتدوين- احمد الخياطي . الصحابة الكرام في تراث المغاربة والاندلسيين ٢/(١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ص٨٠٩ - ٨٣٣.

* الامام ابن غازي المكناسي (ت ٩١٩هـ) عالم القرويين الشيخ الجماعة بفاس - احمد البوشيخي - ط١، الرباط ، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز دراسات والابحاث واحياء التراث ،(١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، ٢٣٠ص ، سلسلة مشاهير علماء المغرب الاسلامي - ٦ .

*الامام الحافظ ابو محمد الاشبري واستدراكاته على كتاب الاستيعاب لابن عبد البر - عبد الله محمد حسن دمنو. مراة التراث الرباط - ع٢ (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).

*الامام الحبر المازري مجتهد المذهب المالكي - عبد الحميد عشاق ، ط١ ، الرباط . الرابطة المحمدية للعلماء ، مركز الدراسات والابحاث واحياء التراث (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، ١٨٠ص، سلسلة مشاهير علماء الغرب الاسلامي -٨.

*(أمام) عند اللغويين والمحدثين - الاستاذ طه هاشم الدليمي. الذخائر (بيروت) ع٣٣-٣٤، س٩ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م) ٢٥٠ - ٢٥٦ص.

* الامثال في نهج البلاغة- عبد الهادي الفضلي، ط٢، بيروت ، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)،٧٤ص.

*الانوار الجلية في مختصر الاثبات الحلبية اختصار خادم السنة النبوية بمدينة حلب محمد راغب بن محمود هاشم الطباخ (١٢٩٢- ١٣٧٠هـ/١٨٧٥ - ١٩٥١م) تح د. عبد الستار ابو غدة والشيخ محمد ابراهيم الحسيني ، ط١ ، بيروت ، دار البشائر الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ،(١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، ٦٦٣ ص.

*الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الجزيرة الفراتية للمدة من(١-١٣٢هـ/٦٢٢-٧٤٩م)سلسبيل جابر عناد المياحي ، رسالة ماجستير اداب في التاريخ الاسلامي باشراف د: خولة عيسى الفاضلي ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ...- ٢٠١٠م.

سُوَيْد بن الصَّامِت

سيرته ومابقي من شعره

(ت/نحو ٦٢٠م)



جمع وتحقيق
عبد العزيز إِبراهيم
باحـث/الديوانية

المورد
العدد
الثالث
السنة
٢٠١٥

تقديم:

إنَّ إشكالية تأخر المُدوَّن تأريخا حتى القرن الثاني الهجري وبقاء الرواية الشفوية أداة في هذا النقل خلق عائقا أمام الباحث ليس من السهل تجاوزه عندما يحـاكم النصّ المُدوّن من أجل أن يصل إلى الحقيقـة عما حدث في عصر ما قبل الإسلام، وإن كانت هناك إجراءات رائعة في معرفة أصول الموروث من خلال كتابات الدكتور جواد علي (رحمه الله) في كتابه الموسوعي (تأريخ العرب قبل الإسلام) وما بحـثه الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التأريخية) وما قدمه الدكتور زكي مبـارك من تنظير في أطروحته للدكتوراه في سنة ١٩٣١ م مُثبتاً فيه أن النثر في عصر ما قبل الإسلام هو أقـدم من الشـعر مخالفا ما طرحه الدكتور طه حسين من رأي، على سبيل التمثيل لا الحصر هذه الطروحات المعاصرة وغيرها الكثير تمثل أزمة في القراءة المعرفية في تأريخ حضارة أمتنا العربية.

ومن هذه الإشكالات هي مسألة الأحناف أو الحنفية التي أشار إليها القرآن الكريم إثنتي عشرة مرة، عشر

مرات جاءت الإشارة بلفظ (حـنيفاً)[١] ومرتين بـلفظ (حُنفاء)[٢] للدلالة على مجموعة من العرب لم تعبـد الأصنام، ولم تكن من اليهود ولا النصـارى، وانمـا اعتقدت بوجود إله واحد تعبـده. ولا نجد في المظان التراثية ما يروي عطش المعلومـة لمعرفـة هـذه المجموعة (وليست الصورة التي رسمها المفسرون وأهل الأخبار عن عقيدة الحنفاء واضحة، فهي صورة غامضة مطموسة في كثير من النواحي،تخص الناحية الخلقية أكثر مما تخص الناحـية الدينية، فليس فيها شيءعن عقيدتهم في الله عزل وجل،وكيفية تصورهم وعبادتهم له، وليس فيها شيء عن كتاب كانوا يتبعونه، أو كتب كانوا يسيرون عليها)[٣].ولم يذكروا إلاّ عددا لا يتجاوز الثلاثين[٤] اختلفوا في انتماءاتهم القبـلية أو ميولهم الفكرية أو ما انتهوا إليه إلاّ القـليل منهم. وينبهنا الدكتور جواد علي على أنّ(جميع من حشرهم أهل الأخبار في الحنيفية، كانوا من القارئين، الكاتبين.. ولبعض منهم علم باللغات الأعجمية مثل السـريانية والعبرانية)[٥]وممن كان يكتب ويقرأ سويد بن الصامت الأوسيّ، صاحب مجلة لقمان[٦].

ويرى الباحث حسين مروة أنَّ ظاهرة الحنفاء (هي بجوهر دلالتها وأبعادها التأريخية لا تقتصرعلى أفراد معينين معدودين ، كالذين عني أهل الأخبـار بـذكر أسمائهم، بل كان لهم معنى الظاهرة سـعة وشـمولاً بحيث وجدت الطريق لنفسها أن تظهر باسـم (مجلة لقمان) أو حكمة لقمان) كما باسم(الحنفاء)أو (الأحناف) أو ربما بأسماء أخرى لم تنكشف لنا بعد، وكما وجدت الأشكال المختلفة للتعبير عن دلالتها وأبعادها: خطابة أو شعرا،أو حكمة تسير مسرى الأمثال)[٧]ومن هؤلاء الشاعر سويد بن الصامت صاحب مجلة لقمان.

*شخصية الشاعر

(١)أسـمه ونـسبه

هو (سويد بن الصامت بن خالد بن عطية بن حـوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بـن الأوس)[٨] حسب ترجمة ابن إسحاق في السيرة وعنه نقلها ابن حزم الأندلسي في جمهرته[٩] ومن بعده معاصره ابن عبد البر القرطبي في الاستيعاب[١٠]الذي اكتفى بـ(سويد بن الصامت الأوسيّ). وقارب ابـن الأثير في (أسـد الغابة)[١١] ترجمة ابـن حـزم إلا أنه استبـدل عطية بـ((عقبة)) مضيفاً الأنصاريّ قبل الأوسي لقبـاً له. ويخالف هؤلاء ابن حجر العسقلاني الذي ذكره مرتين مترجما له في الإصابة برقم (٣٥٩٩) قائلاً: (سـويد ابن الصامت بن حارثة بن عدي بن قيس بن زيد مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاريّ)[١٢] وبرقـم ثانٍ (٣٨١٨) قائلاً (سويد بن الصامت بن خالد بـن عقبة الأوسيّ)[١٣]، فهو في المرة الأولى من الخزرج وفي المرة الثانية من الأوس باختلاف النسب مما خلق إربـاكا عند المعاصرين إنْ رجعوا إلى الإصابـة عند ترجمة الرجل، وبـالتالي فلا ندري أهو من الأوس أو من الخزرج فضلاً عن لقب الأنصاريّ الذي ظهر بعد مقتله عندما وَحّد النبي محمد (ص) القبيلتين تحـت هذا المسمى؟!

هذا الخلط أو الوهم الذي وقع به ابن حـجر أوقـع الباحثين في الوهم نفسه فأخذوا بالترجمة الأولى من الإصابة، ومن هؤلاء عبد السلام محـمد هارون في

هوامش تحقيقاته البيان والتبيين[١٤]،رسائل الجاحظ [١٥] البرصان والعرجان[١٦] ود.عبدالله الجبوريّ في التذكرة السعدية[١٧] ومحمد مرسي الخولي في بهجة المجالس[١٨] ومحمد عبد القادر بـامطرف في الجامع[١٩] فضلاً عن خير الدين الزركلي في أعلامه[٢٠].

اما من رجع إلى الإصابـة دون أن يترجم له مكتفياً بــ(سويد بن الصامت الأوسـي) فهو الدكتور جواد علي في تأريخ العرب قبل الإسلام[٢١] أو يزيد بقـوله ((سويد بن الصامت بن خالد بن عقبـة الأوسـي)[٢٢] معتمداً ترجمته الثانية في الإحالة.

وتبتعد الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في رسالة الغفران[٢٣] عن الوقـوع في هذا الوهم عند إهمالها الإصابة والاكتفاء بـ(سـويد بـن الصامت الأوسـيّ من سـادة الأوس) مُتخذة من الاسـتيعاب والأغاني والسِّيرة مراجعَ فـي ترجمتهـا علمـا أنَّ صاحب الاستيعاب يوثق ترجمته بالإضافة قائلاً: (أخو بني عمرو بن عوف)[٢٤] وهو بذلك يطابق ابن اسحاق في السيرة وابن حزم في الجمهرة.

(٢) صفاته

يذكر ابن إسحاق أنَّ سويد بن الصامت كان يسـميه قومه بـ(الكامل، لجلده وشعره وشرفه ونسبـه)[٢٥]. ويوضح أبو الفرج الأصبهاني معنى الكامل صفة فيقول (وكان يقال له – أي لسويد بن الصامت– الكامل في الجاهلية ، وكان الرجل عند العرب إذا كان شـاعرا شجاعا كاتبا سابحا راميا سَمَّوْه الكامل، وكان سـويد أحد الكملة)[٢٦] وما يؤكده محمد بن حبيب قبله بقوله (وكان يُدعى الكامل، وقـد كتبـناه في أشـراف المغتالين)[٢٧] وهو في لغة عصرنا (رجل مهـذب، ذو علم وفهم في أيامه وبين قومه)[٢٨].

صحيفة لقمان وسويد بن الصامت.

في حديث ابن إسحاق عن (عرض الرسول نفسـه على العرب في المواسم) يقول: (قـدّم سـويد بـن الصامت، أخو بني عمرو بـن عَوْف، مكة حـاجا أو معتمرا،.. فتصدى له رسول الله (ص) حين سمع به، فدعاه إلى الله والى الإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي؛ فقال له رسـول الله (ص): وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان – يعني حكمة لقـمان– فقال له رسـول الله (ص): إعرضها عليّ، فعرضها عليه؛ فقال له: إنّ هذا الكلام حَسَنٌ، والذي معي أفضل من هذا، قـرآن أنزله الله تعالى عليّ هو نور وهدى. فتلا عليه (ص) القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يَبْعدْ منه، وقال: إنَّ هذا القول حسن. ثم انصرف عنه)[٢٩] وهذا يعني أنه لم يسلم. أما الموسم الذي تمَّ فيه اللقاء بين الرسول محمد وسويد بن الصامت فهو بسـوق ذي المجاز من مكة كما يؤكد صاحب الاسـتيعاب[٣٠]. والذي يعنينا من هذه الرواية التي ذكرها ابن اسحاق وأكدها الطبريّ أنَّ سويداً كان يمتلك مجلة أو صحيفة اسمها (مجلة لقمان) فماذا تعني هذه الصحـيفة؟ وما دلالتها؟ في اللغة يذكر ابن منظور:(المجلة: صحيفة يكتب فيها .. قـال أبـو عبـيد: كلُّ كتاب عند العرب مجلة. قيل إنّها معربـة من العبـرانية، وقـيل هي عربية)[٣١] ويوضح د. جواد علي قـائلاً: (المجلة هي (مكلوت):ومكلتو/(Magaltho في العبرانية والسريانية ويراد بـها كرّاس ملفوف وملف مخطوطات، وكتاب

من أصل(Golo بمعنى لفَّ)[٣٢] ويرى الدكتور ناصر الدين الأسد أنّ مجلة لقــمان لا تختلف عن أيّ كتاب ديني لغته عربية سواء أكان بهذه اللغة موضوعا أو مترجما فيقــول متســائلاً (فهل كان هؤلاء العرب لا يقرأون كتبهم الدينية؟ أو هل كانوا يقرأونها بــاللغة العبرية أو بغيرها من اللغات؟ وهل من المعقــول أن نفترض أنَّ هؤلاء العرب كانوا حــين يتهودون أو يتنصرون، يشــترط فيهم أن يتعلموا العبــرية أو الآرامية؟ الأقرب إلى المعقول أن نفترض أنهم كانوا يقرأون كتبهم الدينية مترجمة إلى لغتهم العربية)[٣٣] ثم يُسند رأيه في حديث سويد بن الصامت مع النبــي محمد(صلى الله عليه وسلم). وهذا يعني أن صحــيفة لقمان كانت تقرأ بالعربية.

والسؤال الذي يعترضنا: من هو لقمان صاحب هذه الصحيفة؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقول: يرى ابــن قتيبة في معارفه أنّ ((لقمان كان عبدا حبشــيا لرجل من بني إسرائيل، فاعتقه وأعطاه مالاً. وكان في زمن داود النبي... ولم يكن نبياً في قــول أكثر الناس)[٣٤] ويخالفه الســهيلي في الروض الأنف في الرأي الذي يرى أن (لقــمان كان نبــياً. من أهل أَيْلَة (مدينة في سواحل الشام) وهو لقمان بن عنقاء بــن ســرور.. وليس بلقمان بن عاد الحميريّ)[٣٥].

وقــد نُســأل مرة أخرى ما هي هذه المجلة وما محتوياتها ؟ نقول بتحــفظ الدكتور جواد علي (وإذا صحَّ ما روي من أن سويد بن الصامت المعروف بــ (الكامل) كان يملك مجلة لقمان وقد أراها الرسول في مقدمهِ عليه بمكة، وما ذكر من أنها كانت في الحكمة.

فتكون هذه المجلة، أو الكتاب، أقدم شيء يصل اسمه إلينا من الكتب التي تداولها أهل الجاهلية. ولم يذكــر الرواة – ويا للأسف– محــتويات تلك المجلة ونوع الحِكَم التي احتوتها)[٣٦] لكن(وَهَب بــن مُنَبِّه/ ت ١١٤ هــ) يقول:(قرأتُ من حكمته– أي حكمة لقمان–نحوا من عشرة آلاف باب لم يسمع الناس كلاماً أحسن منه، ثم نظرت فــرأيت النــاس قــد أدخلوه في كلامهم ، واستعانوا به في خطبهم ورســائلهم، ووصلوا بــه بلاغتهم)[٣٧]!! ولم يكن هذا الكلام يقنع الباحث حسين مروة الذي يقول:(وأما مجلة لقــمان فليس من ضوء تأريخيّ نتعرّف به مضمون ما تحــتويه، لكي نتعرف أمرا جديدا في مسألة الحــنفاء. بــل كل ما لدينا عن لقــمان نفســه وعن مجلته هذه لا يزيد المســألة إلا غموضاً جديداً)[٣٨] والسبب في ذلك أن لا توثيق لنص مُدوَّن يؤكد هذه المجلة أو الصحيفة إلاّ روايات شفوية عن العنوان دون متن، أوهم الباحثين ومنهم د. رشيد الخيّون الذي بنى حُكما على هذا الموروث الشــفاهي قائلاً:(ويلفت نظرنا حسين مروة إلى طامع آخر بالنبوة من غير المعروفين ، وهو سويد بــن الصامت الذي كانت له آيات وصحيفة، ولقاء مع الرسول عند حجّهِ إلى الكعبة قبل الإسلام. وكان قومه يدعونه بالكامل، ولنتذكر ما يفترض أن يتوفر بالأنبياء قبــل هبــوط الوحي عليهم، من كمال خلقي يضرب فيه المثل. ذكر مروة أنه من(المجهولين في الرواية التأريخية)[٣٩] نقول إنّ حسين مروة لم يقل إلا (إنَّ سويد بن الصامت الذي لم يذكره أهل الأخبار في عداد الحنفاء هو أيضاً خارج على وثنية الجاهليّة فعلاً كالحــنفاء)[٤٠] ويعلق مستنتجاً مما جاء برواية ابن الأثير(ت/ ٦٣٠هــ)التي

ذكرها ابن إسحاق من قبل، فضلاً عن أنَّ رواية السّيرة لا تفصح عن شيء مما لدى سويد بن الصامت من (آيات) إلا قوله (مجلة لقمان) دون أنْ نتبين ماهية هذه المجلة أو حكمها أو موقف سويد بن الصامت أو طموحه إلا قول ابن إسحاق: (فلم يبعد منه. وقال: إن هذا لقول حسن، ثمَّ انصرف عنه)[٤١] وقول ابن إسحاق يستشف منه أنّ سويد بن الصامت لم يسلم أو يعلن إسلامه. وزعم قومه من الأنصار بعد هجرة الرسول إلى المدينة المنورة قائلين: (إنّا لنراه قد قتل وهو مسلم) كما جاء في السيرة وتأريخ الطبري والاستيعاب وفيه يرد ابن عبد البر على هذا الزعم بقوله: (فدعاه رسول الله (ص) إلى الإسلام فلم يرد عليه سويد شيئاً، ولم يُظهِر له قبول ما دعاه إليه، وقال له لا أبعد ما جئت به ثم انصرف إلى قومه بالمدينة، فيزعم قومه انه مات مُسلما)[٤٢] ويعلق ابن حجر في الإصابة بقوله: (قلت، فإنْ صحَّ ما قالوا لم يُعَدّ في الصحابة لأنّه لم يلقَ النبي (ص) مؤمناً)[٤٣].

(٣) مقتله

يذهب ابن إسحاق إلى أن سويد بن الصامت قتل قبل يوم بُعاث[٤٤] وابن سعد في طبقاته[٤٥] والبلاذري في أنسابه[٤٦] والطبري في تأريخه[٤٧] وابن الأثير في أسد الغابة[٤٨]. وذكر ابن عبد ربه في العِقد[٤٩] أنه قتل في الجاهلية دون أن يحدد روايته بمكان أو زمان.

أما المعاصرون فإنَّ الزركلي في اعلامه يقربنا زمناً دون أن يحدد سنة فيقول: (فلم يلبث أنْ قتله الخزرج وذلك قبل الهجرة)[٥٠] خلافا للدكتور جواد علي الذي ينقل رواية ابن إسحاق في السيرة[٥١].

وقد أضاف الزركلي أنه قتل وهو شيخ كبير. ويلفت نظرنا ابن حجر في ترجمته الأولى لسويد بن الصامت بقوله: (قال ابن سعد و الطبري (إنه) شهد أحد)[٥٢] أقول ربما قصدا ابنه الحارث فقد شهد وقعة أحد. والسؤال كيف قُتِلَ سويد بن الصامت ؟ وما الدافع لذلك؟ ومن الذي أخذ بثأره؟ هذه الأسئلة تمثل اضاءات لسيرة ابن الصامت عند النهايات.

يقول ابن إسحاق بعد لقاء النبي (ص) بسويد بن الصامت: (ثم انصرف عنه -أي السويد- فقدم المدينة، فلم يلبث ان قتله الخزرج)[٥٣] ويقول في موضع آخر من السيرة نفسها تحت عنوان (حرب حاطب) إنَّ الأوس والخزرج اقتتلا بسبب أن واحدا من الأوس قتل يهوديا كان جارا للخزرج (فكان الظفر للخزرج على الأوس. وقتل يومئذ سويد بن الصامت.. قتله المُجذّر بن ذياد البلوي حليف بني عوف بن الخزرج..)[٥٤] وهذا يعني أن قاتله هو المُجذّر بن ذياد، لكنه في حديثه عن قاتل المجذر يذكر رواية أخرى تقول: (قال ابن إسحاق، قتلَ سويد بن صامت، معاذُ بن عفراء غيلةً في غير حرب، رماه بسهم فقتله قبل يوم بُعاث)[٥٥]، عند ذاك نجد أنفسنا أمام روايتين، وقاتلين في الأولى المجذر وفي الثانية معاذُ بن عفراء، لكن حظّ الثانية ضعيف لتوكيد الرواية الأولى مرتين[٥٦]، فضلاً عن ذلك ما ذكره ابن إسحاق نفسه في روايته الأولى (فلما كان يوم أُحد خرج المجذر بن ذياد مع رسول الله (ص) وخرج معه الحارث بن سويد بن الصامت، فوجد الحارث بن سويد غِرة (غفلة) من المجذر فقتله بأبيه)[٥٧] فما كان من موقف الرسول (ص) إلا أن يأمر بقتله بالرغم من طلب أخيه جِلاّس

التوبة له وتوسلات الحارث لم يَعفُ عنه الرسول (إذ خرج الحارث بن سويد من بعض حوائط المدينة.. فأمر به رسول الله (ص) عثمان بن عفان (رض) فضرب عنقه؛ ويقال بعض الأنصار)[58].

ويرى المفسرون أنَّ رفض الرسول العفو عن الحارث كان سببه نزول الاية الكريمة [كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ]آل عمران/ ٨٦. قال الطبرسيّ في نزولها: (نزلت الآية في رجل من الأنصار يقال له حارث بن سويد بن الصامت. وكان قتل المجذر بن ذياد غدراً وهرب وارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم ندم، فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله (ص) هل من توبة؟)[59].

وإذا حاولنا أن نُحدّد تاريخاً لمقتل سويد بن الصامت فإنّ رواية السِّيرة تقول (قتل قبل يوم بعاث). وهذا القول يشير إلى زمن دون أن يحدّده، ذلك أن يوم بعاث(يوم مشهور كان فيه حرب بين الأوس والخزرج. وبُعاث اسم حصن للأوس)[60] قبل أن يدخل الرسول المدينة (يثرب) ويوحدهما تحت راية الإسلام باسم الأنصار.أي قبل الهجرة إليها. فإذا علمنا أن للمسلمين هجرة أولى وهي إلى الحبشة التي تمت (وفي السنة الخامسة) من الدعوة للإسلام كما يؤرخ الطبري في تاريخه[61] أي(سنة ٦١٤هـ) قياساً إلى بدء الدعوة في(سنة ٦٠٩هـ)يكون يوم بعاث قبل هجرة الرسول إلى المدينة، وفي الوقت نفسه بعد الهجرة الأولى فإذا علمنا أن وفاة عم النبي أبي طالب وزوج النبي خديجة بنت خويلد قد حدثتا في عام واحد قبل هجرة الرسول إلى المدينة بثلاث سنين كما يذكر الطبري في تاريخه[62] مما اضعف موقفه في مكة ودفعه الى الهجرة للمدينة يكون ذاك التاريخ (سنة ٦١٩هـ) حيث تمَّ بعد هذا التاريخ لقاء الرسول بسويد بن الصامت ثمَّ عودته إلى المدينة بعد ذلك العام.

وفي ضوء هذا التقدير الزمني يمكن أن تكون سنة (٦٢٠هـ) هي سنة مقتل سويد بن الصامت ((فهيج قتله وقعة بُعاث)[63] التي نشبت بعد مقتله بين الأوس والخزرج على وجه التقريب.

شعر سويد بن الصامت:

لم يجهد القدماء أنفسهم في تقصي شعر سويد بن الصامت وما ذكروه لنا كان نزراً لا يروي ظمأ القارئ ناهيك عن دراسته أو بيان الرأي فيه. وجلّ ما تقرأ عنه (كان شاعراً محسناً كثير الحكم في شعره) كما يقول ابن عبد البر القرطبي في الاستيعاب[64] وينقل هذا القول من بعده ابن الأثير الجزريّ في أسد الغابة[65]. اما ابن إسحاق في السيرة[66] ومن بعده الطبري[67] فينبهّان على كثرة شعره دون أن يذكرا ميزة لهذا الشعر، لكننا لم نجد شعراً يدل على كثرته في مظان القدماء ولا أدري هل أن الحكمة التي وصف بها شعره تحول دون ذكر شعره أم أنَّ هناك سبباً آخر كان وراء إهمال شعر سويد بن الصامت.

إنَّ النصوص الشعرية التي بقيت ساكنة دون حراك في مظان القدماء منقولة من قبل أصحابها عن بعضهم لا ترسم لنا حكمة في شعره – على حدِّ وصفهم فالألفاظ الواردة في تركيب هذه المُقَطَّعات وإن كانت جاهلية لكنها لا تمتلك تعقيداً أو غرابة في

اللفظ عما نعرفه في شعر ما قبل الإسـلام، ولذا فإن هذه الأبيات قريبة الصنع من شعر حسان بن ثابت كما في المقطعة رقم (٣). ولا تدل المقطعة رقم (٢) على مكانة كبيرة لسويد بـن الصامت في قـومه بـل هي قريبة من شعر الصعاليك في شكواهم أو عتبـهم كما نلحظ ذلك في المقـطعة رقـم (٤). ويمكن أن تدخل المقطعة رقم (٥) ضمن أبيات الحكمة قريبة من شعر زهير بن أبي سلمى. وتمثل أبيات القصيدة رقم (١١) التي هي أطول ما في شعره الواصل الينا، أبـياتاً في الفخر الذي يكثر في شعر القبائل.

ولكون قصيدة ما قبل الإسلام عمودية في بـنيتها الموسيقية القائمة على بحر هذا الشعر فإننا نلحظ أن بحر الطويل كان غالباً قياساً إلى البسيط أو الوافر أو الكامل، وهذا شائع عند شعراء هذا العصر.

أما قافية هذا الشـعر فإنها توزعت إلى حـروف شـائعة ألفاظها (التاء/ الحـاء/ الدال/ الراء/ اللام/ الميم/ النون) وليس فيها ما يصعب بناء القافية عليه.

نهجنا في جمع شعر سُوَيْد

يمثل جمع شعر أي شاعر غيابا لديوان شعره الذي جمعه القدماء فكيف إذا لم يجمع ولم يشر القدماء إلى ذلك؟ عند ذاك يصبح الأمر صعبا على الباحث المعاصر وهو يحاول إعادة بناء ديوان شعر لشاعر كسويد بن الصامت وسـط صمت المظان عن ذكر شـعره، وما موجود في كتبهم مكرر لا يغني عن شيء. ولذا لم أجد في الفهرست أو ما رواه عن شيوخه - على سبـيل التمثيل- ذكراً لديوان شعر أو إشارة لعالمٍ من علماء العربية أو رواة الشعر مَنْ جمع شـعر سـويد بـن الصامت.

فنهجت خطة قـامت على تخريج النص ومن ثم نسبته إليه أو كان متدافعا بينه وبين شاعر آخر، مع ذكر اختلاف الرواية فضلاً عن شرح المفردات متبعاً هذه الخطوات:

١-تمَّ تخريج الشـعر بـالاعتماد على قـدم المظان التراثية أدبـية كانت أم تأريخية، لكونها رواية ثانية للنص الشعريّ. (المخطوطة رواية أولى للنص).

٢-وزعت المقطعات الشعرية حسب حروف الهجاء وحركة حرف الروي،(الضم/الفتح/الكسر/ السكون).

٣-ضبطت النص الشعري قدر ما اسـتطعت من هذه المظان أو معاجم اللغة.

٤-درجت البحر الشعري الذي بنيت عليه المقطعة.

٥-شرحت الألفاظ حسب حاجة القراءة مستفيدا من التعليقات والشروح التي جاءت بهذه المظان.

٦-نَبّهت على اختلاف رواية النص التي جاءت بـها المظان التراثية.

٧-أرفقت كشافا بمراجع أو مصادر جمع هذا الشعر فضلاً عن دراسته.

وما صنعت لم أرد به إلا خدمة تراث أمتي العربية.

هوامش الدراسة

(١)تنظر:الآيات رقم(البقـرة/١٣٥)،(ال عمران/ ٦٧ ،٩٥)،(النســـاء/١٢٥) (الأنعام/٧٩،١٦١)،(يونس/ ١٠٥)،(النحل/١٢٣،١٢٠)، (الروم/٣٠).

(٢)تنظر: الآيتان رقم (الحج/٣١)، (البينة/٥).

(٣)المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٦/ ٤٥٤.

(٤)المصدر نفسه، ينظر: الفصل الخامس والاربعون (الحنفاء): ٦/ ٤٥٨-٥١٠.

(٥)المصدر نفسه: ٦/ ٤٥٦.

(٦)المصدر نفسه: ٨/ ١١٠-١١١.

(٧)النزعات المادية في الفلسفة العربية الإســلامية: ١/ ٣٧٣.

(٨)السيرة النبوية:١ /٢٨٨. ويذكر محققو السـيرة نقـلاً عن الروض الانف ترجمته:(هو سـويد بـن الصامت بن حوط بن حبيب بن عوف بن عمرو بـن عوف بن مالك بـن الأوس؛ وأمه ليلى بـنت عمرو النجارية، أخت سلمى بنت عمرو، أم عبد المطلب بن هاشم، فهو على هذا ابن خالة عبـد المطلب، وبـنت سويد، هي أم عاتكة، أخت سعيد بن زيد، امرأة عمر بـن الخطاب، فهو جدها لأمها، واسـم أمها زينب، وقيل: جليسة بنت سويد). -السـيرة النبـوية: ١/ ٤٢٥ (الهامش رقم ٤).

(٩)جمهرة انساب العرب: ٣٣٧.

(١٠)الاسـتيعاب في معرفة الأصحـاب: ٢/ ١١٢- ١١٣.

(١١)أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٢/ ٣٥٦ رقـم الترجمة (٢٣٤٧).

(١٢)الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٩٩.

(١٣)المصدر نفسه: ٢/ ١٣٤.

(١٤)البيان والتبيين: ٤/ ٦٦ هامش رقم (٤).

(١٥) رسائل الجاحظ: ١/ ٢٠٤ هامش رقم (٢).

(١٦)البرصان والعرجان والعميان والحولان: ٣٥٨ هامش برقم ١٥١٢.

(١٧)التذكرة السعدية في الأشعار العربـية: ٢٤٤- ٢٤٥ هامش برقم ١٤٨.

(١٨)بـــهجة المجالس وأنس المجالس: ٢/ ٦٨٦ هامش برقم (٢).

(١٩)الجامع: ٢/ ٥٥٧.

(٢٠)الأعلام: ٣/ ٢١٤-٢١٥.

(٢١)المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام (م. س): ٨/١١١.

(٢٢)المصدر نفسه: ٨/ ٢٨٩.

(٢٣)رسالة الغفران: ١٣٧ هامش برقم (...) تحـت الأعلام.

(٢٤)الاستيعاب (م. س): ٢/ ١١٣.

(٢٥)السـيرة النبـوية (م. س): ١/ ٤٢٦، وينظر: تأريخ الطبري: ٢/ ٣٥١.

(٢٦)الأغاني: ٣/ ٢٥ وينظر: الاستيعاب (م. س): ٢ /١١٢، أسد الغابة (م. س): ٢/ ٣٥٦، وذكر الدكتور جواد علي في مفصله: ٨/ ١١١ بـعضاً من أسـماء

الكملة وهم (الربيع بن زياد العبسي، وكان هو واخوته من الكملة، ورافع بن مالك، وأسيد بن خضير، وعبد الله بن أبي، وأوس بن خولى، وحضير الكتائب، فضلاً عن سويد بن الصامت).

(٢٧)أسماء المغتالين من الأشراف، نوادر المخطوطات: ٢/ ٢٢٣.

(٢٨)المفصل في تأريخ العرب (م. س): ٨/ ٢٨٨.

(٢٩)السيرة النبوية(م. س):١/ ٤٢٥-٤٢٧ وينظر تأريخ الطبري (م. س): ٢/ ٣٥١-٣٥٢، والإصابة (م. س): ٢/ ١٣٤.

(٣٠)الاستيعاب (م. س): ٢/ ١١٢ وينظر: الأعلام: ٣/ ٢١٤-٢١٥.

(٣١) لسان العرب، (حـــلل)، وتاج العروس، المادة نفسها.

(٣٢) المفصل (م. س): ٨/ ٢٨٨.

(٣٣)مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التأريخية:٦٢.

(٣٤) المعارف: ٥٥.

(٣٥) تأريخ الطبري(م. س): ٢/ ٣٥٢ هامش منقول عن الروض الأنف.

(٣٦)المفصل(م.س)٨/ ٣٤١-٣٤٢وينظر:١/ ٣١٨ منه.

(٣٧)المعارف (م. س): ٥٥.

(٣٨)النزعات المادية (م. س): ١/ ٣٧٢.

(٣٩)جدل التنزيل: ٨١.

(٤٠)النزعات المادية (م. س): ١/ ٣٧٣.

(٤١)السيرة النبوية (م. س): ١/ ٤٢٧.

(٤٢)الاستيعاب (م. س): ٢/ ١١٢.

(٤٣)الإصابة (م. س): ٢/ ١٣٤.

(٤٤)السيرة النبوية(م. س):١/ ٤٢٧ وتنظر روايته في: ١/ ٢٨٨ تحت (حرب حاطب).

(٤٥)طبقات ابن سعد: ٣ /٩٨.

(٤٦)أنســـاب الأشـــراف، ق١، ج٢: ٥٥٣. يقـــول البلاذري إن(قتل سويد بن الصامت كان سبباً في هياج يوم بعاث بين الأوس والخزرج.

(٤٧) تأريخ الطبري (م. س): ٢ /٣٥٢.

(٤٨)أسد الغابة (م. س): ٢ /٣٥٦.

(٤٩)العِقد الفريد: ٣/ ٢٩٢.

(٥٠)الأعلام (م. س): ٣/ ٢١٥.

(٥١)المفصل (م. س): ٨/ ٣٤٢.

(٥٢)الإصابة (م. س): ٢/ ٩٩ رقم الترجمة ٣٥٩٩.

(٥٣)السيرة (م. س): ١/ ٤٢٧.

(٥٤)المصدر نفسه: ١/ ٢٨٨، ويُنظر: شـــرح نهج البلاغة:١٥ /٤٨-٥١.

(٥٥) المصدر نفسه: ١/ ٥٢٠.

(٥٦)المصدر نفسه: ١ /٢٨٨، ١/ ٥٢٠.

(٥٧)المصدر نفسه والصفحة نفسها.وينظر:أنســـاب الأشـــراف (م. س)، ق١: ٢/ ٨٢٢ والذي نؤكده أن قاتل المجذر هو الحارث بن سويد وليس الجُلّوس كما ذكر البلاذري في أنسابه ق١: ١/ ٦٥٤. وفي هذا يقول حسان بن ثابت:

يَا حارِ فِي سِنَةٍ مِنْ نَوْمِ أَوَّلِكُمْ
أَمْ كُنْتَ وَيْحَكَ مُغْتَراً بِجِبْرِيلِ
أم كُنْتَ يَا ابْنَ ذِيَادٍ حِيْنَ تَقْتُلُهُ
بِغِرَّةٍ فِي فَضَاءِ الأَرْضِ مَجْهُولِ

و(حار) منادى مرخم لاسم حارث بن سويد.

-ينظر: ديوان حسان بن ثابت: ٣٧٤-٣٧٥ مع بيتين آخرين.

(٥٨) السيرة (م. س): ٢/ ٨٩ وينظر: شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٤٨-٥١، والعِقد الفريد: ٣/ ٢٩٢.

(٥٩) مَجمع البيان: ٢/ ٤١٠ وينظر: أسباب النزول: ٨٣، والكشاف: ١/ ٤٤٢.

(٦٠) النهاية في غريب الحديث: ١/ ١٣٩. ويُنظر عن(يوم بُعاث)الأغاني:١٧/ ١١٨ ومعجم ما استعجم (بعاث)،ومعجم البلدان،(بعاث)،وتاج العروس،(بعث) وفي كتاب العين، مادة (بغث) جاء اسمه (بُغاث).

(٦١) تأريخ الطبري(م. س):٢/ ٣٢٩ يُنظر:السيرة (م. س): ١/ ٣٢١ وما بعدها.

-يرى ابن سعد في طبقاته ان للمسلمين هجرتين إلى الحبشة لا هجرة واحدة.

-يُنظر: طبقات ابن سعد (م. س): ١/ ١٨٨.

(٦٢) تأريخ الطبري(م. س):٢/ ٣٤٣ وينظر: لسيرة (م. س): ١/ ٤١٦.

(٦٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (م. س): ٣/ ٩٨ ضمن ترجمة المجذر بن ذياد.

(٦٤) الاستيعاب (م. س): ٢/ ١١٢.

(٦٥) أسد الغابة (م. س): ٢/ ٣٥٦.

(٦٦) السيرة (م. س): ١/ ٤٢٧.

(٦٧) تأريخ الطبري (م. س): ٢/ ٣٥١.

شعر سويد بن الصامت

(١)

(من الطويل)

يُطِفْنَ بفُحَّال كأنَّ ضِبَابَهُ
بُطُونُ المَوالي يَوْمَ عيدٍ تغدَّتِ

التخريج: إصلاح المنطق: ٢٨٩، الكامل: ١/ ٣١٤، معجم مقاييس اللغة: ضبب، مجمل اللغة: ضبب، المخصص:١١/ ١١٠،تهذيب إصلاح المنطق:٢/ ١١٧، الأساس: ضبب، لسان العرب: ضبب، فحل، الفرق بين الضاد والظاء: ٦، تاج العروس: ضبب.

نسبة النص:

١-لسويد بن الصامت في (أساس البلاغة).

٢-لبطين التميمي في (لسان العرب/ضبب).

٣-بلا نسبة في (إصلاح المنطق، الكامل، معجم مقاييس اللغة، مجمل اللغة،المخصص،تهذيب إصلاح المنطق، لسان العرب(فحل)، الفرق بين الضاد والظاء، تاج العروس).

اختلاف الرواية:

١-(أطاف) بدلاً من (يطفن) في معجم مقاييس اللغة، و(أطافت) في مجمل اللغة، أساس البلاغة، الفرق بين الضاد والظاء.

شرح المفردات:

-قال المبرد في الكامل:

الفُحَّال: فَحْلُ النخل، ولا يقال لشيء من الفحول فُحّال غيره.

ضِبابه: طلعه.

-وقال ابن منظور: (طلعها ضخم كأنَّه بُطون موالٍ تغدّوا فتطلعوا) وذكره الزَّبيديّ في التاج.

-وقال الزمخشري في الأساس: (ومن المجاز: في

قلبه ضبّ: غلٌّ داخل كالضّبّ الممعن في جحره.. أراد ضلعاً ضخماً استعار له الضبّاب ثمّ شبهه ببطون الموالي. وهذا من تناسي المستعير وتجاهله كأن ضبابه حقيقية).

(٢)

(من الطويل)

١-أدينُ وما دَيْني عليكُمْ بمَغْرَمِ
ولكنْ علَى الشمِّ الجِلادِ القَرَاوحِ

٢-أدينُ على أشعارها وأصولها
لمولى قريبٍ أو لآخَرَ نازحِ

٣-واصبحتُ قدْ أنكرتُ قومي كأنني
جنيتُ لهم بالدين احدى الفضائحِ

٤-عَلَى كلِّ خوَّارٍ كأنَّ جُذوعَها
طُلينَ بقارٍ أو بحَمْأةِ مائحِ

٥-وليستْ بسنهاء ولا رُجَّبِيَّةٍ
ولكنْ عَرَايا في السِّنين الجوائحِ

التخريج:

-نصوص من كتاب (طبقات الشعراء) لدعبل الخزاعي: ١١٨ (١-٣)، رسائل الجاحظ: ١/٢٠٤(١)(٤)، ادب الكاتب: ٢٧٠-٢٧١(١)، أمالي القالي: ١/ ١٢١ (٥)، الصحاح/ جلد (١)، سمط اللآلي: ١/ ٣٤٤ (١) (٤-٥)، الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب: ٣/ ٢١٣ (١)(٤)، شرح نهج البلاغة: ٩/ ٨٢ (٥)، لسان العرب/رجب (١)(٥)، هرجب (٤)، قرح (١)، جلد (١)، خور (١)(٤)، دين (١)، سنه (٥)، عرا (٥)، الاصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٩٩ (١-٣)، تاج العروس/رجب (٥)، هرجب (٤)، قرح (١)، جلد(١)، خور (١)(٤)، سنه (٥)، عري (٥)، وينظر تاريخ العرب قبل الإسلام: ٢/ ٢٢٦ (٥).

نسبة النص:

١-لسويد بن الصامت: في نصوص من كتاب طبقات الشعراء، الصحاح، الاقتضاب، لسان العرب (رجب/ قرح/ جلد/ سنه/ عرا)، الإصابة، تاج العروس (رجب/ قرح/ جلد/ سنه/ عري)،.

-وجاء بلقبه (الأنصاري) في: رسائل الجاحظ، ادب الكاتب، لسان العرب (هرجب / خور/ دين)، ، تاج العروس (خرجت/ خور).

٢-في سمط الآلي، لسويد بن الصامت، ونسب إلى أُحيحة بن الجلاح.

٣-دون نسبة في أمالي القالي. وفي شرح نهج البلاغة (بعض الأنصار).

اختلاف الرواية:

(١)- (عليهم) بدلاً من (عليكم) في طبقات دعبل. و(عليَّ) في رسائل الجاحظ.

-(الحزر) بدلاً من (الشم) دون كلمة (الجلاد) في طبقات دعبل والإصابة.

-(الجرد) بدلاً من (الشم) في لسان العرب/ جلد/ خور، تاج العروس/ جلد/ خور.

-(الطوال) بدلاً من (الجلاد) في رسائل الجاحظ.

(٢)- (أثمارها) بدلاً من (أشعارها) في الإصابة.

(٤)- (جذوعه) بدلاً من (جذوعها) في لسان العرب/ خور، وتاج العروس/خور.

- (بدم ذبائح) بدلاً من (بحمأة مائح) في رسائل الجاحظ. و(ماتح) بدلاً من (مائح) في الاقتضاب.

-ويروى البيت في لسان العرب (هرجت) وتاج

العروس (هرجب).

ترى كلَّ هِرْجابٍ سَحوقٍ، كأنها

تطلّى بقارٍ أو بأسْوَدَ ناتِجِ

(٥)- (فليست) بدلاً من (ليست) في شرح نهج البلاغة، ولسان العرب/ سنه (وليست) في تاج العروس/رجب/ سنه/ عري.

شرح المفردات:

(١)- قال ابن منظور في اللسان (رجب): (آخذ بدين، على أن أُؤدّيه من مالي وما يرزق الله من ثمرة نخْلي، ولا أُكلفكم قضاء ديني عني.

-الشّم: الطوال. والجلاد: الصابرات على العطش والحرّ والبرد. القراوح: (القليلة السعف التي طالت) واحدها قرواح، وكان الأصل قراويح، فحذف الياء للضرورة.

(٤)- وقال ابن منظور في (خور): (نخلة خوارة: غزيرة الحمل). وعلق ابن السيد البطليوسي شارحاً بقوله: (يصف نخلاً ووصف جذوعها بالسواد لان ذلك انما يكون في عنقها وكثرة دبسها) الاقتضاب: ٣/ ٢١٣-٢١٤.

(٥)- وقال ابن منظور في اللسان (رجب) شارحاً: (الرُّجْبة أن تُعمد النخلة بخشبة ذات شُعبتين) ثم يقول (يصف (الشاعر) نخلة بالجودة وأنها ليست فيها سَنْهاء: التي تحمل سنة وتترك أخرى، والعرايا: جمع عَرِيّة: وهي التي يوهب ثمرها. والجوانح: السُّنون الشداد التي تجيح المال).

-وقد نَبّه مصحح أمالي القالي محمد عبد الجواد الاصمعي على أنَّ (هذا البيت دخله الخرم وهو حذف فاء فعولن) الامالي: ١/ ١٢١ الهامش رقم (٢).

(٣)

(من البسيط)

قُلْ لليهوديّ إنَّ اللُّؤمَ حَالفكم

مِنْ قَبل عادٍ فأخفوا الشَّخصَ واقتصدوا

حُولٌ ورمصٌ لئامٌ في مَجالسِهم

منهم خنازيرُ أهلِ الأرض والقِردُ

وأحدبُ الظَّهرِ ما ترجَى مُروءته

مُشَوَّهُ الخلقِ في أطرافه أوَدُ

التخريج: كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان / ٣٥٨.

نسبة النص: نسب الجاحظ هذه الأبيات لسويد بن الصامت.

اختلاف الرواية: ١-نبّه المحقق عبد السلام هارون على أنَّ (في الأصل (المخطوطة) (خالفكم) وهو تحريف وعذره أن الشعر هجاء.

شرح المفردات:

(٢) رمص: الرَّمص في العين: كالغمض، وهو قذى تلفظ به. وقيل الرمص ما سال لسان العرب/ رمص.

-القِرَدُ: جمع قِرْد عند صاحب القاموس وتابعه الزَّبيدي في التاج (قرد) ولم يذكره قبله صاحب اللسان. والشائع في الجمع قُرُود أو قِرَدَةٌ- والضرورة الشعرية ألجأت الشاعر إلى هذا الاستعمال- قال تعالى: [كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ] البقرة/ ٦٥.

(٣) أَوَدُ: العوج (أو الانحراف). لسان العرب/ أَوَدَ

(٤)

(من الطويل)

رَفَوْنِي وقالُوا لا تَرُعْ يا ابْنَ صامتٍ
فَظَلْتُ أُنادِيهِم بِشَدْيٍ مُجَدَّدِ
وما كُنتُ مُغْتَراً بأَصْحابِ عامِرٍ
مَعَ القُرْطُبي بَلَّتْ بقائِمةِ يَدِي

التخريج: تهذيب اللغة(قرطب)، لسان العرب (قرطب) تاج العروس (قرطب).

نسبة النص: نقل الأزهري في تهذيب اللغة نسبته عن أبي تراب في(كتاب الاعتقاب)قائلاً: لابن الصامت الجُشَمِيّ وابن الصامت هو سويد.

والجُشَمِي نسبةً إلى جشم جَدّ (بني عمرو بن مالك بن الأوس) الذين يلتقون مع الخزرج نسبة فيه. ينظر: جمهرة أنساب العرب/ ٣٣٨-٣٣٩. وعن الأزهري نقل ابن منظور والزَّبيديّ من بعده.

اختلاف الرواية: (٢) (تبت) بدلاً من (بَلَّتْ) في تهذيب اللغة.

شرح المفردات:

(٢)-القرطبي: بالضم وتخفيف الباء: السَّيف. (التاج/ قرطب)

(٥)
(من الطويل)

١-ألا رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقاً ولَوْ تَرى
مَقالَتَهُ بالغَيْبِ ساءَكَ ما يَفْرِي
٢-مَقالَتُهُ كالشَّحمِ ما دام شاهِداً
وبالغَيْبِ مأثورٌ على ثُغْرةِ النَّحْرِ
٣-تُبِينُ لكَ العَيْنانُ ما هُوَ كاتِمٌ
مِنَ الغِلِّ والبَغْضاءِ والنَّظَرِ الشَّزْرِ
٤-وفِينا، وإنْ قِيلَ اصْطَلَحْنا تَضاغُنٌ
كما طَرَّ أوْبارُ الجِرابِ على النَّشْرِ
٥-يَسُرُّكَ بادِيهِ وتَحْتَ أدِيمِه
مَنِيحةُ شَرٍّ يَفْتَري عَقِبَ الظَّهْرِ
٦-فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طالَما قَدْ بَرَيْتَنِي
وخَيْرُ المَوالِي مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْرِي

التخريج: السيرة النبوية: ٢/ ٤٢٦(عدا/ ٤)، البيان والتبيين: ٤/ ٦٦(عدا/ ٤)، شرح أشعار الهذليين: ١/ ٢٤٩ (٣ -٤)، عيون الأخبار: ٣/ ٨١ (عدا/ ٤-٥)، تاريخ الطبري: ٢ /٣٥١ (عدا/ ٤)، أمالي الزجاجي: ٢٨(١- ٢)، أمالي القالي: ٢/ ١٩٨ (١-٢)، تهذيب اللغة: نشر (٤)، الصحاح: جرب (٤)، معجم مقاييس اللغة: ريش (٦)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٢ /١١٣ (عدا/ ٤)، بهجة المجالس وأنس المجالس: ٢/ ٦٨٦ (عدا/ ٤)، أساس البلاغة: نشر (٤)، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٢/ ٣٥٦-٣٥٧ (عدا/ ٤)، لسان العرب: جرب (٤)، نشر، التذكرة السعدية في الأشعار العربية: ٢٤٤-٢٤٥ (عدا/ ٤-٥)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣/ ١١٤ (٦)، تاج العروس: جرب(٤)، نشر(٤)،ريش (٦).

-وينظر: الأعلام:٣/ ٢١٤-٢١٥(١)،الجامع: ٥٥٧ (١)، جدل التنزيل: ٨٢ (١-٢).

نسبة النصّ:

١-لسويد بن الصامت في السيرة النبوية، البيان والتبيين،عيون الأخبار،تاريخ الطبري، أمالي القالي، الاستيعاب، بهجة المجالس، أسد الغابة، التذكرة السعدية، لسان العرب (ريش)، الأعلام، الجامع، جدل التنزيل.

٢-لسويد بن الصامت وعمير بن خباب في لسان العرب (جرب) وتاج العروس (جرب)، لعمير بن حباب في لسان العرب (نشر) والتاج (نشر). ولأبي جندب الهذلي في شرح أشعار الهذليين، وأساس

البلاغة.

٣-بلا نسبة في أمالي القالي، أمالي الزجاجي، تهذيب اللغة، الصحاح، معجم مقاييس اللغة، بصائر ذوي التمييز.

اختلاف الرواية:

(١) (ألا ربما) بدل (ألا رُبَّ من) في أمالي القالي، و(من صديق) بدل(مَنْ تدعو صديقا)في جدل التنزيل. و(في الغيب) بدل (بالغيب)، و(يغرري) بدل (يغري) في الجامع.

(٢)-(كالشهد) بدل (كالشحم) في السيرة، و(كالشهد ما كان)في أمالي الزجاجي والاستيعاب وبهجة المجالس وأسد الغابة والتذكرة السعدية وجدل التنزيل. ويروى ضرره في أمالي القالي: ((لسان له كالشهد ما دمت حاضراً)) و(مطرور) بدل (مأثور) في عجزه.

(٣)-(نُبين) بدل (تبين) في أسد الغابة. و(ما الصدر) بدل (ماهو) في التذكرة السعدية، و(الغل) بدل (الشر) في السيرة والاستيعاب، وأسد الغابة، و(الضغن والشحناء) بدل (الشر والبغضاء) في لسان العرب، و(لاجن بالبغضاء) في تاريخ الطبري، و(الحقد) بدل (الشر) في التذكرة السعدية. ويروى البيت في شرح أشعار الهذليين:

تحدّثني عَيْناكَ ما القَلْبُ كَاتِمٌ
وَلاجِنَّ بالبَغْضاءِ والنَظَرِ الشَّزْرِ

(٥)-(منيحة شر) بدل (نميمة غش) في الاستيعاب، و(تميمة) في بهجة المجالس.

(٦)-(فخير) بدل (وخير) في السيرة ولسان العرب/ نشر.

شرح المفردات:

(١)-ما يفري: الفري: الكذب والاختلاق نكايةً.

(٢)- تشبيه القول بالشحم من التشبيه النادر. والمأثور: السيف الموشى وثغرة النحر: نقرته، يريد أنه يطعنه في غيبته.

(٣)-النظر الشزر: نظر الغضبان بمؤخر عينه.

(٤)-قال ابن منظور شارحاً البيت:(ظاهرنا عند الصلح حسن، وقلوبنا متضاغنة، كما تنبت أوبار الجربى على النشر، وتحته داء في أجوافها، والنشر نبت يخضر بعد يبسه في دبر الصيف، وذلك لمطر يصيبه، وهو مؤذٍ للماشية اذا رعته).

(٥)-تبتري: تقطع. وعقب الظهر: عصبه.

(٦)-قال الزبيدي في التاج (ريش):(راش فلاناً، اذا قَوّاه وأعانه على معاشه وأصلح حاله ونفعه). وبراه: أضعفه.

(٦)

(من البسيط)

١-أبْلِغْ جُلاسًا وَعَبْدَ اللهِ مَألُكَةً
وَإنْ كَبِرَتَ فَلاَ تَخْذُلْهُمَا حَارِ

٢-أقْتُلْ جِذارةَ إذْ ما كنتَ لاقيهمْ
والحيَّ عَوْفاً على عُرفٍ وإنكارِ

التخريج: أنساب الأشراف، ق١، ج٢: ٢/ ٨٢٤، شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٥٠-٥١.

نسبة النصّ: في الأنساب والشرح لسويد بن الصامت.

اختلاف الرواية:

(٢)-يروى صدر البيت في الأنساب:((اقْتُلْ جُدَارَةَ إما

كنت لاقِيَها))

شرح المفردات:

(١)–حارِ: يعني به الحارث بن سُويد الذي أخذ بثأر أبيه.

(٢)–جُذارة أخو خدرة ابنا عوف بن الحارث من الخزرج.

(٧)

(من البسيط)

١ـ لا تحْسَبَنّي يا ابْنَ زِعْبِ بْنِ مَالِكٍ
كَمَنْ كُنتَ تَرْدِي بِالْغُيُوبِ وَتَخْتِلُ

٢ـ تحَوَّلْتَ قِرْنًا إِذْ صُرِعْتَ بِعِزَّةٍ
كَذَلِكَ إِنَّ الْحَازِمَ الْمُتَحَوِّلُ

٣ـ ضَرَبْتُ بِهِ إِبْطَ الشِّمَالِ فَلَمْ يَزَلْ
عَلَى كُلِّ حَالٍ خَدُّهُ هُوَ أَسْفَلُ

التخريج: السيرة النبويّة: ٢/ ٤٢٦، تاريخ الطبري: ٢/٣ ٥١ هامش (١–٢).

نسبة النصّ: لسويد بن الصامت في السِّيرة والطبريّ.

اختلاف الرواية:

(١)–(بالعيوب) بدل (بالغيوب) في تاريخ الطبريّ.

(٢)–ذكر محققو السيرة أن في الأصول كانت (بغرة) بدل (بعزة).

شرح المفردات:

(١)– يردى: يهلك، ويختل: يخدع.

(٨)

(من الكامل)

١ـ إني إذا ما الأمرُ بُيِّنَ شكهُ
وبَدت بصائرهُ لمن يتأملُ

٢ـ أدعو التي هيَ أرفقُ الحالاتِ بي
عند الحفيظةِ للتي هي أجملُ

التخريج: عيون الأخبار: ١/ ٢٨٩، لباب الآداب: ٣٥٦.

نسبة النص: لسويد بن الصامت في عيون الأخبار، ولسويد بن أبي كاهل في لباب الآداب.

شرح المفردات:

(١)–بيّن شكه: مما أشكل على كثير من الناس. والبصائر: جمع بصيرة وهي العبرة.

(٩)

(من المتقارب)

١ـ تخيّرتها صالحات الجنو
س لا أستميل ولا أستقيل

التخريج:لسان العرب(جنس)،تاج العروس (جنس).

نسبة النصّ: للأنصاري (لقب سويد بن الصامت) في اللسان والتاج.

شرح المفردات: الجنوس: جمع مفردها جنس، وهو الضرب من كل شيء أو النوع. ويجمع على أجناس أيضاً.

(١٠)

(من الطويل)

ألينُ، إذا لانَ العشيرُ، وإنْ تكُنْ
بهِ جَنَّةٌ، فَجَنّتِي أنا أقْدَمُ

قَريبٌ، بَعيدٌ خيرُهُ، قَبْلَ شَرِّهِ
إذا طَلَبُوا منّي الغرامةَ أغْرَمُ

التخريج: حماسة البحتري: ١١٢.

نسبة النص: لسويد بن الصامت الانصاري

(١١)

(من الوافر)

١ـ وقد علمت سراةُ الأوس أنّي
إذا ما الحربُ تحتدمُ احتداما

٢ـ أحُوطُ ذِمارَهم وأعفُّ عنهم
إذا لم يشْدُدِ الورعُ الحزامَا

٣ـ وأغشى هامةَ البطلِ المُذكّي
جُرازاً صارماً عَضْباً حُساما

٤ـ إذا ما البيض يومَ الرّوع أبدَتْ
محاسنَها وأبرزتِ الخِداما

٥ـ أتتني مالكٌ بليوثِ غابٍ
ضراغمَ لا يرون القتلَ ذامَا

٦ـ معاقلُهم صوارمُ مرهفاتٌ
يُساقون الكماةَ بها السِّمامَا

٧ـ ومرديةٍ صبرتُ النفسَ منها
على مكروهها كيْ لا ألامَا

٨ـ لأكشفَ كُربةً وأفيدَ غنماً
وأمنعَ ضيمَ جاري أن يُضامَا

االتخريج: كتاب الأشباه والنظائر: ١/ ٢٣-٢٤، الحماسة البصرية: ١/ ١٢ (٤-٦).

نسبة النصّ: لسويد بن الصامت في الأشباه والحماسة.

شرح المفردات:

(٢)-أحوط: في الأصل (أَجُوطُ) بالجيم المعجمة ولا دلالة لها في المعجم وقوله (أحوط ذِمارهم) أي أحفظ لومهم وأحصره.

(٣)-المُذَكى: المذبوح.

(٤)-الخدام: الخلاخيل.

(٧)-المردية: النازلة، المهلكة.

(١٢)

(من الكامل)

١ـ فَاعمِدْ لما تعْلُو فما لكَ بالذي
لا تستطيعُ من الأمورِ يَدَانِ

التخريج: أساس البلاغة، علو، لسان العرب: علا، يدي، تاج العروس: علو، يدي.

نسبة النصّ:

١-لسويد بن الصامت في أساس البلاغة.

٢-لعلي بن الغدير الغنوي في لسان العرب، علا، تاج العروس: علو، ولكعب بن سعد الغنوي في اللسان، يدجي، التاج، يدي.

اختلاف الرواية: (اعمد) بدل (فاعمد) في اللسان، علا.
(يعلو) بدل (تعلو) في التاج، يدي.

شرح المفردات:

-قال الزبيدي في التاج (يدي): (مالي بهذا الأمر يد ولا يدان، لأن المباشرة والدفاع إنما يكونان باليد، فكأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه).

مصادر الدراسة

١. أدب الكاتب، لابن قتيبة، تحق. محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى- القاهرة، ط٤، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

٢. أساس البلاغة، الزمخشري، دار صادر- دار بيروت، لبنان ١٣٨٥هـ -١٩٦٥م.

٣. اسباب النزول، للواحدي، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر النمري القرطبي، بهامش الإصابة في تمييز الصحابة، دار احياء

التراث العربي، بيروت، ط١، سنة ١٣٢٨هـ.
٥.أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزريّ، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٦.الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي- بيروت عن ط١، سنة ١٣٢٨هـ.
٧.إصلاح المنطق، لابن السِكيت، شرح وتحقيق، أحمد محمد شاكر- عبد السلام محمد هارون دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٠م.
٨.الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت، لبنان، ط٣.
٩.الأغاني، لأبي الفرج الاصبهاني، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٩٦٣م، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
١٠.الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لابن السيد البطليوسي، تحقـ. مصطفى السقا- د. حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م.
١١.أمالي القالي، دار الفكر، بيروت، د. ت.
١٢.أمالي الزجاجي، تحقـ. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٣.انساب الأشراف، للبلاذري، تحقـ. د. يوسف المرعشلي، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٤.البرصان والعرجان والعميان والحولان،للجاحظ تحقـ. عبد السلام محمد هارون، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢م.
١٥.بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، تحق. محمد علي النجار المكتبة العلميّة- بيروت د.ت.
١٦.بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذهن والهاجس، لابن عبد البر القرطبي، تحقـ. محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
١٧.البيان والتبيين، تحق. وشرح، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٥، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
١٨.تاج العروس، الزّبيدي، اعتنى به ووضح حواشيه، د. عبد المنعم خليل ابراهيم وكريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ٢٠٠٧م.
١٩.تأريخ الطَبريّ، تحق. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٧م.
٢٠.التذكرة السَعديّة في الأشعار العربيّة، للعبيديّ، تحقـ. د. عبد الله الجبوريّ، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس ١٩٨١م.
٢١.تهذيب إصلاح المنطق، للتبريزيّ، تحقـ. د. فوزيّ عبد العزيز مسعود، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
٢٢.تهذيب اللغة، للأزهري، تحقـ. عبد السلام محمد هارون، سلسلة تراثنا، القاهرة، د. ت.
٢٣.الجامع، محمد عبد القادر بامطرف، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م.
٢٤.جدل التنزيل، د. رشيد الخيون، منشورات الجمل، كولونيا، المانيا، ٢٠٠م.
٢٥.جمهرة انساب العرب، لابن حزم الاندلسيّ، تحقـ: عبد السلام محمد هارون. دار المعارف، القاهرة، ط٥-١٩٨٢م.
٢٦.الحماسة، للبحتري، اعتنى به الأب لويس شيخو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
٢٧.الحماسة البصريّة، علي بن أبي الفرج البصريّ، تحقـ: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٤م.
٢٨. رسائل الجاحظ، تحقـ. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٩. رسالة الغفران، لأبي العلاء المعريّ، تحقـ. د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف بمصر، ط٤، د. ت.
٣٠. سمط اللآلئ، للبكريّ، تحقـ. د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
٣١. السّيرة النبويّة، لابن هشام، دار الفكر، بيروت/ بغداد، ١٩٨٦م (صورة عن ط/ لمكتبة البابي الحلبي، ١٩٥٥م).
٣٢. شرح ديوان حَسّان بن ثابت الأنصاريّ، تحقـ. عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
٣٣. شرح نهج البلاغة، لابن أبي حديد، تحقـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، للجوهريّ، تحقـ. أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

٣٥. الطبقات الكبرى، لابن سعد، تصحـ. ادوارد سخو، المانيا- ليدن، ١٣٣٣هـ/ ج٣.

- الطبقات الكبرى، لجنة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ج١.

٣٦. العِقد الفريد، لابن ربه الأندلسيّ، تحقـ. محمد سعيد العريان، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٥٤م.

٣٧.عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتب المصريّة بالقاهرة، ١٣٤٣ه-١٩٢٥م.

٣٨. الفرق بين الضاد والظاء، محمد بن نشوان- محمد بن يوسف، تحقـ. محمد حسن ال ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

٣٩. الكامل، للمبرد، تحقـ: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٤٠. كتاب الأشباه والنظائر، للخالديين، تحقـ. د. السيد محمد يوسف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٨م.

٤١. كتاب العين، للفراهيديّ، تحقـ. د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة الإعلام، بغداد، ط١، ١٩٨٠- ١٩٨٥م.

٤٢. الكشاف، للزمخشري، دار المعرفة للطباعة بيروت، صورة عن ط الحلبي، ١٩٦٨م.

٤٣. لباب الآداب، أسامة بن منقذ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٤٤.لسان العرب، لابن منظور، تحقـ. عامر احمد وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٤٥. مجمع البيان لعلوم القرآن، للطبرسي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، القاهرة، ١٩٥٨م، مؤسسة الهدى للنشر، طهران، ١٩٩٧م.

٤٦.مجمل اللغة لابن فارس، تحقـ. زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٦م.

٤٧. المخصص لابن سيده، دار الفكر، بيروت، عن ط، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٤٨. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، دار المعارف بمصر، ط٣، القاهرة، ١٩٦٦م.

٤٩. المعارف، لابن قتيبة، تحقـ. د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨١م.

٥٠. معجم البلدان، لياقوت الحمويّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٥١. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للبكريّ، تحقـ. د. جمال طلبة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٥٢. المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار مطابع الشعب، القاهرة، د. ت.

٥٣. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقـ. عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلميّة، بيروت.

٥٤. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار العلم للملايين -مكتبة النهضة، بيروت، ط٢، ١٩٧٦م.

٥٥. النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، حسين مروة، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.

٥٦. نصوص من كتاب طبقات الشعراء لدعبل الخزاعي، جمعها وحققها محمد جبار المعييد، مجلة المورد، مج٦،ع٤، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

٥٧. النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات الجزريّ، تحقـ. طاهر احمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

٥٨. أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، محمد بن حبيب، نوادر المخطوطات، تحقـ. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٤م.